جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليــا

شعر الحروب والفتن في الأندلس
(عصر بني الأحمر)

إعداد
رانية أحمد إبراهيم أبو لبدة

إشراف
أ. د. وائل أبو صالح

قُدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير فــي اللغــة العربيــة وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس– فلسطين.

2007

شعر الحروب والفتن في الأندلس
(عصر بني الأحمر)

إعداد
رانية أحمد إبراهيم أبو لبدة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 24/ 1/ 2008م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:	التوقيع
أ. د. وائل أبو صالح / مشرفا	....
أ.د. إبراهيم الخواجا / ممتحنا خارجيا	....
د. عبد الخالق عيسى / ممتحنا داخليا	....

الإهداء

إلى مَنْ أعشقهم، ومن ظلهم أَستمد قوتي وعطائي، إلى رمز المحبة والعطاء أمي وأبي...

إلى رفيق دربي، وأغلى ما لدي، إلى منارة حياتي وبسمة عمري زوجي الحبيب...

إلى أولادي فلذة كبدي، وزهرة عمري، ليث وخطاب...

إلى سر وجودي، وفرحة عمري، وبلسم جروحي، إخوتي، رائد، ورامي، وربى...

إلى الأندلس الغالية التي كانت، ومازالت وستبقى في دمائنا وعقولنا، ومن فيض علمائها نبني حضارتنا، ومن اسمها نستمد أرقى وأسمى دلالة عرفتها عربيتنا...

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، يا ربنا لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والصلاة والسلام على سيد المرسلين الحبيب محمد صلوات الله عليه الذي قال: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"...

فشكري واحترامي وتقديري إلى منارة العلم والنقاء والإخلاص الأستاذ الدكتور: وائل أبو صالح رعاك الله وحفظك...

كما أتقدم بالشكر والتقدير من أعضاء لجنة المناقشة الدكتور: عبد الخالق عيسى/ ممتحناً داخلياً، والأستاذ الدكتور: إبراهيم الخواجا/ ممتحناً خارجياً على ما أبدوه لي من توجيهات أثرت هذه الرسالة...

وأتقدم بالشكر والعرفان من زميلاتي، ورفيقات دربي وكفاحي في مدرسة سيلة الحارثية الثانوية للبنات على ما أبدين لي من دعم أثرى دراستي ورسالتي...

<u>إقـــرار</u>

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان: ....

....

....

اقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمــت الإشارة إليه حيثما ورد، وان هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية أو بحث علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالب:**

Signuter: **التوقيع:**

Date: **التاريخ:**

فهـــرس المحتويات

شعر الحروب والفتن في الأندلس

(عصر بني الأحمر)

إعداد

رانية أحمد إبراهيم أبو لبدة

إشراف

أ.د. وائل أبو صالح

الملخص

لم يحظ شعر الحروب والفتن في هذا العصر – كغيره من الأغراض الأخرى – باهتمام الباحثين، ومن هنا رأيت أن أبحثَ في هذا اللون من الشعر، محاولة مني لإلقاء الضوء على طبيعته وأهم مزاياه.

فالفصل الأول: تناولت فيه العوامل السياسية التي ساهمت في تطور هذا النوع من الشعر وازدهاره، فكانت العوامل تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

أولاً: الصراع السياسي بين المسلمين والنصارى.

ثانياً: النزاع بين سلاطين بني الأحمر أنفسهم.

أما الفصل الثاني: فتناولت فيه أبرز الأغراض الشعرية الخاصة به فكانت على الترتيب: رثاء المدن الضائعة، والاستصراخ والدعوة إلى الجهاد، ووصف الانتصارات والهزائم عند المسلمين، وأخيراً النقد السياسي (الهجاء السياسي).

أما الفصل الثالث: فعرضتُ من خلاله لدراسة أساليب الشعراء، وأهم السمات الفنية التي ميزت هذا اللون من الشعر عن غيره من الأغراض الأخرى، وقسمته إلى خمسة عناوين رئيسية هي: الأساليب اللغوية، والموسيقا الخارجية، والموسيقا الداخلية، والتداخل بين غرض شعر الحروب والفتن والأغراض الشعرية الأخرى، وبناء الصورة الفنية فيه، وألحقت بكل عنوان رئيس عناوين فرعية.

وفي الخاتمة: ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي.

المقدمة:

لقد اخترت هذا الموضوع محاولةً مني لإعطاء هذا النوع من الشعر حقه من الدراسة والبحث, وذلك لأنه نشأ وتطور في المشرق, ثم أتخذ طابعاً مغايراً في عصر ملوك الطوائف, والمرابطين, والموحدين, وفي عصر سيادة بني الأحمر أصبح متميزاً بطابعه وأسلوبه, بسبب كثرة المآسي والنكبات التي حلَّت بالمسلمين في تلك الفترة, خاصة بعدما أحكمت الكنيسة قبضتها على بلاد المسلمين, وأحلَّت طردهم وتهجيرهم عن بلادهم.

وقد حاولت أن أكشف الستارَ عن أبرز المواضيع التي شملها شعر الحروب والفتن, كونها موضوعات تستحق الدراسة والبحث.

أما المشكلة التي واجهتني أثناء دراستي, فهي قلة المصادر والمراجع المتوفرة عن هذا العصر, وخاصة المصادر المتخصصة بأهم الفنون الشعرية التي ازدهرت وتطورت فيه. باستثناء بعض المصادر التي اعتمدت عليها مثل: كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للشاعر والكاتب لسان الدين بن الخطيب, بالإضافة إلى المرجعين النفيسين: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب, وأزهار الرياض في أخبار عياض, وجميعها مصادر أندلسية تضم العديد من الأدباء, والكتاب, والشعراء الأندلسيين الذين عاشوا في فترات معينة من تاريخ الأندلس, بالإضافة إلى العديد من دواوين الشعراء مثل: ديوان ابن زمرك الغرناطي, وديوان يوسف الثالث (ملك غرناطة), وديوان ابن سهل الإسرائيلي, وديوان لسان الدين بن الخطيب, وديوان ابن خاتمة الأنصاري... وغيرهم من شعراء ذلك العصر.

وقد جعلت رسالتي في ثلاثة فصول وخاتمة، حيث تألف الفصل الأول من مبحثين: المبحث الأول هو الصراع السياسي بين المسلمين والنصارى, بيّنتُ فيه الظروف الصعبة, والمآسي التي حلت بالمسلمين جراء انتهاك النصارى لأوطانهم وأعراضهم, بالرغم من الجهاد والتضحية التي أظهرها المسلمون في سبيل الدفاع عن دينهم وأوطانهم, وسنلمس في هذا الفصل قمة المأساة التي تعرض لها الشعب المسلم في عصر غرناطة من النصارى, وقد مست هذه

النكبة كل شيء: الأرض ومعالمها, والدين ومكانته, ومعاهد النور والعلم, والإنسان الأندلسي الذي دَفع أغلى ما يملك حفاظاً على عرضه ودينه وشرفه, فقابله العدو بارتكاب أفظع المجازر والمذابح بحق الأطفال, والنساء والشيوخ, وقد عبرَّ عنها الشعر الأندلسي وخلَّدها في ثروة ضخمة من المشاعر الحزينة, والدموع الغزيرة يندر وجودها في أدبنا العربي, وقد اتخذت من الشواهد الشعرية أدلة تجسد تلك المعاناة وتصف بعاطفة صادقة جياشة, حال قوم أضنتهم النكبات ومزقتهم المحن والمآسي والويلات.

وتناولت في المبحث الثاني أسباب النزاع السياسي بين سلاطين بني الأحمر أنفسهم, فقد تميز عصر بني الأحمر بوجود العديد من السلاطين ضعاف الشخصية, ممن اهتزّ كيانهم وضعفت عزيمتهم أمام العدو وجبروته, مما جعلهم فريسة سهلة للقشتاليين وغيرهم للسيطرة عليهم, ونزع المدن الإسلامية التي كانت تحت إمرتهم وسيطرتهم, بالإضافة إلى النزاع السياسي بين السلاطين أنفسهم على الحكم واستلام مقاليد الرئاسة والسيطرة, كالنزاع الذي نشأ بين عبد الله وعمه الزغل في نهاية عصر بني الأحمر, مما أدى بهم في النهاية إلى تقسيم غرناطة, وبالتالي إلى سقوطها بيد الاسبان, وخاصة أنها كانت آخر المدن الإسلامية المتبقية بحوزة المسلمين, وبسقوطها طويت صفحات باهرات من أيام العرب في الأندلس بعد بقاء واستقلال استمر ثمانية قرون, واستطاعت دولة بني الأحمر التي اتخذت من غرناطة عاصمة لها, أن تصمد فترة تقارب القرنين ونصف القرن تقريباً محافظةً على أمجادها وعروبتها, حتى وضعها القدر بيد مجموعة من السلاطين الذين فضلوا الاستسلام والهروب على مقاتلة العدو ومنازلته.

أما الفصل الثاني وهو (أبرز أغراض شعر الحروب والفتن) فقد أوردت فيه مجموعة كبيرة من الأشعار التي تعبر عن أسمى المشاعر والعواطف المتأججة التي عكست حزن الشعراء وتأثرهم, وكان ذلك واضحاً من خلال أشعارهم التي تحث على الجهاد والاستشهاد وبدا ذلك واضحاً في غرض الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد، والقسم الآخر كان يعكس الروح الانهزامية الداعية – فقط – إلى البكاء والرثاء وهذا ما ظهر واضحاً على سبيل المثال من خلال رثائهم للمدن الضائعة التي سلبت من المسلمين كرهاً وبهتاناً. ولكنها جاءت تعبر عـــن الهدف

العام الذي سعى إليه الشاعر سواء في الدعوة إلى الجهاد أم في الدعوة – فقط – إلى البكاء, بالإضافة إلى غناها بالألفاظ الموحية, والصور التعبيرية الرائعة, والأساليب اللغوية التي تحاكي طبيعة النص وتزيده إشراقاً وجمالاً.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه أهم السمات الفنية التي تميز بها هذا الغرض من الشعر وقسمته إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: تناولت فيه البناء اللغوي للعديد من القصائد السياسية التي عكست مدى براعة أصحابها في تضمينها للعديد من الأساليب اللغوية التي زادتها إشراقاً وتعبيراً صادقاً يوحي بحرارة العاطفة وانسجامها مع واقعها المؤلم.

المبحث الثاني: حيث تناولت فيه الموسيقا الخارجية بطابعها المميز ورونقها الفنّان.

وعرض المبحث الثالث الموسيقا الداخلية وما فيها من تناسق لفظي ودلالي صوَّرَ لنا المأساة وكأنها على أرض الواقع.

في حين تحدث المبحث الرابع عن المزج بين غرض شعر الحروب والفتن والأغراض الشعرية الأخرى، وبينت مدى فلسفة الشاعر الأندلسي الذي وظف تلك الأغراض التقليدية لخدمة الهدف العام الذي سعى إليه في الرقي بهذا الفن وجعله على مرتبة عالية من السمو والرفعة.

أما المبحث الخامس والأخير: فقد تناولت فيه الصورة الفنية التي ميزت هذا النوع من الشعر عن غيره.

وباتباعي لمنهجي الوصف والتحليل في هذا العمل تبين لي مدى تمييز هذا الطابع من الشعر عن غيره من الفنون الأدبية والشعرية الأخرى، كونه يعبر عن أصالة الشاعر الأندلسي وبراعته في صقل ريشته لتحاكي الواقع بأكمله وتصف مآسيه ومحنه فكان التطور لهذا الفن، وبالتالي تميزه عن باقي الفنون الأخرى في تلك المرحلة بالرغم من قلة الظواهر التي ساعدت على ظهوره كانتشار الأحزاب السياسية وغيرها. كما هو الحال في المشرق العربي.

وأخيراً أتمنى بعملي المتواضع هذا أن أكون قد وقفت على أهم ما يميز هذا النوع من الشعر عن غيره، سواء من خلال عوامل ظهوره أم طابعه الخاص الذي تميز به، داعية العلي القدير أن يوفقني ويسدد خطاي في أعمالي القادمة إنّه سميع مجيب الدعاء.

الفصل الأول

أبرز عوامل ظهور شعر الحروب والفتن في الأندلس
(في عصر بني الأحمر)

أولاً: الصراع بين النصارى والمسلمين.

ثانياً: الفتن والحروب الداخلية بين سلاطين بني الأحمر.

الفصل الأول

أبرز عوامل ظهور شعر الحروب والفتن في الأندلس (في عصر بني الأحمر)

تميز الأدب العربي في الأندلس بطابعه الخاص, بالإضافة إلى إيقاعه المؤثر في نفوسنا, فهو أدب يمثل الامتداد الطبيعي للحضارة العربية الإسلامية في المغرب, تلك الحضارة التي هوت مع انعدام المن والاستقرار وخروج العرب المسلمين من تلك البلاد وبخروجهم اندثرت حضارتهم ولم يبق منها سوى أطلال تشهد لقادتها بالحياة الآمنة والمستقرة. ولكن الأدب في الأندلس خاض تجارب كثيرة تعبر عن حياة العرب المسلمين هناك, وخاصة ما تميز به مسلمو الأندلس من خوضهم للعديد من المعارك والفتوحات, لكنهم لم يفجعوا كفجيعتهم يوم سقوط الأندلس وانتهاء الإسلام فيها. لذلك قد اتسمت صورة الأندلس في أذهاننا بالعز المندثر, والجرح النازف, ولهذا الوقع أسباب كثيرة قد تكون داخلية أو خارجية, ولكن المأساة المؤلمة التي أطفأت شمس الإسلام من الأندلس بعد استمرارها زهاء ثمانية قرون, ستكون بمثابة معينٍ نستمد منه العِبَرَ في حاضرنا, ومستقبلنا الذي نرقبه مستقبلاً واعداً لأبنائنا من بعدنا.

ولعل المطلع على تاريخ الأدب الأندلسي لهذه الفترة يلحظ تعدد العوامل التي أدت إلى ظهور هذا النوع من الشعر والتي يمكن حصرها بالآتي:

أولاً: الصراع بين النصارى والمسلمين.

قدّم إلينا التاريخ الأندلسي في مراحله الأولى, صفحات باهرات من ضروب المجد الحربي, والسياسي, وآيات ساطعات من ضروب التمدن والعرفان, ولكنه في مراحله الأخيرة قدم إلينا صفحات مشجية حزينة ومؤثرة, تؤلم القلب وتؤثر في الوجدان, مما حلَّ بهذه الجزيرة المسلمة من تقلب الحدود, وتعاقب المحن, والانحدار والسقوط المؤلم إلى الهزيمة. وهذا الصراع الطويل المؤلم الذي خاضته الأمة المسلمة في الأندلس قبل أن تستسلم إلى قدرها المحتوم – بالرغم من ألوان البطولة – يشكل صفحة رائعة تجسدت في دفاع المسلمين عن دينهم. لقد قدمت هذه الأمة المسلمة أسمى آيات البطولة, قلما تقدمها أمه من الأمم حتى يومنا هذا.

لقد سقط العديد من المدن الأندلسية عقب المعارك الطاحنة التي دارت بين المسلمين وعدوهم الغاصب, ذلك العدو الذي كان يهدد وجود المسلمين واستقرارهم على متن الجزيرة, حتى تمَّ له في النهاية القضاء عليهم.

وبالرجوع إلى بدايات الوجود العربي الإسلامي في الأندلس منذ عصر الولاة عام (95هـ) وانتهاء الخلافة الأموية في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهـ, وبالتالي قيام دول ملوك الطوائف, وسقوطها في يد (يوسف بن تاشفين) زعيم المرابطين في المغرب نلاحظ أنَّ سقوط أولى المدن الأندلسية بيد النصارى عام (478هـ)[1]. أصبح يشكل خطراً على العديد من المدن الإسلامية، مما جعل ملوك الطوائف يلتمسون العون من جيرانهم المرابطين إخوانهم في الدين والعقيدة، والذين استجابوا كعادتهم لنصر الأندلسيين. ووقعت معركة (الزّلاقة)[2] عام (479هـ). وقد اعتبرت معركة (الزّلاقة) من أيام الأندلس المشهورة, ولكنها جعلت المرابطين يطمعون بالسيطرة على الأندلس, وخاصة بعد حياة الرفاهية التي كان يحياها ملوك الطوائف بعد هذا الانتصار العظيم, فاستولوا على العديد من القواعد الأندلسية, وحكموا الأندلس زهاء نصف قرن.[3]

ولكن بعد موت (يوسف بن تاشفين) صاحب السلطة الأولى في البلاد, خلفه ابنه (علي) الذي ساعد على انتشار الفرقة والانحلال مع حلفائه, وعاد الفرنج إلى إجلاء المرابطين عن

---

[1] عنان, محمد عبد الله: دولة **الإسلام في الأندلس**, نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين, العصر الرابع,

ط: 3, القاهرة, 1966, ص: 18.

[2] **الزّلاقة**: هي مكان منبسط تتخلله بعض الأحراش في ضاحية سرقسطة, وكانت تسمى (السهلة), ويطلق عليها الأسبان اسم

(ساكر الياس), ويقع هذا السهل إلى الشمال الشرقي من بطليوس على مقربة من حدود البرتغال الحالية.

- ينظر: المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. تحقيق: د. مريم قاسم طويل وآخرين, دار الكتب العلمية: بيروت, ج: 1, ص: 420.
- ينظر: الدَّقاق, عمر: **معركة الزّلاقة**, دار الشرق العربي: بيروت. ص: 87.
- المرابطون هم فرقة سياسية دينية أسَّسها في بلاد السنغال زعيم مسلمي البربر (يحيى بن إبراهيم الجدَّالي).

[3] عاصي, ميشال: **الشعر والبيئة في الأندلس**, المكتب التجاري للطباعة والنشر: بيروت, ط: 1, 1970, ص: 33.

موقعهم حتى انهارت سلطتهم وكان ذلك في العام (545هـ)[1] وآل الأمر من بعدهم إلى الموحدين. وقد أسس حزب الموحدين (محمد بن تومرت) الذي عُرف عنه التقوى والإصلاح[2], وكان محباً للعلم والعلماء, وقد تتلمذ على يد الغزالي ثم عاد بطريقة أطلق عليها اسم التوحيد تدعو السنة إلى مقاومة الحكام الفاسدين, وانقاد إليه العديد من الأشخاص عرفوا باسم الموحدين. وقد قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين وفي ظل الموحدين أحرزت الجيوش الإسلامية انتصاراً عظيماً على النصارى في معركة (الأرك)[3] عام (593هـ). وبعد هذا الانتصار العظيم, لم يلبث المسلمون فترة قصيرة حتى تمت هزيمتهم في موقعة (العقاب)[4], وكانت هذه المعركة بداية النهاية عند المسلمين يصفها أبو إسحاق الاشبيلي بقوله:

وقائلةٍ أراك تطيـــلُ فِكراً	كأنَّك قـد وقفْتَ لدى الحسابِ
فقلتُ لها أُفكِرُ في عقــابٍ	غدَا سـبباً لمعركـــة العُقابِ
فما في أرضِ أندلــسٍ مقامٌ	وقد دخَلَ البلا من كـلِّ بابِ[5]

(الوافر)

استخدم الشاعر العديد من الألفاظ الموحية بالتشاؤم وفقدان الأمل مثل (عِقاب, البلا...) وكأن الأندلس بعد هذه المعركة أصبحت أرض شؤم وعلى سكانها الرحيل عنها, وهذه الصورة تعكس الروح الانهزامية عند الشاعر.

---

(1) **المرجع السابق**, ص: 34.

(2) غريب, جورج: **العرب في الأندلس**, دار الثقافة: بيروت, ط: 3, 1978م. ص: 22.

(3) **الأرك هي: محله صغيرة, من أعمال قلعة رباح**, تقع على مسافة أحد عشر كيلو متراً في غربي مدينة (ثيودال ريال) الحديثة, وتقوم فوق ربوة عالية

(وثيودال ريال) تعني المدينة الملكية, وكانت هذه المنطقة تشكل نقطة الحدود بين قشتالة وأراضي المسلمين.

- ينظر: **المقري**, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 1, ص: 423. ج: 4, ص: 90.

- ينظر: عنان, محمد عبد الله: ع**صر المرابطين والموحدين في الأندلس**, العصر الثالث, ط: 1, القاهرة, 1964, ص: 200.

(4) "**العُقاب**" بضم العين: حصن قريب من البيرة, و"العِقاب" بكسر العين: الموقع الذي جرت فيه المعركة بين الموحدين والدولة الأسبانية عام 609.

- ينظر: المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 1, ص: 325.

(5) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 222.

وقد عُرِفت هذه المعركة في التواريخ النصرانية باسم (نافاس دي كولوسا), وهذا الاسم مازال يطلق حتى اليوم على محلة أو ضيعة صغيرة تقع في سفح جبال (الشارات)[1]. واعتبرت هذه المعركة ضربة قوية وحاسمة لسلطان الموحدين (محمد الناصر) ابن يعقوب الناصر خليفة الموحدين, وبعد معركة العقاب بدأت حالة الفوضى والنزاع تدب في المدن الأندلسية, من جديد وخاصة بعد الضربات المؤلمة التي بدأت أسبانيا النصرانية توجهها للمدن الأندلسية. وقد جاءت هذه الحركة الاستردادية من النصارى بعد مرحلة طال انتظارها, واستطاعت اسبانيا منذ منتصف القرن الثامن الهجري, أن تمد سيطرتها, وتمدد أطماعها تجاه المدن الجنوبية التي سقطت تباعاً وكانت أولى المدن الأندلسية, التي سقطت بعد معركة (العُقاب) مدينة (لُك) في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة, تلاها العديد من المدن الأندلسية مثل: استرقة, وسمورة, وشلمنة, وكانت معظم المدن الأندلسية التي سقطت في تلك الفترة قريبة جداً من المملكة النصرانية.

وعلى الرغم من سقوط العديد من المدن الأندلسية, سواء أكانت في الجنوب أم في الشمال – وتحقيق النصارى لأطماعهم في توسيع مملكتهم على حساب المملكة العربية الإسلامية في الأندلس, والقضاء على العقيدة الإسلامية – إلا أن القدر شاء أن يرجئ هذا الانهيار التام للمدن الأندلسية, والدين الإسلامي, ويجعل الإسلام ودولته يخرجان إلى النور من جديد وذلك في ظل مملكة استطاعت أن تنهض من بين أنقاض الموت والضياع, وتحافظ على عروبتها وعقيدتها مدة ليست بالقصيرة تتراوح بين القرنين ونصف القرن من الزمن, هي مملكة (غرناطة) ويقال إغرناطة[2].

---

(1) عنان، محمد عبد الله: **عصر المرابطين والموحدين في الأندلس**، العصر الثالث، ص: 302.

(2) كلا الاسمين أعجمي, ومعناها قديم يرجع إلى عهد الرومان والقوط ويرى البعض أنه مشتق من الكلمة الرومانية بمعنى (الرمانه), وقد سميت كذلك

لجمالها,وكثرة حدائق الرمان والكروم فيها, أو أنها ترجع إلى أصل بربري مشتق من اسم إحدى القبائل وغرناطة مدينة كورة (البيرة), والبيرة من

أعظم كُوَر الأندلس قبل خرابها, وكانت تسمى في عهود قبل الإسلام (سنام الأندلس).

- ينظر: الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, دار الكتب العلمية: بيروت, ص: 13.

وكانت غرناطة في عهد الدولة الأموية عامرة ومزدهرة, وقد خلفت غرناطة البيرة, فازدهرت وعمرت, وقد سميت غرناطة (دمشق الأندلس)[1] وخاصة بعد تفرق جند الشام فيها, بعد معركة (بلاط الشهداء)[2] عام (114هـ)[3]. بعد انهيار الخلافة الأموية, وتعاقب الفتن, وقيام البربر على تخريب البلاد وخاصة مدينة إِلبيرة[4], اختفى اسم إِلبيرة, وأصبحت غرناطة قاعدة لولاية فانقلبت العمارة إليها من البيرة, بالرغم من اعتبار إِلبيرة وغرناطة في معظم الأحيان – ولاسيما في المراحل الأولى لتاريخ الأندلس – اسمين لمكان واحد[5].

وفي الوقت الذي اهتز فيه حكم الموحدين بسبب عوامل الثورة, التي كانت تعم المغرب العربي, ظهر هناك زعيم ينتمي إلى بيت عريق هو (محمد بن يوسف بن هود الجذامي)[6], وقد تمثلت دعوته بوجوب العمل على تحرير الأندلس وتخليصها من الموحدين والنصارى معاً, وازدادت قوة ابن هود وسيطرته بعد ذلك على معظم المدن الأندلسية وقد دخل مع النصارى في العديد من المعارك مثل معركة (شريش), ولكن بعد هذه المعركة أصبحت الفرصة سانحة

– ينظر: عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 22.

– ينظر: الخطيب لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 13.

– ينظر: **المصدر السابق**, ص: 22.

– ينظر: الداية محمد رضوان: **ديوان أبي إسحاق الالبيري**, مؤسسة الرسالة: بيروت, ط: 1, 1976, ص: 126.

(1) **المرجع السابق**, ص: 126.

(2) **سميت بلاط الشهداء بهذا الاسم نسبة إلى البلاط المرصوف في ذلك الطريق الروماني**, وقد تعني القصر أو الحصن الذي تحيط به الحدائق التابعة له,

ويبدو أن المعركة وقعت بجوار حصن أو قصر أو طريق مرصوف بالبلاط, مع الإشارة إلى كثرة المسلمين الذين سقطوا فيها.

– ينظر: الأشتر, صالح: **معركة بلاط الشهداء**, دار الشرق العربي, بيروت, ص: 54.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**. وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, ج: 1, ص: 226.

– ينظر: عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 21.

(4) الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 14.

(5) المقري، أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج: 1، ص: 148.

– ينظر: عنان، عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، ص: 22.

– ينظر: حزّان, حبيب: **الأدب الأندلسي من الاحتلال إلى الارتحال**, دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر: شفا عمرو, 1989, ص: 237.

– ينظر: مؤنس, حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**, دار مطابع المستقبل: القاهرة, ط: 1, 1980, ص: 381.

(6) عناني, محمد زكريا: **تاريخ الأدب الأندلسي**, دار المعرفة الجامعية: القاهرة, 1999م, ص: 27.

للنصارى, لفرض سيطرتهم على قرطبة, في الوقت الذي انشغل فيه ابن هود في قتال خصـــمه ومنافسه الجديد, (محمد بن الأحمر), الذي سطع نجمه وسط الأندلس وجنوبها في سرعة كبيـــرة, وقد سيطر على العديد من القلاع والقواعد الأندلسية, وخاصة أرجونه, وهي حصن من حصون قرطبة، وبالتالي شعر ابن هود بخطورة هذا القائد العظيم بعد شهرته, فعـــزم علــى محاربتـــه, والقضاء عليه قبل تفرغه لمحاربة النصارى والموحدين, فحصلت معركة قوية بـــين الطـــرفين, وكانت الغلبة فيها لابن الأحمر, وحليفه (الباجي) المتغلب على اشبيلية ثم حصـــلت هدنـــة بـــين الطرفين, لتفرغهما لقتال النصارى ومنازلتهم[1].

وبعد دخول النصارى إلى قرطبة عام (633هـ) بعامين, توفي ابن هود فـــي ظـــروف غامضة, وعلى إثر وفاته, وانهيار دولته, بادَرَ النصارى ومنهم ملك أرجونة بـــاحتلال بلنســـية وغيرها من المدن الأندلسية, وفي هذه الآونة العصيبة التي أخذت فيها قواعد الأندلس بالانهيـــار والسقوط, وبدأ شبح الفناء يخيم على الجزيرة الخضراء والوجود العربي الإسلامي في الأندلس, ولدت حـــياة جديدة لمملكـــة إســـلامية عتيـــدة هـــي (مملكة غرناطة) بقيادة زعيم مســـلم هـــو (محمد بن يوسف النصري), المعروف بابن الأحمر, سليل بني نصر[2], وهم في الأصـــل مـــن أرجونة. ولهم فيها سَلَفٌ من أبناء الجند, ويعرفون ببني نصر, وينتســـبون إلـــى ســـعد بـــــن عبادة ســـيد الخزرج, وكـــان كـــبيرهم لآخـــر دولة الموحدين, (محمـــد بـــن يوســـف بـــــن نصـــر), ويعـــرف بالشـــــيخ, وأخـــوه إسماعيل, وكانت له وجاهة على ناحيتهم[3]. يصـــفهم ابن الخطيب بقوله:

تنميه[4] من أبناءِ نصر ســـــادةً حاطوا العِبادَ, ودمروا الإشراكا

فتراهُم في يومِ محتدمِ الوغى أُسُـــــداً, وفي خَلَواتِهم نِســـاكا[5]

---

(1) عنان, عبد الله: **عصر المرابطين والموحدين في الأندلس**, ص: 416.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 38.

(3) المقري, أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرَّطيب**, ج: 1, ص: 426.

(4) **تنميه: رفعةٌ وعلو في الشأن**. ينظر: ابراهيم أنيس وآخرون: الوسيط، ط: 2، القاهرة، 1972، ص: 997.

(5) ابن الخطيب, لسان الدين: **الديوان**, تحقيق: محمد مفتاح, المجلد الأول, دار الثقافة: الدار البيضاء, ص: 33.

(الكامل)

يتفاخر الشاعر ببني نصر, فهم سادة, يمتازون بالسلطة والقدرة على إنهاء الشِرك, كما أنهم أسودٌ في معاركهم وإجلائهم لأعدائهم.

وبدخول ابن الأحمر إلى غرناطة, أصبحت هذه الولاية مملكته الخاصة, ومستقر حكمه, ثم عمل بعد سيطرته على غرناطة على بسط نفوذه على سائر الشواطئ الجنوبية, وخاصة لورقة, أما (بنو اشقيلوله) وهم من المولدين والمعارضين لحركة ابن هود انحازوا إلى ابن الأحمر, وتمت المصاهرة بين الزعيمين, ولكن ابن الأحمر كان يخشاهما دائماً.

وفي عام (640هـ)[1], في احتفال فخم, وبعد سقوط مرسية, بدأ فرناندو الثالث يرى أن ابن الأحمر هو الخطر الذي يقف عائقاً أمام أطماعه في المدن الأندلسية[2], وخاصة الجنوبية منها, لقربها من المملكة النصرانية, التي تحاول دائماً التوسع والسيطرة على أكبر عدد ممكن من المدن الإسلامية وتفريغها من سكانها الأصليين. ابن الأحمر من جهته شعر بالخطر العظيم الذي يحيط به, والمهمة العظيمة التي ألقاها القدر على عاتقه, وهي محاربة النصارى, وتخليص تراث الوطن منهم, فالتقى بهم في أول معركة بعد تسلمه غرناطة وهي معركة حصلت في قلعة (حرتش), تمكن القائد ابن الأحمر من قتل قائد النصارى (ردريجو الفونسو) الأخ غير الشرعي لفرناندو الثالث[3]. لكن النصارى لم يفوتوا هذه الفرصة لابن الأحمر, فقاموا باحتلال جيان وعاثوا فيها فساداً, إضافةً إلى احتلالهم حصن أرجونو وهو موطن بني نصر, ثم حاصروا غرناطة نفسها عام (642هـ)[4] ولكن بعد تكرار العديد من الهجمات الصليبية على العديد من القلاع والحصون الأندلسية, أدرك ابن الأحمر أن السياسة تقتضي منه بأن يحني رأسه للعاصفة,

---

- ينظر: العبادي, أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**, مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية, ص: 392.

(1) عناني, محمد زكريا: **تاريخ الأدب الأندلسي**, ص: 28.

- ينظر: الملاح, ياسر: **من الفجر إلى الغروب**, ط: 1, مطبعة الإسراء: القدس, 1993م, ص: 234.

(2) **المرجع السابق**, ص: 29.

(3) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 42.

(4) **المرجع السابق**, ص: 42.

فلم يجد بداً من الاتفاق مع ملك قشتالة, بل كان عليه أيضاً أن يؤدي دوراً مهيناً, وهو المشاركة بجملة من فرسانه لمساندة النصارى في حصارهم لاشبيلية حتى تم افتتاحها عام (646هـ)[1]. وتم في ما بعد تسليم ابن الأحمر جيَّان وأرجونة, وبركونة, وبيع, والحجاز لملك قشتالة, ومقابل تنازل ملك غرناطة لملك قشتالة عن العديد من المدن الأندلسية تم الاتفاق بينهما وتوقيع صلح استمر مدة عشرين عاماً[2], استطاعت غرناطة خلال هذه الفترة أن تنعم بأمنها واستقرارها, بالمقابل كثف النصارى غاراتهم وهجومهم على بقية المدن الأندلسية, مما أدى إلى هروب العديد من المسلمين من تلك الأقطار إلى غرناطة, وبذلك يكون النصارى قد استولوا على العديد من المدن والقلاع الشرقية.

وبانتهاء العام (645هـ)[3] كان ملك قشتالة قد سيطر على المدن والقلاع القريبة من اشبيلية بما فيها اشبيلية نفسها التي رثاها ابن سهل الإسرائيلي وبين مدى قسوة النصارى في اضطهاد المسلمين فيها يقول:

الكُفرُ مُمتد المطامعِ والهدى	متمسك بذئاب عيش أغبَرِ!
كم نكروا من مَعْلَمٍ, كم دمروا؟	من معشر, كم غيروا من مَعْشَرِ!
كم أبطلوا سنن النبي وعَطَّلُوا	من حلية التوحيد صهوة[4] منبَرِ![5]

(الكامل)

لقد صوَّر الشاعر كل معالم الوحشية التي ارتكبها النصارى في اشبيلية من قتل وتدمير, وتنكيل وخاصة عندما استخدم العديد من التعابير اللفظية مثل: الكفر الممتد, ونكروا من معلم, وغيروا من معشرٍ...

---

[1] الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ج: 1, ط: 1, 1998, ص: 128.

[2] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 43.

[3] عناني, محمد زكريا: **تاريخ الأدب الأندلسي**, ص: 28.

[4] صهوة: العالي من الشيء. ينظر: **ابن منظور**، جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، مادة (صَهَوَ)، ص: 471.

[5] ابن سهل الإسرائيلي: الديوان, شرحه: أحمد حسنين القرني, المكتبة العصرية: مصر, ط: 1, 1926, ص: 38 – 39.

وقد ساند ابن الأحمر ملك قشتالة (فرناندو الثالث) في سيطرته على اشبيلية, لأنه أراد أن ينتقم من أهلها الذين خذلوه وخرجوا عن طاعته[1], على الرغم من المقاومة العنيفة التي أبـــداها سكان اشبيلية, إلا أنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام هذا المد العظيم من الجيـــوش الزاحفـــة التـــي دخلت المنطقة, وسيطرت عليها, وأجبرت العديد من سكانها على مغادرتها والرحيل عنها.

وعندما تفاقمت أهوال الحصار وضع ابن سهل الاشبيلي قصيدته المؤثرة يستصرخ بهـــا أهل العروبة على نصرة إخوانهم يقول:

نادى الجهادُ بكم بنصر مُضْمَرٍ	يبدو لكـــم بين القنا[2] والضَّمَرِ[3]
يا مَعْشرَ العُربِ الذين توارَثوا	شِـــيَم الحميةِ كابراً عـــــن أكبرِ
أنتم أحقُّ بنصـــــــر دينِ نبيكم	وبكم تمَهَّدَ في قديمِ الأَعْصُـــــرِ[4]

(الكامل)

يربط الشاعر الوجود العربي في الأندلس باستمرارية الجهاد, الذي صَوَّره كالمنادي ثـــم عادَ وركزَّ على ضرورة هذا النداء من خلال استخدامه حرف النداء (يا) في البيت الثاني, ولكنه لم يجد ملبيِّاً, ويلجأ الشاعر إلى أسلوب الخطاب المباشر في ندائه الذي لم يخـــرج عـــن كونـــه تذكيراً بالماضي التليد لأبناءِ العروبة.

وبعد احتلال القشتاليين لأشبيلية ورحيل سكانها عنها عـــام (646هـــ) دخلهـــا ملكهـــم بموكب فخم, وانتهى بذلك حكم المسلمين لها بعد حكم استمر خمسة قرون[5]. وبعد سقوط اشبيلية

---

(1) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 45.

(2) القنا: ارتفاع في أعلى الأنف واحد يداب في وسطه، وسبوغ في طرفه.

- ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (قنا)، ص: 203.

(3) الضّمْرِ: الضامر البطن. ينظر: **المصدر السابق**، مادة (ضَمَرَ)، ص: 491.

(4) البستاني, بطرس: **ديوان ابن سهل**, مكتبة صادر: بيروت, 1953, ص: 162 – 163.

- ينظر: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**, المؤلف مجهول, الجزائر, 1920, ص: 74.
- ينظر: **ابن سهل الأندلسي**: الديوان, ص: 38.

(5) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس**, ص: 48.

عام (646هـ), سقط العديد من المدن الأندلسية الأخرى مثل: (شريش), و(شذونة), و(قــادس), وشلوقة, وغليانة وغيرها من المدن الأندلسية, وبهذا يكون النصارى قد بسطوا حكمهم على مدن الجهة الغربية, في الوقت الذي كان يقوم به ابن الأحمر على مساعدتهم رغماً عنه للحفاظ علــى بلاده آمنة مستقرة ويجنبها ما حل باشبيلية وأهلها, وجيَّان التي حاصــرها ملــك قشــتالة عــام (642هــ) قبل اشبيلية, بعد أن أرغم حاكمها (أبو عمر علي بن موسى) علــى إرســال رســالة استنجاد إلى ابن الأحمر, يدعوه فيها إلى مده بالطعام والعتاد مقابل بقاء ابــن الأحمــر حاكمــاً لغرناطة وما حولها. ولكن ابن الأحمر قد ضاق ذرعاً بخضوعه لملك أعدائه, وكان يتجه ببصره إلى ما وراء البحر, إلى إخوانه في العقيدة والدين إلى (المرينيين), ومع ذلك فقد اســتجاب بنــو مرين إلى دعوة ابن الأحمر بعد رسالة الاستنجاد التي كتبها مالك بن المرحل وقرئــت بجــامع فاس: وكانت قصيدة مؤثرة طُبِعَ صداها في القلوب والعقول يقول:

نادت بكم أندلــس ناشــــرةً	برَحْــــمِ الــدينِ ونِعَم الرَّحمُ
فاسترحَمَتْكم فَارحموها إنـــه	لا يَرْحَمُ الرَّحمنُ مَنْ لا يَرْحَمُ
ما هي إلا قطعةٌ مِن أَرضِكُمُ	وأَهْلُها مِنْكُــم وأنتــم منهمُ[1]

(البسيط)

استخدم الشاعر أسلوب النداء مع الاستعطاف, فكانت الأندلس بمثابة الغريق الذي يطلب المساندة والرحمة للخلاص, ويستغل الشاعر عاطفة الأخوة والترابط بين الشعبين.

وعندما وصلته رسالة الاستنجاد أجابه بمثلها:

شَهِدَ الإله وأنتِ يا أرضُ اشهدي	أنَّا أجبنا صرخَةَ المســــتنجِدِ
لمَّا دعا الدَّاعي وردَّدَ مُعــــلِناً	قمنا لنصـــــرته ولم نتــرَدَّدِ
اللهُ يعْلَــمُ أننا لــم نعتقـــــــد	إلا الجهادَ ونَصْرَ دِين محمَّدِ[2]

---

[1] مجهول: **الذخيرة السنية**, ص: 108 – 112.

[2] الداية, محمد رضوان: **المختار من الشعر الأندلسي**, دار الفكر المعاصر: بيروت, ط: 3, ص: 260.

(الكامل)

لعل تنوع دلالة الأفعال التي استخدمها الشاعر يؤكد على تحقيق الأمـــر وتلبيـــة النـــداء ويبين في الوقت نفسه مدى الترابط بين الشعبين مع ظهور للعاطفة الدينية المتأصلة التي عملـــت على الإسراع في تلبية النداء, واستطاع الأخير بمعاونتهم أن يتغلب على النصارى وأن ينتـــزع مدينة شريش منهم.[1]

وبحلول العام(662هـــ) دخل قائد القشتاليين استجه, وأخـــرج أهلهـــا المســـلمين منهـــا, وفرض سيطرته عليها, وقتل وأسر العديد من سكانها, وفي هذه الفترة عـــاد الاســـتنجاد بأهـــل المغرب مرة ثانية, وأهل أفريقية, فأعلن ابن الأحمر بيعته للملك (المستنصر بـــالله الحفصـــي), ولكن بيعته له لم تسفر عن أي شيء, واستمر العدوان على العديد من المدن الأندلسية ولم يجـــد ابن الأحمر مناصاً سوى العودة لعقد المعاهدة لمرة ثانية مع ملك قشتالة, فتم له ذلـــك و بـــذلك تكون الأندلس قد فقدت العديد من مدنها, وقواعدها في الفترة الواقعة بين (627 – 655هـــ) في العديد من المحن والحروبات والمآسي التي مرت على تلك المدن لم يبق منها, ســـوى غرناطـــة وبعض الحصون المحيطة بها, لقد شكلت تلك المآسي أو المحن التي مـــرت بالأنـــدلس وازعـــاً ودافعاً للشعراء, لإستنهاض عزيمتهم, واستحضار قريحتهم, لوصف ما حل بالأندلس من ضياع, وتشريد, سواء كوصف, أو كرسائل, أو شعر استنجاد بغيرهم من الأمم والشعوب المجاورة, كما سنلاحظ من خلال الفصل الثاني من هذا البحث إن شاء الله.

ومن أكثر القصائد المعبرة التي قيلت عند سقوط العديد من المدن الأندلسية وتنبئ بسقوط المزيد من المدن الأندلسية نونية أبي البقاء الرندي حيث يقول:

لكـــلِّ شـــــيءٍ إذا مـــــا تمَّ نقصـــــانُ   فلا يُغَرَّ بطيبِ العيـــشِ إنســـانُ
فجائِـــــعُ الدَّهــــرِ أنــــواعٌ منوَّعـــــة   وللزمانِ مَسَرَّتٌ وأحزانُ

---

[1] الركابي,جودت: **في الأدب الأندلسي**, دار المعارف: مصر, ط: 3, ص: 30.

دهـــى الجزيـــرةَ أمرٌ لا عــــــــزاءَ لـــه   هوى لـــه أحـــدٌ وانـــهَدَّ ثهلانُ[1]

(البسيط)

لقد ندب أبو البقاء نفسه عن أهل الأندلس من هول المصيبة وكثرة الفجائع التي حلّت, والمصيبة العظيمة التي دهت الأندلس أمر يجلّ عن العزاء فيه.

في العام (671هـ) توفي ابن الأحمر, بعد سقوطه عن جواده, بعد عودته من معركة ردَّ فيها جمعاً من الخوارج[2], ودفن بالمقبرة الجامعة العتيقة بسنام السبيكة[3].وقبل وفاته عين ولياً بعهده ولده الأمير (أبو سعيد فرج بن محمد بن يوسف), ولكنه توفي في عهد والده, فعين بعده ولده محمد أكبر أبنائه, وبذلك يكون الحكم في تلك المملكة حكماً ملكياً, وبموت هذا المؤسس العظيم, استقر ملك بني نصر على أسس ثابتة, واستطاع أن ينهض وسط مظاهر الاضطراب والمطامع التي كانت تجتاح ما بقي من ملك المسلمين في شبه جزيرة الأندلس. ومع ذلك فقد قدِّر له أن يدوم نحو قرنين ونصف قرن من الزمان, على الرغم من أمرين: الصراع غير المتكافئ وقتذاك بين النصرانية والإسلام, والحروب الداخلية التي عانت منها مملكة غرناطة, تلك التي تعاقب الحكم فيها عشرون من أبناء محمد بن يوسف بن نصر وأحفاده[4]. وخلال حكمهم استطاعوا أن ينتهجوا سياسة مرنه تتراوح بين المهادنة عند قوة خصمهم, واستعمال القوة إذا آنسوا في جيرانهم الضعف, وكثيراً ما كانوا يعملون على التخريب بين جيرانهم المسيحيين, أو يتدخلون في شؤونهم الداخلية, متبعين سياسة الأعداء نفسها, وكثيراً ما كانوا يستنجدون بإخوانهم المسلمين في شمال أفريقية. وهكذا كان سلوكهم السياسي مزيجاً بين اللجوء للقوة والسياسة مما أدى إلى إيجاد ذلك التوازن بينهم وبين المجاورين لهم, وهذا هو العامل الأساسي الذي أطال

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 223.

– ينظر: بالنثيا, أنجل: **تاريخ الفكر الأندلسي**, مكتبة النهضة المصرية: القاهرة, ط: 1, 1955, ص: 131.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 53.

(3) الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, المطبعة السلفية: القاهرة ص: 36.

(4) عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, دار النهضة العربية: بيروت, 1975, ص: 120.

– ينظر: الركابي, جودت: **في الأدب الأندلسي**, ص: 30.

عمر مملكتهم بعد ظهور العديد من المقدمات للنهاية[1]. يقول ملك غرناطة يوسف الثالث مادحاً قومه ومفتخراً بسياستهم:

وتعرفنا الغــوادي[2] والعوافي[3]	فيقصـــــدنا الترَحّلُ والمقامُ
وأمر الخلقِ مصـــــروفٌ إلينا	ومثوابا الكرامـــــةِ والكِرامُ
ونحنُ الليل في عِظَمٍ وهــولِ	ونحنُ الشمسُ يسترها اكتتامُ
يسودُ المرءُ منا وهو طفـــــلٌ	ويملك فـــي ترعرعه الأنامُ[4]

(الوافر)

فالشاعر هنا يفتخر بآل نصر, ويصفهم بصفات العز والفخار, فهم معروفون عند الجميع ويقصدهم الجميع, وكل الأمور بأيديهُم, وسمة الملوكية عندهم منذ الصغر.

فشعر الفخر القبلي قد اتصل بالسياسة منذ العصر الجاهلي أو منذ وجود القبيلة العربية التي تعد الصورة المصغرة للدولة.[5]

وبانتهاء عهد (محمد بن يوسف بن نصر) ذلك العهد الذي كـــان حـــافلاً بالعديـــد مـــن الهجمات والتحديات من قبل الأســـبان, وســـقوط العديد من المدن والقلاع الأندلسية تحـــت سيطرتهم, ولكنه يعدُّ بحق عصـــر النهضـــة والثقافـــة والأدب, بـــالرغم مـــــن اســـــتمرار سياســـــة المهادنة التي اســـتخدمها هذا الحاكم لحمايـــة غرناطة مما حـــــلَّ باشــــبيلية, وبلنســـية عندما احتلهما الأســـبان, وفرض ســـيطرته عليهمـــا, وإجبـــار المـــواطنين علـــى الخـــروج من بيوتهم والرحيل عنها. يقول ابن الآبار القضاعي في ذلك:

---

[1] الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 128.

[2] الغوادي: الغادية: السحابة تنشأ فتمطر غدوة. **ينظر: ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 678.

[3] العوافي: ما يظفر به الإنسان والحيوان ليلاً من صيد. ينظر: **المرجع السابق**، ص: 668.

[4] كنون, عبد الله: **ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث)**, مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة, ط: 2, 1965, ص: 109 – 110.

[5] الشايب، أحمد: **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري**، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966، ص: 25.

يا للجزيرةِ أضــــحى أهْلُهــا جَزُرَاً	للحادثاتِ وأمسى جَدُّها تعِســـــا
تقاسَــــمَ الرومُ لا نالتْ مقاسِـــمُهُم	إلا عقائِلَها المحجوبــةَ الأُنُسَـــــا
وفي بلنســــــيةٍ منهــا وقرطبــــةٍ	ما ينسِفُ النَّفْسَ أو ما ينزِفُ النَّفَسَا[1]

(البسيط)

ظاهرة الحزن والأسى واضحة على ما حلَّ بالأندلسيين وخاصة عندما تقاسمت الــروم بلادهم, فهي مصيبة عظيمة لا صبر عليها ولا سلوان.

خلف (محمد بن يوسف) الملقب بــ (الغالب بالله)[2], ابنه (محمد الثاني) الملقب بالفقيــه, وهو ثاني الملوك الغالبين من بني نصر, وأساس أمرهم, وفحل جماعتهم[3], مهدَّ للدولــة وأقــام رســوخها, واســتطاع القضــاء على العديد من الثورات والفتــن, وخاصـــة بعد مــوت والده (محمد بن يوسف), قام بالأمر بعد أبيه, وباشره مباشرة الوزير أيام حياته فجــرى علــى نهــج أجناسه, ومداراة عدوه[4], بالإضافة إلى كونه أديباً يقرض الشعر ويشجع العلماءَ والشعر.

في بداية عهد الفقيه نشط ملك قشتالة (الفونسو العاشر) إلى عداء المسلمين مــرة ثانيــة وخاصة بعد اعتقاده أن دولة الإسلام في الأندلس قد بدأت نهايتها. في هذه الأثناء نشــأت دولــة فتية قوية في المغرب, هي دولة بني مرين,[5] قامت دولة المرينيين على أنقاض دولة الموحدين, التي سرت إليها عوامل الضعف والتفكك بعد موقعة (العُقاب) عام (609هــ), وبالتالي اســتطاع المرينيون أن يزحفوا إلى المغرب, والاشتباك مع الموحدين في العديد من المعارك التي أسفرت عن هزيمة بن مرين أحياناً, وانتصارهم أحياناً أخرى, وفي العام (648هــ) تمكن بنو مرين من

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 215 – 216.

(2) **كولان: ج, س, الأندلس**, ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون, دار الكتاب اللبناني: بيروت, ط: 1, 1980, ص: 326.

(3) الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 326.

(4) **المصدر السابق**, ص: 38.

(5) بنو مرين بطن من بطون قبيلة (زناته) **البربرية الشــهيرة**, ويرجعون بنســبهم إلى العَرَب المضرية, وذلك بالانتســاب إلى (بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار).

- ينظر: ابن نصــر, إســماعيل بــن يوســف: **نثير فوائــد الجــمان فــي نظــم فحــول الزمان**, تحقيق: محمد رضوان الداية, دار الثقافة: القاهرة, 1956, ص: 28.

هزيمة الموحدين, وبسط سيطرتهم, ثم استطاع بعدها ملوك النصارى من قهرهم وإخراجهم من الأندلس.

وإلى هذه الدولة الفتية القوية وجه (محمد بن محمد بن يوسف) أنظاره للاستنجاد بهم, كما طلب إليه والده قبل وفاته[1], عندما أرسل رسالة استنجاد وإغاثة للسلطان المريني (أبو يوسف). في تلك الأثناء كان سلطان بني مرين مشغولاً بحربه ضد تلمسان, وبعد القضاء على حاكمها وانتصاره عليه, عادَ إلى المغرب, ولكن النجدة لم تصل إلى محمد الأول, وبتسلم محمد الثاني الحكم, أرسل إلى السلطان (أبو يوسف) رسالة استغاثة, واستنجاد, تحث السلطان المريني على إنقاذ دولة الأندلس من الضياع, والسقوط بيد الأسبان ومما جاء في الرسالة:

مرين جنودُ الله أكبر عصبةٍ	فَهُمْ في بني أعصارهم كالمواسمِ
مثقَّفةٌ أسْمَاعُهم لِمدائحَ	مُسَوِّرَةٌ إيمانَهم بالصوارمِ[2]

(الطويل)

المرينيون عصبة قوية كالإعصار, تميزوا بشجاعتهم وقوتهم الصادقة, فكان أسلوب الوصف عند الشاعر متنوعاً بين الوصف المادي والحسي ليفي بغرض الاستنجاد.

لبى السلطان نداء ابن الأحمر (محمد الثاني) واستغاثته, وخرج بجيش كبير سنة (673هـ) إلى الأندلس بهدف الجهاد, ومساندة أهل الأندلس ضد النصارى, وكان جيشه قد وصل إلى (شريش), نزلوا بها وسلبوا جميع خيراتها وعادوا إلى المغرب. وبالاتفاق مع ابن الأحمر, سيطر (أبو يوسف) قائد الجند التابع لبني مرين, على العديد من المدن أهمها (رنده), مقابل مساندة بني مرين لأهل الأندلس بشكل عام وابن الأحمر بشكل خاص. اشتد القتال بين النصارى وقائد الجند (أبو يوسف) فامتدت جيوشه نحو (فرنتيرة) التي كانت في تلك الفترة

[1] المقري, أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**, ج: 1, ص: 428.
[2] مجهول: **الذخيرة السنية**, ص: 159 – 161.

تحت سيطرة النصارى[1] ثم اشتبك الطرفان جنوب غرب غرناطة عام (674هـ), كان الاشتباك شديداً وحاسماً تم النصر فيه لجيوش المسلمين, وبهذا الانتصار تكون رسالة ابن الأحمر لطلب النجدة قد حققت أهدافها, وأبرزت قدرة المسلمين على طرد النصارى وإيقاف أطماعهم التي تهدد الوجود العربي الإسلامي في الأندلس في كل فترة, لبث (أبو يوسف) في الجزيرة الخضراء مدة خمسة أشهر قضاها بين مد وجزر مع النصارى, ثم عادَ إلى المغرب عام (674هـ), ولكنه في فترة أخرى عادَ إلى الأندلس واستلم (أشقيلولة) من أهلها وحاول مرة أخرى السيطرة على بعض المدن الخاضعة للسيطرة النصرانية, ولكن القشتاليين تجنبوا هذه المرة الدخول معه في حرب لا هوادة فيها. وفي العام (679هـ) انتهز القشتاليون حالة الفوضى والنزاع التي حصلت بين بني الأحمر وسلطان المغرب, حول السيطرة على العديد من المدن الأندلسية, وفي العام (679هـ) قاموا بحصار (غرناطة) محاولين السيطرة عليها, لكنهم لم يستطيعوا ذلك, بسبب المواجهة العنيفة التي أبداها ابن الأحمر في الدفاع عن حصنه ومملكته, ولكن الوقت لم يكن مسعفاً لابن الأحمر الذي أدرك بعد حين مدى خطورة القشتاليين من جهة, والمد المغربي الذي دخل إلى الأندلس كقوة مساندة له ضد النصارى, ثم تحولت إلى قوة عكسية ضده, تحاول السيطرة على ملكه والتدخل في شؤونه الداخلية[2], ولكن بعد مدة قصيرة حصل ذلك التوافق, بعد رسالة أرسلها ابن الأحمر على لسان كاتبه أبي عمران بن المرابط يستعطف بها السلطان ويستنجده يقول:

هل من معيني في الهوى أو منجدي ... مِنْ مُتْهَمٍ في الأرض أو من منجدِ
هذا الهوى داعٍ فهل من مُسْعِفٍ ... بإجابةٍ وإنابةٍ أو مُسعِدِ

ومنها في الاستغاثة:

أبني مرين والقبائلُ كلُّها ... في المغربِ الأدنى لنا والأبعَدِ
كُتِبَ الجهادُ عليكم فتبادروا ... منه إلى العَرَضِ الأحقِّ الأوكَدِ

---

[1] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 99.
[2] الملاح, ياسر: **من الفجر إلى الغروب**, ص: 236.

أنتم جيوشُ الله مِلْءُ فَضائهِ   تأسَــــوْن للدينِ الغريب المُفْرَدِ[1]

(الكامل)

أسـلوب الاسـتغاثة عند الشـعراء واحد, فقد اتسَّـم بالمـديح وإظهـار السـمات البطولية في الممدوح, بالإضـافة إلى إثارة النزعـة الدينية التـي تحثهـم على الإسـراع في المسـاندة والجهاد, لأن الجهاد فرض على كل مسـلم, وهنا صوَّر الشـاعر عظـيم جيـش المرينيين الذي ملأ الرحب عدداً وعُدَّة.

وفي العام (684هـ) قام السلطان المغربي بإعادة الزحف مرة أخرى على العديد مـن المدن النصرانية منها (شريش, واشبيلية) وغيرها من القلاع والحصون, بالمقابـل شـعر ابـن الأحمر بفرحة شديدة تجاه هذا الزحف وأرسل العديد من الجنود لمسـاعدته ومسـاندة سـلطان المغرب بحملته على النصارى ومدنهم, وعندما رأى ملك قشتالة (سانشو) هذه القوة العظيمـة, جنحَ إلى طلب السلْم والصلح, وكان له ما أراد مقابل امتناع النصارى عـن العبـث بأراضـي المسلمين, وإيقاف حملاتهم ضد المدن الإسلامية.

وفي العام (685هـ) توفي سلطان المغرب (أبو يوسف المنصور) تاركاً وراءه تاريخـاً طويلاً من الجهاد, وبعد موت (أبي يوسف) جاء بعده ولده الأمير (أبو يعقوب), حيـث جـرت العلاقة بينه وبين بني الأحمر كما كانت في عهد والده, يتحالف مع بني الأحمر ضد ملك قشتالة, ثم يتحالف مع ملك قشتالة ضد ابن الأحمر. وفي العام (690هـ) عادت هجمات القشتاليين مرة أخرى تهدد المدن الأندلسية, وبذلك يكون الاتفاق بين ملك قشتالة وابن الأحمر قد انتهى, وعادت المأساة تحاصر وتهدد مملكة غرناطة ثانية, مع عودة التوسل وطلـب المسـاندة مـن سـلطان المغرب مرة أخرى.

وفي ليلة الأحد الثامن من شعبان من العام (701هـ) توفي (محمد الفقيه) على مصـلاه متوجهاً لأداء فريضته على أتم الأحوال من الخشية والتأهب[1]. وقد تميز عهده بزيادة التـدخل

---

[1] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, منشورات الكتاب اللبناني: بيروت, 1968, ج: 7, ص: 198 – 200.

المريني في السياسة الداخلية لمملكة غرناطة, وخاصة بعد إنشاء ما يسمى (شيخ الغـزاة) وهـو لقب أطلق على قائد الوحدة العسكرية المغربية التي شكلت في غرناطة بـالرغم مـن تأديتهـا لوظائـف كثيرة وعديـدة لتلك المملكة[2], وفي عهـده تم إلحاق العديد من الهزائم بالنصـارى, وكان آخـرها مقتـل قائـد الطاغية القشـتالي (شـانجه بن أذفونـش)[3] بعـد احتلاله للعديد من المراكز الأندلسية.

ورث عرش غرناطة بعد (محمد الفقيه) ولده محمد الثالث الملقب (بالمخلوع), وهو ثالث ملوك بني نصر ويكنى (أبو عبد الله)[4], تولّى الحكم بعد والده عام (701هـ), وسار على نهجه, تقيّل سيرته, ونسج على منواله, لكنه امتاز بالفظاظة والقسوة بالرغم من كونه ضـريراً, يقـول مفتخِراً بنفسه ونسبه:

أوامري في الناس مسموعةٌ	وليس مني في الورى أشرفا
نحنُ ملوكُ الأرض مَن مِثْلُنا	حُزْناً تليـدَ الفخـر المَطْرَفا[5]

(السريع)

بدا الشـاعر مفتخراً بصورة كبيرة بنفسـه ونسـبه الذي لا يجاريها شـيء, ولا يعلو لمكانتها أحد.

ومنذ بداية عهده أدرك ضرورة عقد الهدنة مع ملـك قشـتالة للمحافظـة علـى ديـار المسلمين, ولو لوقت قصير, مقابل هذه الهدنة ساءت علاقته بالسلطان المغربي بالرغم من بادرة السلم التي أرسلها ابن الأحمر (محمد الثالث) إلى السلطان المغربي في معسكره الذي يحاصر به

---

(1) الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 45.

(2) الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 129.

(3) الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 329.

(4) الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 316.

(5) ابن الخطيب, لسـان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 49.

المطرفا: الكريم من الناس. **ينظر**: **ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 581.

(تلمسان), ولكن عزوف محمد الثالث فجأة عن مناصـــرة الســـلطان المرينـــي أدى إلـــى نشـــوء الخلاف بين الطرفين مرة أخرى, وكـــانت نتيجة هـــذا الخـــلاف أن قام ابن الأحمـــر بالتحريـــض على خلع أهـــل (ســـبته) لســـلطانهم المـــوالي لســـلطان المغـــرب, وعنـــد اســـتعداده لإعادة (ســـبته), اغتيل إثر مؤامرة دبرت له.

وفي العام (706هـ) حصل العديد من الفتن والتوترات الداخلية فـــي المغـــرب حـــول استلام العرش بين ولديه (أبو ثابت) و(أبو سالم), بعد صراع طويل استقر العرش لأبي ثابت[1]. ولكن بالرغم من قصر المدة التي حكم بها (محمد الثالث) البلاد إلا أنها شهدت عدة حوادث كان من أهمها الثورة التي أعلنها عليه أخوه (نصر بن محمد) بمساندة الخوارج الذين قاموا باعتقـــال السلطان (محمد الثالث), وأرغموه على التنازل عن العرش, وبعد قضائه خمسة أعوام في سجنه توفي ودفن في غرناطة عام (713هـ)[2].

وبعد (محمد الثالث) توّلى عرش غرناطة (نصر بن محمد بن محمد بن يوسف), الذي لم يكن يتجاوز من العمر الثالثة والعشرين. وبعد وفاة (محمد الثالث) قام ملك المغـــرب باســـترداد سبته وطرد جند ابن الأحمر فيها, وبهذه الحادثة ساءت الأمور كثيراً بين المغرب وملك غرناطة الذي كان مولعاً بالأبهة والمظاهر الملوكية, فأدى ذلك إلى سخط شعب غرناطـــة عليـــه, كمـــا سخطوا على أخيه من قبل, وفي الجهة المقابلة كان الخطر القشتالي يرقب الأحـــداث, وينتظـــر الفرصة للسيطرة, وإعادة احتلال ما يجاوره من المدن الأندلسية.

تجدد الهجوم عام (709هـ) وكان الهدف هذه المرة هو الاستيلاء على جبل طـــارق[3] والجزيرة الخضراء, بمساعدة ملك أرجون الذي عمل على إشغال الجيش الأندلسي فـــي الجهـــة الأخرى, بالرغم من معاهدة الصداقة التي كانت تجمع بينه وبين ملك غرناطـــة. وبعـــد فتـــرة قصيرة نشبت حرب بين المسلمين والنصارى الذين حاولوا السيطرة على ألمرية ولكن المسلمين

---

(1) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 113.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 114.

(3) **المرجع السابق**, ص: 115.

دافعوا عنها واستطاعوا أن يخلصوها من سيطرتهم, بالمقابل وقع جبل طــارق تحــت ســيطرة النصارى الذين أحكموا قبضتهم عليه, مما دفَعَ يوسف الثالث إلى طلب الرحمة والعون مــن الله على المصيبة العظيمة التي حلَّت بالمسلمين جرَّاء سقوط جبل الفتح بيد النصارى يقول:

يا رَحمــة اللهِ ويا عَفْــوهِ	شكى لك الإسلامُ من ضَعْفِه
قد مسَّــنا الضرُّ ولا حيلة	إلا لزوم الباب مــن خوفــهِ
شفيعنا التوحيد يا مَن غدا	المنْحُ والإعــطاءُ في كفَّــهِ[1]

(السريع)

يطلب الشــاعر مــن الله الرحمــة والمغفرة ويشــكو إليه الضُّر والمصــيبة العظيمــة التي لا ردَّ لها إلا بأمره, فعــسى الله أن يشــفع لهم, لأنــه الشــافع والمعطي الذي ينصر مــن يشاء ويذل من يشاء.

وقد أدى استيلاء النصارى على جبل طارق إلى قطع حلقة الوصل الجنوبية بين المغرب والأندلس, مع هذه الفاجعة عادت العلاقات مرة أخرى تميل إلى الصلح والسلم بين ابن الأحمــر والدولة المرينية, ولكن الظروف لم تكن مساندة للجيوش المغربية في دفاعها عن الأندلس, بسبب سيطرة النصارى على المدخل الجنوبي الذي يربط بين الدولتين الإسلاميتين. ومع تفاقم طغيــان النصارى وتهويدهم للمسلمين, لم يجد ابن الأحمر وسيلة لاجتناب أطماعهم سوى إعلان الهدنــة مع (فرناندو الرابع), ودفع الجزية, مما أدى إلى زيادة الســخط والكراهيــة لــه مــن الشــعب والجند[2], وخاصة من قبل الخوارج, ومن قبل أبي ســعيد فرج بــن إســماعيل النصــــري, صــاحب مالقــة, وابن عم أبي الســــلطان[3] الذين خرجوا عليه مــع أتباعهم بقـــوة هائلــة هُزِمَ على أثرها (نصر), وسارَ إلى غــرناطة, ثــم أجبر علـــى التنازل عنها.

---

[1] كنون, عبد الله: ديوان يوسف الثالث, ص: 145.

[2] الحمصي, أحمد سليم: **ابن زمرك الغرناطي**, مؤسسة الرسالة: بيروت, ط: 1, 1985م, ص: 45.

[3] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 116.

بعد (نصر) استلم عرش مملكة غرناطة خامس ملوك بني نصر وهو (إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد الخزرجي), يكنى (بأبي الوليد)[1], وقد تميز هذا الملك بثباتــه في العديد من المواقف السياسية, استلم العرش عام (713هـ) بعد عام من ثورة صاحب مالقــة أبو سعيد فرج بن إسماعيل النصري على نصر بن محمد بن محمد الخزرجي, وقد امتاز عهــده باستقرار الوضع السياسي في غرناطة, بالرغم من دعوته المستمرة إلى الجهاد وطرد النصارى من جميع الأراضي المقدَّسة[2], بالإضافة إلى الغزو القشتالي المتكرر لغرناطة, واستيلائهم على العديد من الحصون والقواعد الأندلسية المسلمة. ولكن الهزيمة الكبرى للمسلمين كانت في وادي (فرتونة) عام (716هـ)[3], على إثرها قام القشتاليون بمنازلة الجزيرة الخضــراء والاســتيلاء عليها, حتى يمنعوا وصول الإمدادات من مسلمي المغرب إلــى مقــاتلي الأنــدلس, لكــنهم لــم يستطيعوا ذلك, لتيقن السلطان إسماعيل لأهدافهم وأطماعهم, فقام بتحصين الجزيــرة, وتجهيــز الأساطيل لحمايتها من البحر, يقول ابن الجيَّاب واصفاً شجاعته وانتصاراته وفضله فــي إنقــاذ الجزيرة الخضراء:

أمَّا مَدَاك فغايةٌ لم تُسْــــبَقِ	أَعْيَتْ على غرّ الجيـادِ السُّــبقِ
لله منك مشــاهِدَاً مشــكورةً	عنـــــد الإله بمثلها لم تســــبَقِ
مثل الحفير بها الذي باشرته	فعلَ الرسول وصحبه في الخندقِ[4]

(الكامل)

يفتخر الشاعر بالسلطان وأعماله البطولية واصفاً ذكاءه وفطنته, وأنَّ ما قام بـــه مشـــابه لعمل الرسول في غزوة الخندق عند حَصَّن المدينة لمنع المشركين من دخولها, وهذا يدل علـــى قوة العاطفة الدينية عند الشاعر.

---

[1] الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 65.
[2] الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 200.
[3] عنان, عبــد الله: **نهايــة الأندلــس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 117.
- ينظــر: الخطيب, لســان الدين: **الإحاطة في أخبــار غرناطة**, ج: 1, ص: 207.
[4] ابن الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية**, ص: 73.

وقد أدرك القشتاليون هذا العمل فعدلوا إلى تأجيل أطماعهم لوقت قصير, ثم عاد السلطان الغرناطي لطلب المساعدة مرة أخرى من سلطان المرينيين, ولكن الأخير خذله, ورفض طلبه, ولكن المصيبة هذه المرة كانت عظيمة وخاصة عندما أدرك القشتاليون صعوبة العلاقات الأندلسية المغربية, فقاموا بالغزو على المملكة الغرناطية بقيادة جيش عظيم قاده (الدون بيدرو), وكان الجيش الغرناطي لا يتجاوز الستة آلاف جندي بقيادة شيخ الغزاة أبي سعيد (عثمان بن أبي العلاء)[1] الذي طالب به السلطان المغربي, ولكن ابن الأحمر رفض تسليمه له. فوقعت المعركة الحاسمة بين الطرفين عام (718هـ), وكان النصر حليف أبطال غرناطة ثم زحف أبو سعيد بجنده واشتبك مع العدو مرة أخرى, وقتل منهم عدداً كبيراً, وكان لهزيمة القشتاليين أثر عظيم عند الغرناطيين الذين خرجوا فرحين معبرين عن انتصارهم ونجاة بلادهم من سيطرة العدو عليها, وقد وصف ابن زمرك هذه الفرحة الغامرة بالنصر, حيث يقول:

أسمتهم المِلَّةُ السَّمْحَاءُ تَكْرِمَةً	أنصارَها وبهم عزَّت أواليها
ففي حُنَينٍ وفي بدرٍ وفي أُحدٍ	تُلْفَى مَفاخِرُهم مشهورةً فيها
عمَّا قريب ترى الأعيادَ مقبلةً	من الفتوحِ ووفر النصر حاديها[2]

(البسيط)

وصف الشاعر هذا الانتصار العظيم مع إبراز العاطفة الدينية الصادقة التي عبر عنها من خلال افتخاره بمواقع المسلمين العظيمة (كحنين, وبدر, وأحد...) ويتمنى أن تكون أيام المسلمين مستبشرة بالنصر دائماً, وأن يكون الفخر والانتصار حليفهم في كل معركة.

---

[1] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 118.

[2] المقرَّي, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, صندوق إحياء التراث الإسلامي: الرباط, 1978, ج: 2, ص: 26 – 27.

- **أواليها: جمع الأزول**: ضد الآخر. ينظر: **ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 1049.

وفي الحقيقة لقد أعادت هذه المعركة أمجاد الأمة الأندلسية المسلمة التي كان لها ذلك التاريخ العربي العريق في نضالها ضد مغتصبي أرضها وعروبتها بمساندة عظيمة من القادة والجند المغاربة, وفيما بعد وضعت جثة (الدون بيدرو) في تابوت من ذهب على سور الحمراء, إذاعة للشهرة, وتثبتاً لتخليد الفخر[1].

وفي العام (725هـ) اغتيل اسماعيل فتولى حكم غرناطة ولده (محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل), (محمد الرابع) ويكنّى (بأبي عبد الله), وقد كان معدوداً من نبلاء الملوك, أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه, يوم الثلاثاء السابع والعشرين لرجب من العام (725هـ)[2], حكم (محمد الرابع) البلاد مدة قصيرة, وإبان حكمه هاجم قشتالة وفتح مدينتي (قبرة) و(باغة). وفي العام (727هـ), وانتهز القشتاليون الفرصة كعادتهم, وهاجموا الأراضي الإسلامية, واستولوا على العديد منها وأهمها ثغر (بيرة) وعدة من الحصون. أحسَّ الملك الغرناطي بتفاقم الأمور, واشتداد الخطر على مملكته, فآثر العودة إلى الاستنجاد ببني مرين في المغرب, وكان بنو مرين حينما شغِلوا بأمورهم الداخلية قد تركوا الجزيرة وحصونها لابن الأحمر عام (712هـ), ولكن بعد اشتداد وطأة النصارى على غرناطة, عادَ ابن الأحمر ونزل عن الجزيرة لملك المغرب السلطان (أبو سعيد) عام (729هـ) لتكون رهينة, وحلقة وصل للإمداد المغربي للأندلس, لكن النصارى استولوا على معظم حصونها.

وفي أواخر العام (732هـ) عَبرَ ابن الأحمر إلى المغرب مستنجداً بسلطانها[3] وعند عودته أنشده لسان الدين قصيدة يهنئه بالعودة يقول:

هذي الجزيرةُ لا تزالُ عزيزةً   محفوظةً بك يا إمامَ ولاتها
فَلْيَهْنِ أندلسا قدومُك إنه   حرزٌ لها من عادياتِ عتاتها[4]

---

[1] الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1. ص: 208.

[2] الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 77.

[3] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 122.

[4] ابن الخطيب, **لسان الدين**: الديوان, ج: 1, ص: 54.

عتاتها: ردّد عليه الكلام مرة بعد مرة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (عتت)، ص: 58.

(البسيط)

يهنئ لسان الدين السلطان بقدومه عزيزاً منتصراً ويبين مكانته العالية عند شعبه ووطنه الذي يبقى محروساً ببقائه ووجوده فيه.

استجاب أبو الحسن لدعوة ابن الأحمر, وبعث معه الإمداد بقيادة ولده (أبي مالــك), ثــم تبعه الأسطول البحري, وبالتالي حشد ابن الأحمر قواته, وهاجم جبل طارق وحاصره من البــر والبحر, بالمقابل رابط أسطول المغرب في مياه المضيق ليحــول دون وصــول الإمــداد إلــى النصارى, هرع ملك قشتالة مع جنوده لإنجاد الحامية المحاصرة, فبــادر ابــن الأحمــر إلــى مهاجمته, كان النصر حليف المسلمين بالرغم من قوة النصارى وعتادهم, واستطاع المســلمون بعد حصار طويل, وقطع كل صلات الحامية النصرانية من البر والبحر أن يستولوا على الثغــر المنيع عام (733هــ), بعد أن لبث بيد النصارى أربعةً وعشرين عاماً, ثم انتهى الأمــر بعقــد الصلح بين الملكين, وهذا ما صَوَّره ابن الخطيب في قصيدة له:

ولاذوا إلى السِــلْمِ اســتلاماً ورهبةً   وقد شارفوا ورد المنيَّة أو كادوا

وأحْصَــــنَ دَرعٍ أَيْقَنَوا بدفاعـــــهِ   لبأســــك إذعانٌ إليه وإخــلادُ [1]

(الطويل)

يصور الشاعر ضعف العدو الذي أُجْبِرَ على قبول الصلح أمام قوة المسلمين التي حققت النصر العظيم أمام جبروت النصارى وعتادهم, فأصبح السلمُ حليفَ المسلمين بعد استيلائهم على الثغر وطرد النصارى منه.

وأثناء عــودة ابن الأحمر مع جنده إلى غرناطة, اغتالته جماعة من المتآمرين بتحريض من أبناء (أبي العلاء) عام (733هــ), وكان أبناء أبي العلاء قد عاثوا خراباً وفســاداً وتــدخلاً بشــؤون الدولة, وخاصــة بعد وفاة والدهــم (أبو العــــلاء) عــام (729هـــ)[2] ودخــولهم

---

[1] ابن الخطيب, **لسان الدين**: ديوان, ج: 1, ص: 55.

[2] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 124.

بمشــاكل ومناورات كثيــرة مــع بني الأحمر, فاســتغلوا فرصـــة عــودة (محمد الرابع) إلى بلده, حتى قاموا باغتياله وتركــه بالعراء مســلوب الســاتر, ســيء المصـــرع, ثم نقلت جثته بعد ذلك إلى مالقة ودفنت فيها[1].

بعد اغتيال محمد بن إسماعيل خلفه أخوه (يوسف بن إسماعيل) ويسمى (يوسف الأول), ويُكَنّى (بأبي الحجاج), وفي عهده كثرت غزوات النصارى لأراضي المسلمين, وعادَ الســلطان يوســف كأســلافه إلى الاســتنجاد بإخوانه المغاربة ملك المغرب (أبــو الحســن علــي بــن عثمان)[2], فاستجاب السلطان المغربي لطلب النجدة, وأرسل الإمداد باتجاه الأندلس بقيادة ابنــه (أبو مالك), حيث التقى بالجيش القشتالي, ونشبت حرب دموية بين الطرفين, هُزِمَ فيها المسلمون, وقتل أبو مالك, فرثاه لسان الدين في قصيدته وعبرَّ عن حزنه العميق لفقدانه فقال:

ولم تكُ إلا ســـــاعةً وتســـنَّمت	ظـــهورَ المطايا, كُــلُّ فانيةِ الطَّرْفِ
ودارت على الرَّكب الصوارمُ والقَنَا	وَجُرْدُ المذاكي[3] مِنْ أمَامٍ ومن خَلْفِ[4]

(الطويل)

يصف الشاعر رحى المعركة التي كانت أكثر المعارك شدة بين المســلمين والنصـــارى حتى أصبح القتال يدور بشكل عشوائي لا يدرك المرء مصيره المحتوم أو الحال التـــي ســيعود عليها بعد المعركة ونلاحظ هنا أن الشاعر قدَّم إلينا صورة حيَّة لواقع المعركة التي أودت بحيــاة أبي مالك, وبعد مقتل أبي مالك قام السلطان المغربي عام (740هـــ) بالعبور بنفسه إلى الأندلس ليثأر لمقتل أبنه, فجهز الجيوش, والأساطيل الضخمة, وعبر البحر واستقر بسهل طريف, وقــد سانده في هذه الحملة السلطان يوسف بقوات أندلسية, بالمقابل رابط الأسطول النصراني في مياه المضيق (مضيق جبل طارق) لمنع الإمداد والمؤن من الوصول, وبعد مدة طويلة من الحصـــار

---

(1) الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 83.

(2) الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 4, ص: 282.

(3) المذاكي: الخيل التي أتى عليها بعد قدومها سنة او سنتان. **ينظر**: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (ذكا)، ص: 288.

(4) ابن الخطيب, **لسان الدين**: **الديوان**, ج: 2, ص: 673.

لثغر (طريف) نفذت المؤن والإمداد عند المسلمين, ولكن المعركة قامت بين الطرفين على ضفاف نهر (سالادو) وتولى السلطان المغربي قيادة الجيش, والسلطان يوسف الجيش الغرناطي, وكانت معركة عظيمة, قتل فيها من المسلمين عدد جم, وسقط معسكر سلطان المغرب تحت سيطرة النصارى, وتشتتت قوات المسلمين وبُدِّدتْ, وفرَّ السلطان المغربي إلى المغرب, والسلطان يوسف إلى غرناطة, لقد كانت محنة عظيمة لم يشهد المسلمون لها مثيلاً منذ موقعة (العُقاب) وبالتالي كان لها أعمق وقع في المغرب والأندلس, يصفها لسان الدين بقوله:

حتى إذا محَصَّ اللهُ القلوبَ بها	ولا دفاعَ لحكم الواحد الصَّمد
وقفتَ والرَوْعُ ماجت جـوانِبُه	بِحَيْثُ لا والدَ يلوي على ولَد[1]

(البسيط)

هزيمة المسلمين في هذه الموقعة مصيبة عظيمة ولكنها قدر وقضاء من عند الله ولا اعتراض على حكمه, ولكنها تصور حال الضعف واليأس التي دبت في قوى المسلمين بعد هزيمتهم الكبرى فيها. بعد هذه الهزيمة العظيمة التي هزت أركان المغرب والأندلس, أنتهز ملك قشتالة حالة الضعف والأسى التي حلت بالمسلمين,وقام باستهداف العديد من المدن والقواعد الأندلسية فغزا قلعة (بني سعيد) عام (742هـ)[2], وبعد فترة قصيرة طمع سلطان المغرب بالانتقام, فجهز جيوشه وأسطوله وسارَ بهم إلى سبته, وبادَرَ ملك قشتالة من جانبه بإرسال أسطوله للقاء المسلمين, حتى نشبت بين الطرفين معركة حاسمة هزم فيها المسلمون مرة ثانية عام (743هـ), وصفها ابن الخطيب بقوله:

السَّعْدُ جندُكَ والقضاءُ دليـــلُ	والله بالنَصْـرِ العزيزِ كفيلُ
فإذا هَمَمْت بَلَغْـتَ كلَّ مُمَنَّـعٍ	وإذا رأيت الرأي ليس يَفيلُ[3]

---

(1) **ابن الخطيب, لسان الدين**: الديوان, ج: 1, ص: 56.

(2) الجمي, عبد الرحمن علي: **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**, دار الاعتصام: الإمارات, ط: 1, 1983, ص: 543 – 544.

(3) **ابن الخطيب, لسان الدين: الديوان**, المجلد: 2, ص: 486.

(الكامل)

يصف الشاعر شجاعة السلطان ويرفع من قدره وشأنه, ولكن النصر دائماً من عند الله. بالرغم من القوة والبسالة التي يتمتع بها الإنسان.

وبعد المعركة حاصر النصارى على إثرها ثغر الجزيرة الخضراء, بالرغم من المساندة التي قدَّمها السلطان يوسف, إلا أن الهزيمة قد حلت بالمسلمين, وكان لها أثر واضح وبالغ في كسر عزيمة المسلمين وتنحيهم عن الجهاد فترة لا بأس بها من الزمن, وبذلك أضحى الثغران الجنوبيان المشرفان على مضيق جبل طارق وهما الجزيرة, وطريف بيد النصارى[1].

وفي أواخر العام (745هـ) عقد السلطان يوسف معاهدة صلح وسلام مع ملك أرجونة لمدة عشرة أعوام, في هذه الأثناء استمر ملك قشتالة بخطته الهادفة إلى إضعاف المملكة الإسلامية, والعبث فيها, والمسلمون يدافعون جهد استطاعتهم عنها, في العام (750هـ) غزا النصارى سهول الجزيرة الخضراء مرة أخرى, والهدف هذه المرة هو السيطرة الكاملة على جبل طارق, ولكن عندما رأى النصارى استبسال الحامية المغربية في الدفاع عنه, ضربوا الحصار عليه مدة طويلة وصلت إلى عام ونصف العام, وخلال هذه الفترة, ضُرِبَ الجيش النصراني المحاصر بمرض أهلكه, وقلل من عزيمته لمواصلة الحصار, اضطر على إثره إلى رفع الحصار عام (751هـ), وبالتالي انقاذ المسلمين من كارثة فادحة. وكان ممن أُهلِكَ بهذا المرض الملك القشتالي نفسه[2]. وقد صَوَّر ابن الخطيب هلاكه بمزيد من الغبطة والسرور في قوله:

وما هي إلا دعوةٌ يوسفية	أثارت قبولَ الله ضربة لازِبِ[3]
سمت نحو أبواب السماء فلم تُرَعْ	بتشغيب بوابٍ ولا إذنِ حاجبِ[4]

---

[1] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 129.

[2] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 132.

[3] لازب: ثابت. **ينظر: ابن منظور: لسان العرب**، مادة (لَزَبَ)، ص: 738.

[4] مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين**, ص: 58.

(الطويل)

لقد استجابَ الله دعوة السلطان يوسف بالنجاة وإنقاذ المسلمين فكانت نجاتهم بهلاك قائد الأعداء بالمرض, وبموته انتهت معاناة المسلمين وهذا هو نصرٌ من عند الله, أعادَ الثقة للمسلمين بأنفسهم وقوة جيوشهم.

وفي عام (752هـ) دخلت الدولة المرينية بحروب وصراعات داخلية, على إثرها فقدت غرناطة يدها المساندة والضاربة لقوى النصارى, وخاصة بعد انقطاع الجيوش المغربية عن نصرة إخوانهم المسلمين في الأندلس.

تبين مرة أخرى أن أيام غرناطة المسلمة باتت معدودة وخاصة بعد أن خسرت (طريف), والجزيرة الخضراء, وهما القاعدتان الكبيرتان اللتان تصلان المملكة بشمال أفريقية, كما مرَّ ذكره, ولكن سرعان ما تبدَّل الحال بشكل جذري, بعد وفاة الملك القشتالي, الذي أهلكه الله, عندما حاصر المسلمين للسيطرة على جبل طارق.

وتولَّى عرش المملكة (محمد الخامس) بن يوسف الأول هو (محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل) الملقب (الغني بالله), أمير المسلمين بعد أبيه وأخيه, وصفه ابن زمرك بقوله:

للغنـــي بالله مُـــلْكٌ	بُرْدُهُ بالعـزِّ مُـذْهَبْ
دامَ في رفعـةِ شـانٍ	ما جلا الإصباحُ غيهَبْ[1]

(مجزوء الرَمَل)

يصف الشاعر مُلْكَ الغني بالله وسلطانه, فهو سلطانُ العزِّ والرفعة وسيبقى على حاله ما دام الصبُح يجلو الظلامَ على مرِّ الأيام.

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 10, ص: 88.

غيهب: الظلام الشديد. ينظر: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (غَهَبَ)، ص: 653.

ولي الملك يوم وفاة أبيه, ضحوة عيد الفطر من العام (755هـ)[1], تميز عهده بالسلم والهدنة, وظلل برواق الأمن والعصمة, فسكن إليه الخاصة, وحمده الناس, كانت غرناطة بعدما توالى عليها العديد من الأزمات في أواخر عهد أبيه (يوسف), قد تنفست الصعداء بعد هلاك ملك قشتالة, ولكن منذ بداية عهده عمد إلى تأكيد صلات المحبة والصداقة, بينه وبين سلطان المغرب (أبو عنان المريني)[2], حيث بعث إليه كاتبه ووزيره المشهور (لسان الدين بن الخطيب)[3], مؤرخ الدولة النصرية, وأعظم كتاب الأندلس, وشعرائها. وصل لسان الدين إلى المغرب, واستنصر ملك المغرب على نصرة المسلمين في الأندلس[4]. وفي أواخر العام (756هـ), حاول حاكم جبل طارق المريني أن يثير غضب النصارى, ويشعل الثورة معهم من جديد, ولكن محاولته باءت بالفشل عندما غضب الشعب عليه, وعملوا على إخماد ثورته وهي في مهدها[5].

وفي بداية عهد السلطان (محمد بن يوسف) شغلت قشتالة بحروبها الداخلية, فتأخرت مناوراتها ضد الأراضي المسلمة فترة قصيرة من الزمن, وقد كان وراء هذه الحروب الأهلية كما يبدو خطة محكمة لغزو الأراضي المسلمة والقضاء على الإسلام فيها[6], ولكن خطتهم باءت بالفشل لصمود مملكة غرناطة, وكونها دائماً يقظة وعلى أهبة الاستعداد للدفاع وصد عدوان وهجوم النصارى عليها. وفي العام (768هـ) عقد الغني بالله بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن صديقه أبي فارس (عبد العزيز) سلطان المغرب مصالحة ومهادنة مع ملك أراجون لمدة ثلاثة أعوام, ولكن عصره لم يخل من مواطن الجهاد واستئناف الصراع مع القشتاليين, وخاصة عندما تسربت القوات القشتالية من أطراف اشبيلية الجنوبية إلى أحواز رنده الشرقية, واحتلت فيها

---

(1) الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية**, ص: 100.

(2) **المصدر السابق**, ص: 104.

(3) وُلِدَ في الخامس والعشرين من شهر رجب عام (713هـ), وتوفي قتيلاً بمدينة فاس عام (776هـ). ينظر: المصدر السابق, ج: 1, ص: 7.

(4) الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 9.

(5) الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 107.

- ينظر: عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 139.

(6) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 143.

موقعين للمسلمين هما (برغة وجيرة) وبعد قتال عنيف استطاع المسلمون استرداد المنطقتين. وقد عبَّر الشاعر يوسف الثالث عن فخره واعتزازه بقوة وبسالة الغني بالله حيث يقول:

وتروعهم منكم سيوفُ حماية   يجلو دُجاها يوسفٌ ومحمدُ

أخوين قد قاما بنصرة دينه   فالدَّهر يبلى والثناء يخلد[1]

(الكامل)

محمد المقصود به (الغني بالله), فقد افتخر به الشاعر مع افتخاره بقوته وشجاعته, فالنصر الذي يحققه سيفهما سيبقى مخلَّداً إلى الأبد.

وفي العام (768هـ) زحف الغني بالله تجاه أراضي العدو وغزا مدينة (أطريده) الواقعة جنوب شرق اشبيلية, ثم سارَ إلى جيَّان وحاصرها بشدة, ودخلها بعد معارك شديدة, لكنه لم يستطع السيطرة عليها لصعوبة الدفاع عنها, لأنها واقعة بشكل مباشر في أراضي العدو, وفي العام (769هـ) اقتحم النصارى مدينة (باغة) القريبة من جيَّان, وعاثوا فيها فساداً[2]. وفي شهر ربيع الأول من ذلك العام, زحف الغني بالله على مدينة (أبده), واقتحمها عنوة ودمَّر كنائسها وأسوارها, ثم عاد إلى غرناطة مكللاً بالنصر, وفي أواخر العام (769هـ) سارَ الغني بالله إلى الجزيرة الخضراء وحاصرها, وأرغم النصارى على تركها بعد قتال مرير بين الطرفين, وفي ربيع عام (771هـ) زحف المسلمون مرة أخرى على أحواز اشبيلية, وحاصروا مدينة (فرمونة) الحصينة[3]. واقتحموا (مرشانة) الواقعة في جنوب شرق (فرمونة). وهكذا ظهرت المملكة المسلمة فترة حكم (الغني بالله) بمظهر من القوة والعظمة, لتوالي انتصاراتها, وخاصة استعادتها للجزيرة الخضراء من يد الأسبان, فنعمت البلاد في عصره بالسؤدد والرخاء والدعة. يقول ابن الخطيب في قصيدته التي أنشدها أمام السلطان (أبو سالم المريني):

---

(1) كنون, عبد الله: ديوان يوسف الثالث, ص: 52.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس**, ص: 149.

(3) **المرجع السابق**, ص: 149.

بلادي التي عاطيتُ مشمولة الهوى | بأكنافها والعيشُ فينانُ[1] مخضرُّ
ولكـــن الـــدُّنيا قليـــل مِتاعُـــها | ولـــذَّاتـــها دأبـــاً تَقِلُّ وتـــــزوِّرُ[2]

(الطويل)

يصف الشاعر حالة الأمن والاستقرار التي عاشت بها البلاد في زمن الســلطان الغنـــي بالله بالرغم من الظروف المتقلبة, والدنيا التي لا تستقر على حال.

توفي الغني بالله عام (793هـ), فخلفه ولده (يوسف الثاني) بن (محمد الخامس) الملقب (بأبي الحجاج), وفي عهده قام المسلمون بالهجوم على أراضي النصارى فـــي أحـــواز مرســـية ولورقة, ومن جانبهم عاث النصارى في مرج غرناطة, ولكنهم فشلوا في احتلالـــه أو الســـيطرة عليه, لما أبداه المسلمون من شجاعة وقتال عظيمين في الدفاع عنه, يصفهم ابن زمرك ويشـــيد بشجاعة أبي الحجاج حيث يقول:

هم البدورُ كـــمالٌ ما يفارقها | هم الشـــــــموسُ ظلامٌ لا يواريها
وأورثوك جهاداً أنت ناصِرُه | والأَجـــــرُ مِنْكَ يرضيّها ويحظيها
وللسيوفِ بروقٌ كلما لَمعَت | تزجِي الدماءَ وريحُ النْصرِ يزجيها[3]

(البسيط)

لقد استخدم ابن زمرك شاعريته الفذة في هذا الوصف الرائع الذي وصفه لجند المسلمين فهم كالبدور في كمالها وكالشمسِ الساطعة القوية التي لا يواريها شيء وفي هذا الوصف دلالـــة على الكمال وبعد النقصان عنهم وعن شيمهم بالإضافة إلى الإشادة بشجاعة أبي الحجاج الذي لا يخوض إلا المعارك الصعبة التي تظهر فيها السيوف وكأنها نيران بلمعانها وحدتها تريق الدماء

[1] فينان: الطويل. ينظر: **ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 742.
[2] ابن الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية**, ص: 110.
[3] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 2, ص: 25.

وتنشر بأجيجها رائحة النصر لحامليها, لقد زج الشاعر العديد من الصور للوصول إلى هدفه من الوصف والمدح.

وبعد انتهاء الهجوم عادَ الطرفان لعقد السلم من جديد, وبعد ثلاثة أعوام من توليه الحكم توفي ابن الأحمر مسموماً إثر مكيدة دبرها سلطان المغرب (أبو العباس) المريني لهلاكه عام (797هـ)[1]. وبعد وفاته حكم غرناطة ابنه (محمد السابع), وسعى محمد منذ توليه الحكم إلى تجيد صلات المودة والمهادنة مع ملك قشتالة, ولكن القشتاليين كعادتهم يبرمون المعاهدات ولا يوفونها, فلم يمض وقت قليل حتى أغار القشتاليون على غرناطة, وعاثوا فيها فساداً, فتصدى لهم (محمد) بقواته, وقام بغزو ولاية الغرب وكان (هنري الثالث) ملك قشتالة تحدوه نحو مملكة غرناطة أطماع عظيمة, فعمل على تجهيز الجيوش, وتأهب ابن الأحمر من جهته للدفاع عنها, ثم عادَ ملك قشتالة الجديد (خوان يوحنا) بالتهديد والغزو لأراضي المسلمين, فاستولى على حصن (الصخرة) القريب من (رندة) واقتحم حصن (باغة), واسترد حصن (أياموني) من المسلمين, وهكذا استمرت الحرب بين الطرفين ثم انتهت بإعلان الهدنة لمدة ثمانية أشهر, وعندما عادَ (محمد) إلى غرناطة بعد سيطرته على جيَّان, اشتد به المرض وتوفي على إثره. وبالرغم من العلاقة السيئة التي ربطت (محمد بن يوسف الثاني) بملك قشتالة, ربطت علاقات الود والصداقة بين ابن الأحمر وملك أراجون, لذلك فقد كان الخطر الوحيد الذي يهدد الوجود الإسلامي في الأندلس هو مملكة قشتالة, إذا استثنينا بعض المواقف لمملكة أراجون.

بعد وفاة (محمد بن يوسف الثاني) خلفه أخوه (يوسف الثالث), كان سجيناً, أطلق سراحه عام 811هـ وقد سجنه أخوه محمد ليبعده عن اعتلاء العرش بعد وفاة أبيه ومن أشعاره التي كتبها في سجنه, يقول:

إلى الله أشكو ما بقلبي من الأَسى	وما قَدْ طَوَتْ مِن شَرْحِ حالي أسراري
تفرَّق أحباب وجمع حواسد	وكثرة أعداء وقلة أنصار[2]

---

[1] عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 150.

[2] كنون, عبد الله: **ديوان ملك غرناطة** (يوسف الثالث), ص: 62.

(الطويل)

ويقول واصفاً أيام الوحشة:

مكارمُ أعيت كلَّ مَن رامَ حَصرها وهيهاتَ ما للشهب في أفقها حصرُ
لذاك رمانـــــي بالبِعادِ ســـــفاهةً ولكــنَّ لا يبقــى على حالــةٍ دَهْرُ[1]

(الطويل)

ظاهرة الحزن واليأس واضحة عند الشاعر, وخاصة عندما تفرّق أحبابه وكَثُــر حسَّــاده بالرغم من اعتزازه بمناقبه ومكارمه التي لا تحصى ولكن القدر رماه وأبلاه بوقيعــة لا يحســد عليها. أضف إلى ذلك إيمانه بتقلب الأمور, وتغير الأحوال أمْرٌ واضح في أبياته التي تحمل في طياتها مضمون الحكمة وخاصة في البيتين الأخيرين.

ومما تجدر الإشارة إليه, أنه في عهد هذا السلطان طلب أهالي جبل طارق من ســلطان المغرب أن يسيطر على الجبل لقدرته على حمايتهم من هجوم النصارى, فأرسل السلطان حامية بقيادة (أبي عبد الله)[2] شقيق سلطان المغرب (أبي سعيد المريني), حيث واجهتهم قوات غرناطية جاءت لمنع سيطرتهم عليه, واستطاعت هذه القوات هزيمة جيش السلطان, واعتقال قائد الجيش, ثم ردِّه إلى المغرب سالماً بعد تزويده بالمال والعتاد لمناصرته ضد أخيه الذي استطاع أن يسلب الحكم منه[3].

توفــي الســلطان (يوســف الثالث) وقد امتاز بشجاعته وقوته وكرمه, حيث يقول في وصفه لنفسه:

أنا الهُمامُ الذي تُخشى عَزائِمُه في الحَربِ إن كتَّبَ الأجناد أو كتَبا

---

[1] ينظر: **المصدرالسابق**, ص: 63.

– ينظر: الخطيب, رشا عبد الله: **تجربة السجن في الشعر الأندلسي**, المجمع الثقافي: أبو ظبي, ط: 1, 1990, ص: 62 – 63.

[2] عنان، عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ص: 153.

[3] **المرجع السابق**, ص: 154.

أنا الإمامُ الذي تُرْجَى مَكارِمُهُ   لِله منهــا خِــلالٌ فَاقَــتِ السُّــحُبَا

لنا الوفاءُ الذي تأبى مكارِمُنَا   أن تســترَد مِــن الأَفْضالِ ما وُهِبَا[1]

(البسيط)

وبعد موت (يوسف الثالث) اقتربت مملكة غرناطة من النهاية الوشيكة لها, وخاصة بعد تعاقب أحد عشر سلطاناً من بني الأحمر عليها, وفي نهاية عصرها تولى حكمها العديد من الأمراء الضعفاء, لم يعرفوا كيف يواصلون سياسة القوة والمهادنة معاً, ومنهم (محمد بن يوسف الثالث) الملقب بالأيسر[2].

وفي العام (831هـ) زحف القشتاليون على غرناطة, حتى وصلوا إلى وادي آش, فازدادت الأمورُ صعوبة واضطراباً, وازداد السخط والغضب الشعبي على السلطان الأيسر لأنه لم يفلح في ردّ العدوان عن الحامية[3]، وبعد عامين نشبت حرب جسيمة بين الأيسر وقوات قشتالة, هُزِمَ الأيسر على أثرها, واستولى أبو الحجاج بمساعدة ملك قشتالة على مواقع هامة مثل (رندة, ولوشه, وحصن اللوز)[4]. أعلن ملك قشتالة انحيازه مع أبي الحجاج (يوسف بن المول), ونودي به ملكاً, ثم زحف نحو غرناطة ولقيه جنود الأيسر بقيادة الوزير ابن سراج, حيث هزم ابن سراج وقتل, ثم لجأ الأيسر إلى مالقة التي بقيت على طاعته, وتربع (يوسف بن المول) على العرش عام (836هـ)[5] قامَ أبو الحجاج يوسف, بتجديد معاهدة الصلح والسلم مع ملك قشتالة, لكن حكمه لغرناطة لم يدم مدة طويلة, فقد توفي بعد ستة أشهر من توليه لعرشها[6]. لم يتميز عهده إلا باعترافه وتقديم الطاعة والولاء لملك قشتالة, وبعد موته اتفقت الأحزاب جميعها على رد الأمر للسلطان الأيسر, عادَ الأيسر للحكم للمرة الثالثة, ومنذ توليه الحكم اشتبك مع القشتاليين

---

(1) كنون, عبد الله: **ديوان ملك غرناطة** (يوسف الثالث), ص: 13.

(2) **المصدر السابق**, ص: 294.

(3) كنون, عبد الله: **ديوان ملك غرناطة** (يوسف الثالث), ص: 294.

(4) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 160.

(5) **المرجع السابق**, ص: 160.

(6) **المرجع السابق**, ص: 160.

بحروب عدة, منها ما هو في أحواز غرناطة, والأخرى في وادي آش, هزمهم فيها, ثم عادَ النصارى, وأغاروا على بسطة ووادي آش, واحتلوا القرى والحصون القريبة, بالإضافة إلى زحفهم على ثغر جبل طارق, ولكن أهل الثغر باغتوا النصارى وهزموهم عام (840هـ)[1].

وفي العام نفسه نشبت بين المسلمين والنصارى معركة أخرى على مقربة من (كازورلا) انتهت بنصر المسلمين وقتل في هذه المعركة ابن الوزير السابق (ابن سراج) يقول الشاعر يوسف الثالث:

راقَ الزمانُ وجاءنا ميقاتــه	بالضـحَّوةِ الغرَّاءِ من أيامه
وتقــدم الألــمُ الملــمُّ مفوِّقاً	ما شاءه من مرهفاتِ ســهامهِ
هذا وكم من ضَارعٍ متوسِّلٍ	بجهاده وصـــلاته وصيامه
يدعو بنا للحرب من شهدائه	ولما أصاب الثغرَ من اهتمامهِ
والله جــلَّ جــلاله متكفِّــلٌ	بالنصر والمعهودِ من إنعامِــه[2]

(الكامل)

كان النصر عظيماً, ومؤلماً للأعداء الذين يتوسلون في سبيل خلاصهم, ونرى بروز العاطفة الدينية عنده بشكل ملحوظ بسبب ميله لاستخدام العديد من الألفاظ الدينية مثل (جهاد, وصوم, وصلاة...). أضف إلى ذلك, ثقة الشاعر بالنصر الحليف دائماً لمقاتلي بني نصر؛ لأنهم مؤمنون يعتمدون على الله الذي يمدهم بالنصر دائماً.

ورداً على هزيمتهم قام الملك القشتالي بمحاصرة الأراضي الإسلامية دون هوداة, فسار بجيش عظيم إلى غرناطة, وعاث فيها فساداً عظيماً, وصفه ابن الأزرق في قصيدته يقول:

ومَن لي بقلبٍ تَلتظَى فيه زَفْرةٌ	ومَنْ لي بجفنٍ تنهمي منه أدمــعُ
وصبراً فإنَّ الصَبْرَ خيرُ تميمةٍ	ويا فوزَ من قَدْ كانَ للصبرِ يرجعُ[1]

---

[1] **المرجع السابق**, ص: 161.

[2] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 125.

(الطويل)

يعبر الشاعر عن حزنه العميق لما حلَّ بغرناطة فهو أمر عظيم ومؤسف وبالمقابل نحن مسلمون علينا دائماً الصبر والسلوان على وقوع المصائب لأن الصابرين لهم منزلة عظيمة عند الله, وقد يكون التصبر من أشد الأمور ضراوة في هذه المصيبة أو المصائب التي تحل بالأندلس.

ثم غزا المسلمون منطقة جيَّان, واستمرت المعارك فترة طويلة, وحاصر القشتاليون العديد من المدن والحصون الإسلامية, بالمقابل خضعت بعض المدن الإسلامية برغبة حكامها لسيطرة القشتاليين, القسم الآخر خضع عنوة عنه, تميز عهد ابن إسماعيل بحدوث فاجعة المسلمين الكبرى وهي سيطرة النصارى على ثغر جبل طارق عام (867هـ)[2], وتمَّ القضاء على دولة بني مرين بعد انحلالهم وتفرقهم على يد (عبد الحق) ابن السلطان (أبو سعيد المريني) الذي قتل عام (869هـ), وبالتالي انتهى عصر دولة بني الأحمر التي حافظت على وجودها زهاء مئتي عام, واستولى على تراثهم وملكهم بنو وطَّاس خصومهم القدماء[3], واستطاع زعيمهم السيطرة على فاس, وبذا قامت في المغرب دولة قوية فتية, لكنها لم تكن قادرة على العبور إلى الأندلس ومساندة أهلها المسلمين في محنتهم ضد عدوهم الصليبي.

انتهى عهد ابن إسماعيل بالثورة عليه عام (867هـ), واستلام الحكم من قبل (سعد بن محمد بن يوسف) المستعين بالله المعروف بابن الأحمر, وما كاد ابن الأحمر يجلس على عرشه, حتى ثارَ عليه ولده أبو الحسن بتحريض من بني سراج[4].

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 3, ص: 318 – 319.

(2) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب** ، ج: 1, ص: 430.

(3) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 165.

(4) الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 134.

فكانت أوائل حكمه تبشر بحدوث تغيرات وخاصة عند القشتاليين, ففي عهده تزوج ملك قشتالة (فرديناند) من (ايسابيلا) ملكة أراجون, فتوحدت قوى الطغيان ضد ابن الأحمر, وحدث أن سألهما المهادنة, فأجاباه إليها, شريطة أن يعترف بسيادة ملك قشتالة, ولكنه أبى هذا الاعتراف[1], لأنه في المقام الأول يعود بنسبه إلى بني نصر الذين يحملون في عروقهم, وطيات تاريخهم, عدم القبول ورفض الذل والهول كما يصفهم الشاعر يوسف الثالث وهو أحد سلاطينهم:

وفخر بني نصـــــر إذا عُدَّ فخرهم	فأحرز في ميدانِ حمدهم الخُصَلُ
ســـــأصبر للبلوى وإن حلَّ وقفها	فكم دَقَّ عندي الخطب وهو جليلُ
ولم ترضَ نفسي أن يقالَ عذرتهم	ولا ســـــمحت في أن يقال ملولُ[2]

(الطويل)

فالصـــبر على المصـــيبة أفضـــل مـــن الخضوع لها, والاستســـلام لعواقبها, فالسلطان (أبو الحسن) قررَّ عدم القبول بالرغم من العواقب الوخيمة التي تنتظره, وهذا يدل على الـــروح الجهادية التي تمتع بها سلاطين بني الأحمر بالرغم من حالة الضعف والخضوع التي ســـيطرت عليهم في نهاية عصرهم.

وفي العام (887هـ) تولى الحكم بعد والده (عبد الله أبو الحسن)[3], وهـــو ولـــده مـــن زوجته عائشة, وله من زوجته النصرانية ولدان هما: سعد, ونصر[4], وعندما اســـتلم عبـــد الله الحكم لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره. كان (فرناندو) الخامس, عقب هزيمته أمام لوشه, قد سير جنده إلى مالقة لاقتحامها, وكانت مالقة من أعظم الثغور الإسلامية, الباقيـــة بيـــد المسلمين, اشتبك النصارى مع المسلمين في عدة مواقع, هزم فيها النصـــارى, بالمقابـــل خـــرج الأمير محمد بن سعد (الزغل) في قواته وتصدى لهجوم النصارى في معركة شديدة, هزم فيهـــا

(1) عتيق، عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**، ص: 121.

(2) كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 192 – 193.

(3) عيسى, عبد العزيز محمد: **الأدب العربي في الأندلس, مطبعة الاستقامة**: القاهرة, 1936م, ص: 24.

(4) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 200.

العدو, وأسر عدد كبير منهم (888هـ), وتعرف هذه الموقعة باسم (الشرقية)[1] لوقوعها في المنطقة المسماة بذلك في شرق مالقة[2]. وفي ربيع الأول من العام (888هـ) اجتاح عبد الله عدداً من الحصون والقلاع التابعة للنصارى في ظاهر قلعة (اللَّسانة), وكان عبد الله يزمع حصارها, فنشبت بين الطرفين حرب دامية, هزِم فيها المسلمون, وارتدوا إلى ضفاف نهر (شنتيل), وأسر منهم الكثير, وكان بين الأسرى الأمير أبو عبد الله نفسه[3], حيث أخِذ إلى قرطبة, وأقام بأسره مكتئباً ينتظر يومَ الخلاص, وبعد عودة الجيش إلى غرناطة بدون قائدهم, انتاب شعب المملكة الحزن والأسى عليه وتكاثفت الجهود من قبل والدته لإخراجه, وفي فترة غياب أبي عبد الله محمد قرَّر الكبراء والقادة استدعاء (أبي الحسن), ليستلم مكان ولده الأسير, ولكن أبا الحسن كان كهلاً كبيراً, فاقد البصر, ما لبث بعد ذلك بقليل حتى توفي عام (890هـ)[4].

وفي نفس العام زحف القشتاليون على منطقة تقع غرب مالقة واستولوا على حصن قرطبة وعدة حصون أخرى وأحكموا سيطرتهم على رنده, وبالتالي استطاعوا احتلالها بعد أن عاثوا فيها خراباً وفساداً, وصفه شاعر مجهول حيث يقول:

وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزت	منازلُها ذات العلا وقصورها
تسلمها حزبُ الصليبِ وقادها	وكانت شروراً لا يقاد نفورها[5]

(الطويل)

بكلماته المعبرة ذات الدلالات المؤثرة تستطيع إدراك المصيبة العظيمة التي حلَّت برندة والتي وضحها لنا الشاعر من خلال كلماته (أظلمت, تزلزلت, قادها...).

---

(1) الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 134.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 203.

(3) **المرجع السابق**, ص: 203.

(4) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**، ص: 204.

(5) شاعر مجهول يقال أنه من ألمرية التي سقطت عام (894هـ) وقد نظم قصيدته عام (905هـ) بعد جلاء العرب عن جزيرة الأندلس

نقلت قصيدته عن محفوظة بمكتبة الجزائر ومؤرخه في شعبان عام (897هـ) وقد وجدت هذه القصيدة عند محمد عبد المنعم خفاجة في كتابه **قصة الأدب في الأندلس**, ص: 132 – 138.

في نفس العام اشتبك الأمير أبو عبد الله (الزغل) مع القشتاليين بحرب واسعة, انتهت بالنصر لصالح المسلمين وهزيمة القشتاليين, فكان لها ذلك الوقع العظيم في نفوس المحاربين من المسلمين كما وصفهم يوسف الثالث حيث يقول:

وللغارة الشعواء من أنجم الدُّجى	ملاحِمُ في آفاقها وهزائِمُ
إذا خفقت من صادق الفجر رايةٌ	يصارِعُ بعضٌ بعضها ويصادِمُ
ومُطَّلِعَ الصُّبحِ المبينِ أياته	مَعالَ[1] لنا وضاحةٌ ومعالِمُ
وأما مجاراة الرياح لغارة	فحقٌّ على الخيلِ المغيرة لازِمُ[2]

(الطويل)

لقد تميزت المعالم البطولية عند محاربي بني نصر بطابعها الخاص من الوصف والفخر, فقد افتخر يوسف الثالث بهؤلاء الفرسان الذين يحملون في عروقهم حُبَّهم وانتماءهم لوطنهم فيحولون الغارة إلى ملاحم بطولية يبقى صداها مدوياً إلى الأبد. أضف إلى ذلك قوة الروح الجهادية عندهم حتى لو استمر القتال وقتاً طويلاً فلا بد للفجر الذي يحمل في طياته شمس الحرية والنصر أن يبزغ من جديد.

في ربيع عام (893هـ) زحف فرناندو على أطراف مملكة غرناطة الشرقية واستولى على (بيرة) و(البلشين) و(أشكر) وغيرها من القواعد[3], ومع حلول العام (895هـ) لم يبق للمسلمين من الثغور سوى (ألمرية), التي أصبح احتلالها أمراً وشيكاً لا جدال فيه, وخاصة أن ملك قشتالة عندما وضع خطته للسيطرة على غرناطة, كان يدرك بشكل قاطع ضرورة الاستيلاء على الحصون الداخلية بها, وكان من الطبيعي أيضاً أن يؤثر البدء بالقواعد الشرقية والجنوبية

---

(1) معالَ: الأمور المُستَعْجلة. ينظر: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (مَعَلَ)، ص: 625.

(2) كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 112.

(3) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 223.

التي تقع تحت سيطرة الزغل, ولكن القواعد الشمالية الغربية كانت قد وقعت تحت سيطرته عن طريق سيادة أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن الموالي له عليها. وبعد وقت اتجهت أنظاره تجاه (بسطة), التي كانت من أهم القواعد الشرقية الخاضعة لحكم (الزغل), حاصرها الجيش القشتالي حصاراً قوياً, اضطر زعيمها (يحيى النيار) أن يدفع الأذى عن أهلها, فقام بتسليمها لملك قشتالة مقابل تعهد الأخير بحفظ دماء المسلمين وأموالهم وتركهم على دينهم, سلمت المدينة عام (895هـ)[1] وغادرها معظم سكانها إلى وادي آش, وبعدها بقليل سلمت ألمرية ووادي آش عام (895 هـ), ضمن معاهدة سرية. وبموجب هذه المعاهدة انتقل (الزغل) إلى مدينة (أندَرش) وعاش فيها فترة من الزمن, ثم رفض ما حلَّ به وتنازل عن كل ما يملك, ورحَلَ إلى المغرب, نزل في وهران ثم انتقل إلى تلمسان وعاش فيها حتى وفاته[2]. فعندما تحفُّ المصائب بالإنسان ولا يجد سبيلاً لمواجهتها يضطر أحياناً إلى الهروب تاركاً أحزانه وأوجاعه ترقد بسلام في مضجعها كما يقول الشاعر يوسف الثالث:

تغافلْتُ عن هذا الزمان وصَرْفِهْ	فلَسْتُ أبالي أي حالاته تجري
فما في الليالي ما أسرُّ بحسنه	ولا في رداها ما يضيقُ به صدري[3]

(الطويل)

ظاهرة اليأس والإحباط ظاهرة عند الشاعر, لدرجة عدم اكتراثه بالفرح أو الحزن الذي قد يواجهه.

ونسله الآن في المغرب ما زالوا يعرفون باسم (بني سلطان الأندلس)[4]. بعد سقوط العديد من المدن والقلاع الأندلسية بيد النصارى لم يبق على ملكي قشتالة وأراجون (فرناندو وايسابيلا) لإكمال خطتهما في القضاء على الإسلام والمسلمين في الأندلس, سوى الاستيلاء على

---

(1) الجيوسي, **سلمى الخضراء: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 135.

- ينظر: الملاح, ياسر: **من الفجر إلى الغروب**, ص: 237.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 228.

(3) كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 182.

(4) المقري, أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب من غصن الأندلس وذكر** وزيرها لسان الدين بن الخطيب, ج: 1, ص: 278.

مملكة غرناطة, وكان تسليم غرناطة ضمن شروط الإفراج عن أبي عبد الله محمد عندما وقع أسيراً بيد القشتاليين, ويجب أن تسلم غرناطة بعد السيطرة على (بسطة, وألمرية, ووادي آش)[1], وكما مرَّ سابقاً فقد وقعت هذه المدن جميعها بيد القشتاليين, لم يبق سوى غرناطة, وفي العام (895هـ) أرسل ملك قشتالة مرسوماً ملكياً إلى أبي عبد الله محمد, يطالبه بتسليم القصور والمباني وخاصة قصر الحمراء, فقابله أبو عبد الله محمد بالرفض التام.

في هذه الفترة كانت سائر قواعد الأندلس قد غدت من أملاك مملكة قشتالة, وعُيِّنَ عليها حاكم نصراني, حتى عمَّ الغضب واليأس والنقمة على القشتاليين, وصفه الشاعر أحمد الدَّقون وعبَّر عن سخطه من الظلم الذي لَحِقَ بالأندلسيين حيث يقول:

وفرسانُهم تزدادُ في كل سَاَعةٍ	وفُرْسَانُنُا في حالِ نقصٍ وقِلَّةِ
فلما ضَعُفْنَا خيَّموا في بِلادِنا	ومَالوا علينا بلْدَةً بَعدَ بلدَةِ
وقد أَمَروُنا أن نَسُبَّ نَبِيَّنا	ولا نذكُرَنْهُ في رَخاءٍ وشدَّةِ
فآها على تبديلِ دِين محمدٍ	بدِينِ كِلابِ الرُّومِ شرِّ البريَّةِ[2]

(الطويل)

لقد عبَّر عن حالة الغضب والسخط التي حَلَّت بالبلاد بعد سقوطها بيد النصارى وقد استخدم للتعبير عن هذه المأساة العديد من الأوصاف التي وصف بها عدو الأمة كوصفه لهم (بالكفرة, والكلاب...) بالإضافة إلى تصويره لعمق الجرح الأندلسي وخاصة عندما حُرِّم على الأندلسيين ذكر اسم نبيهم, بالإضافة إلى التزايد المستمر لقوات الكفر والضلال وهنا إشارة إلى زيادة الأوضاع السيئة والمشينة التي يرتكبها الأعداء, فكانت صورة الشاعر معبرة وموحية بعظم الكارثة التي حَلَّت بالأندلسيين عندما تقرر تسليم غرناطة.

---

(1) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**.

(2) المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 1, ص: 111 – 112.

في عام (896هـ)[1] خرج فرناندو مع جيشه بهدف قتال الحامية الإسلامية حتى تضطر إلى التسليم. ولكنها لم تكن تلك الغنيمة السهلة, وخاصة بفضل موقعها الحصين[2], وشجاعة أهلها في الدفاع عنها واستبسال جندها وفرسانها في حمايتها ورَدِّ العدوان عنها كما يصفهم يوسف الثالث حيث يقول:

فإن لها الخيلَ العتاقَ إذا انبرت	تخالُ بأيدي الريح منها الشكائم[3]
تخط بهامات الكماة محاربا	لها ساجدٌ منهم وآخر قائم
مواقفنا مشهورة وسيوفنا	مشهرة والنَّضو ولهان هائمُ[4]

(الطويل)

يفتخر الشاعر بشجاعة وقوة فرسانهم, التي ترهب عدوها بقوتها وسرعة حركتها, بالإضافة إلى استبسال المجاهدين في الدفاع عن حصنهم, فمواقف الجهاد عندهم كثيرة, وإن دَلَّ ذلك فإنما يدل على قوتهم وعدم رضوخهم لعدوهم ومغتصب أرضهم.

ومن فرسانها من عرف عنه بشجاعته وبسالته, ما زال الدم العربي يجري في عروقه هو الفار والأمير (موسى بن أبي الغسان)[5] من الذين عارضوا تسليم غرناطة ورفض بشدة مهادنة العدو والخضوع له. أصبح الحصارُ يضيق على غرناطة, ودام القتال سبعة أشهر, حتى جاء فصل الشتاء, ونزل الثلج فأغلق معظم الطرق التي كانت تنقل البضائع والمؤن, واشتد الغلاء, وعظم البلاء, واستولى العدو على العديد من الأماكن خارج البلد[6], في العام (897هـ) طمع العدو بالسيطرة النهائية على غرناطة بسبب الجوع, والغلاء, بعدما فرَّ الكثير من الناس

---

(1) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 236.

(2) **المرجع السابق**, ص: 237.

(3) الشكائم: القوة والانتصار من الظلم. ينظر: **ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 517.

(4) كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 113.

(5) عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 124.

(6) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 239.

خارج المدينة, وخاصة من قهرهم الجوع وقلة العمل, حتى أنّ أبا عبد الله محمد والكثيــر مــن القادة والوزراء حاولوا التصرف بأملاكهم.

وعندما اشتدت المصيبة بالناس, وضعف الحال, أيقن أبــو عبــد الله محمــد أن مدينــة غرناطة لا يمكنها دفع بلائها[1], وردِّ مصيبتها, والدفاع عن كيانها, وخاصة كما ذكرنا انقطعــت المعونات والإمداد عن المملكة, ونزولاً عند رغبة الشعب وكبار القادة باستثناء القائــد الفــارس (موسى بن أبي الغسان), الذي خاطب جماعته قائلاً: "لقد عجلتم إلى الكلام في أمر التســليم, إن وسائلنا لم تنقطع, ولم يزل عندنا بقية قوة عظيمة الفعل شديدة التأثير, وطالما كانــت الاســتماتة سبب الفتح, فلنستنفرن العامة إلى الجهاد, ولنسلخنَّهم وتقتحمَّ صفوف العدو حتى نخالط أســنّتهم وإنني لحاضر أن أمضي في هذا السبيل"[2]. كانت رغبة الشعب والقادة هو تسليم غرناطة لملك قشتالة, لأن الوضع لا يساعد أبداً على القتال وإدارة حرب خاسرة. كما عبَّر عن ذلك بعض أهل الجزيرة للسلطان أبي يزيد العثماني حيث يقولون:

وجاءوا بألفاظِ عِظامٍ كثيــــرةٍ	تُهدِّمُ أســــوارَ البِلادِ المنيعــةِ
وشدُّوا عليها في الحِصَار بقوةٍ	شُهوراً وأيَّاماً بجــدٍ وعزمَــةٍ
فلمــا تفانَــتْ خيلُنا ورجــالُنا	ولم نرَ مِن إخوانِنا من إغاثــــة
وقلَّت لنا الأقواتُ واشتدَّ حالُنا	أطعْنَاهُم بالكُرْهِ خَوْفَ الفضيحةِ[3]

(الطويل)

لقد أدرك أهل الجزيرة أن حربهم ضد عدوهم خاسرة لأن عتادهم ومخزون طعامهم قــد نفذ, فكانت المصيبة عظيمة والبلاء وخيم, أضف إلى ذلك أن القوة المساندة للنصارى (الكنيسة) كانت تمدهم دائماً بالجيش والعدة, مما مكنهم من تشديد قبضة الحصار على المدينة وأســوارها, فكان لا بد لهم من الخضوع مكرهين وخاصة عندما فقدوا يد العون والمســاعدة مــن إخــوانهم

---

(1) عيسى, عبد العزيز محمد: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 24.

(2) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 240.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 111.

وجيرانهم, فكانت رسالتهم إلى السلطان في غاية التأثير لما تحملـــه عبـــارات ودلالات مؤســـية ومحزنة تهتز لها المشاعر والعواطف كقولهم: (لم نرَ من إخواننا من إغاثة, وأطعناهم بالكره).

لقد أحكمت جيوش (فرناندو) طوقها على مدينة غرناطة, ومـــا كـــان للمســـلمين إلا أن يدافعوا عن غرناطة آخر ما بقي لهم من الأندلس, وأن يقاوموا المغيرين علـــيهم, وقـــد دافعـــوا وقاوموا ما وسعتهم المقاومة, فهم أبطالٌ سجل التاريخ بطولاتهم التي ورثوها أباً عن جد يقـــول الملك يوسف الثالث مفتخراً:

لنا السَلَفُ الأرضى, حماها قد ارتضى   وناهيك عن جـــد كريم ومن أب

وتقـــدمنا البشـــرى لغرناطـــة وقـــد   ظفرنا بما نرجوه من كل مطلب[1]

(الطويل)

لقد تميز شاعرنا يوسف الثالث بافتخاره دائماً بنســـبه, وشـــجاعة مَـــنْ ينتســـب إلـــيهم فشجاعتهم موروثة يورثها الأجداد لأبنائهم, وهذا ما جعلهم يقفون بصمود وشموخ فـــي ســـبيل الحفاظ والدفاع عن غرناطة آخر معقلهم ووجودهم.

وفي الثاني من ربيع الأول من العام (897هـ)[2] استولى النصـــارى علـــى الحمـــراء, ودخلوها بعد أن استوثقوا من أهل غرناطة بنحو خمسمئة من الأعيان, أبرمت على إثرها معاهدة تسليم غرناطة وقد نصت على العديد من المواثيق التي تحفظ للمسلمين دمـــاءهم وأعراضـــهم, وتحدد لهم علاقاتهم من غيرهم من النصارى فيما يتعلق بـــأمور حيـــاتهم, عـــاداتهم, وديـــانتهم وممتلكاتهم[3], غير أن قدوم الكاردينال (فرانسيسكو) إلى غرناطة كان مؤذناً بنقض كـــل تلـــك الشروط التي نصت عليها معاهدة التسليم, وكان هذا القس المتعصب يرى ضرورة إرغام شعب غرناطة المسلم على اعتناق الدين المسيحي, وأدى ذلك إلى اندلاع الثورة في حي البيازين, ولكن

---

(1) كنون, عبد الله: ديوان يوسف الثالث, ص: 15.

(2) عيسى, عبد العزيز محمد: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 24.

(3) الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 135.

الثورة أخمدت بالقسوة التي اعتاد عليها النصارى في معاملتهم المسلمين[1]. وفي اليـوم التـالي لتسليم غرناطة خرج المقهور أبو عبد الله محمد من الحمراء محفوفاً برؤساء غرناطة وخاطـب الأمة قائلاً: "لا ذنب إلا علي! أنا الذي عققت والدي, وجلبت الأعداء على المملكة.............. وحفظاً لأموالكم وأملاككم, وحريتكم وشريعتكم وديانتكم في ظل ملوك أسعد طالعا من أبي عبـد الله المشؤوم"[2]. ثم قضى أبو عبد الله وآل بيته ليلتهم الأخيرة في الحمـراء يزمـون حقـائبهم استعداداً للرحيل وغادروا غرناطة والناس نيام وسط بكاء زوجته وجَلَد أمه عائشـة[3], وعنـد مطلع شمس يوم التسليم التقى الملكان بالسلطان, وهناك سلماه ابنه الذي كان مرهونـاً عنـدهم, ضمه إلى صدره وكأنما الشقاء قد زاد من تعلق أحدهما بالآخر[4]. ثم قام أبو عبـد الله بتسـليم مفاتيح غرناطة للملكين قائلاً: "هذه المفاتيح هي آخر ما بقي من سلطان العرب في الأنـدلس"[5]. قال كلماته ثم ذهب بطريقه وعندما وصل إلى ما يشرف على غرناطة وقف يودع مدينته, أخـذ يتأمل في أبراجها وقلاعها, ومنابرها الصاعدة في السـماء ومروجهـا الخضـراء المنقطعـة النظير[6]. وبينما هو على تلك الحال, ارتفعت فوق القلعة أصوات المدافع, إيذاناً بأن غرناطة قد دخلت في حوزة الأسبان, وانقطعت منها دولة الإسلام[7]. لم يتمالك أبو عبد الله نفسه من هول ما رأى, وأخذ يبكي, فصاح (الله أكبر) تقدمت منه والدته وخاطبته: "أجل عليـك أن تبكـي بكـاء النساء, على ما عجزت أن تدافع عنه دفاع الرجال"[8]. وقد عبَّر ابن الجَّياب عن حزنه لسـقوط غرناطة برثائه لها ولأهل العلم والبلاغة فيها حيث يقول:

أبى اللهُ إلا أن تكونَ اليَدُ العليا   لأندلُسٍ من غير شَـــرطٍ ولا ثنيا

---

(1) الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 135.

(2) عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 126.

(3) **المرجع السابق**, ص: 127.

(4) **المرجع نفسه** , ص: 127.

(5) عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 127.

(6) الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 3.

(7) عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 127.

(8) الركابي, جودت: **في الأدب الأندلسي**, ص: 31.

- ينظر: عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 128.

وإن هي عَضَّتْها نيوبُ نوائـــبٍ فصَيَّرَت الشَهْدَ المشـــهودَ بها شَرْيا[1]

فما عَدِمَتْ أهلَ البلاغة والحجا يقيمون فيها الرَّسْــــمَ للدين والدنيا

فنسأل في الدنيا من الله سُـــتْرَةً علينا, وفي الأخرىَ إذا حانت اللقيا[2]

(الطويل)

وحقيقة, لقد صَدَقَ قائل هذه الأبيات, فبالرغم من الحسرة والألم اللذين يعتصران وجدانه على سقوط غرناطة, إلا أنه افتخر ببلاغة أهل الأندلس التي لم تزل شمســـها بـــاهرة إلـــى أن استولى عليها العدو وعَطَّلَ من أهل الإسلام الرَّواحِ إليها والغدو, ويختم الشاعر أبياته بالـــدعاء لأهل الأندلس وبلدهم بالسترة في الدنيا والآخرة.[3]

عبر أبو عبد الله البحر إلى المغرب ونزل بمدينة فاس, واتخذها مقراً له حتى توفي عام (940هـــ)[4]. وهكذا انطوى بسقوط غرناطة آخر صفحة من صفحات النضال والوجود العربي الإسلامي في الأندلس, وزال ملك العرب من بلاد خلفوا وراءهم فيها آثارهم وحضارتهم بعد أن فتحوها, وطبعوا عليها طابع الإسلام والعروبة, واستمرت بطابعها وحضارتها العربية الإسلامية زهاء ثمانية قرون. ثم جلا آخر عربي من فردوس أمته المفقودة تحت تأثير اضطهاد الأســـبان الذين لم يفوا بعهودهم. ومما كتبه أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر عليها جميعها:

وكنا على ديــــنِ النبي محمـــــدٍ نقاتِلُ عُمَّـــالَ الصـــــليب بنيـــــة

ونلقى أموراً في الجهادِ عظيمـــةً بقتـــلٍ وأســــــرٍ ثم جُوع وقلّـــــة

فجاءت علينا الرومُ من كلِّ جانبٍ بســـيلٍ عظيمٍ جملةً بعد جملـــــة

ومالوا علينا كــــــالجراد بجمعهم بجدٍ وعزمٍ من خيولٍ وَعُــــــدَّةِ

فلَّما تفـــانت خـــيلنا ورجـــــالنا ولم نرَ من إخواننا مـــن إغاثـــة

---

[1] شريا: الحنظل. ينظر: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (شريَ)، ص: 430.

[2] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 116.

[3] **المصدر السابق**, ج: 1, ص: 116.

[4] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج1، ص: 31.

وقلَّت لنا الأقواتُ واشــتدَّ حالنا	أطعناهم بالكره خوف الفضيحــة
وخوفــاً علـــى أبنائــنا وبناتنـــا	مِنْ أن يؤسروا أو يقتلوا شر قِتلة
على أن نكونَ مثلَ من كانَ قبلَنا	من الدُّجنِ من أهلِ البلادِ القديمة
ونبقي على آذاننا وصــــــــلاتنا	ولا نتركَنْ شيئاً مِن امْر الشريعةِ
ومَن شاءَ منا البَحر جاز مؤمناً	بما شاءَ من مالٍ إلى أرضِ عُدْوة
إلى غير ذاكَ من شروط كثيرة	تزيد على الخمسِين شرطاً بخمسةِ
فقالَ لنا سلطانهم وكبيرهــــم	لكم ما شـــــرطتم كامــلاً بالزيادةِ
وأبــدى لنا كُتْباً بعهد وموثــق	وقال لنا هــذا أمانـــي وذمتـــــي
فلما دخلنا تحـــت عَقدِ ذمامهم	بدا غدرهم فينا بنقض العزيمـــةِ[1]

(الطويل)

كانت المصيبة التي حلّت بالمسلمين الأندلسيين عظيمة, وأشدّها إيلاماً سقوط آخر مدنهم بيد النصارى وإذاقتهم ألوان الذل والهوان مقابل تسليمهم المدينة التي أرغمــوا علـــى تســـليمها حفاظاً على أرواحهم وأولادهم, وتبدي الأبيات العديد من الشروط التي تمــت فـــي المعاهــدة, كمحافظة المسلمين على هويتهم الدينية, وتأديتهم لشعائرهم بكل حرية, مع حريـــة التنقــل مـــن الأندلس وخرجها وغيرها من الشروط التي وردت في الأبيات السابقة والتي كانت بمثابة الوثيقة التي سلمت على إثرها غرناطة, ولكن النصارى كانوا من الغادرين لوعودهم نقضـــوا عهــدهم للمسلمين وأجبروهم على التنصر أو الرحيل فكانت فاجعة عظيمة أبتلي بها المســـلمون عـــزهم وسلطانهم. وقد عَبَّر عنها ووصفها ابن الدَّقون بقوله:

أَمِنْتَ من عَكْــس آمال وأحــوالِ	وعشْتَ ما بينَ أعمامٍ وأخــــوالِ
ولا ابتليتَ بما في القلبِ من نَكَــدٍ	فالجسم مشتَغِلٌ من غير أشـــغالِ
وكــيف لا وبِقــاعُ الدِّيــنِ خاليــةٌ	من أرضِ أندلسَ من أجل أهوالِ

---

[1] المصدر السابق, ص: 110 – 111.

وارحل ببخْلِكَ نحْوَ الغَرْبِ في كَرَمٍ   من قبلِ وضعِكَ في قيدٍ وأغــلالَ[1]

(البسيط)

يعبر الشاعر في مطلع أبياته عن حالة الأمن والاستقرار التي يتمتع بهـا الفــرد بــين عشيرته وأقاربه, بالرغم من كونها حالة غير مستقرة في الأندلس مقارنة مع المصيبة العظيمــة التي تحزن القلب وتشغله, بمصير بقاع أصبحت خالية مليئة بالمصائب والأهوال التي تفــرض على المرء الرحيل قبل إصابته بمكروه وهذا ما أقدَم على عمله عبد الله بعــد تســليمه مفــاتيح غرناطة, فكانت مصيبة عظيمة أن يترك المرء وطنه وملجأه, ويذهب بعيداً إلى أراضٍ لا يعرفها ولا يعرف مستقرها.

ثانياً: الفتن والحروب الداخلية بين سلاطين بني الأحمر.

(1) المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 104.

تميز عصر بني الأحمر من الناحية السياسية أنه أسوأ عصر حظي به المسلمون بالأندلس. ففيه كثرت الفتن والانقلابات, وفيه صراع ضارٍ على الحكم بين سلاطين بني الأحمر, أدّى ببعضهم في ســــبيل تحقيق مطامعه الشـــخصية وانتصاره على منافســـه, إلى موالاة أعداء أمته وملته.

وقد نشأت أولى الثورات والفتن التي عملت على إنهاك قوى النضال, والدفاع عن الأراضي المقدسة, في عهد الأمير محمد الشهير (بالمخلوع) عام (701هـ), وقد استمرت تلك الفتن والثورات على أشكال مختلفة ومتشابهة إلى أخر حكم بني نصر, وقد تطورت الفتنة بثورة كبار رجال الدولة, حيث قتل فيها الوزير (ابن الحكيم), وزير (محمد المخلوع), ونادوا بحكم أخيه (أبي الجيوش) نصر مكانه, ثم نقل محمد المخلوع معتقلاً إلى المنكب[1] ووصف ابن الخطيب محنته في قوله:

بكتك بلادٌ كـــــنت تحمي ثغورَها	بعزمٍ أصيلٍ أو برأي مسَّدَدِ
كأنك ما قدت الجيوشَ إلى العدا	فصيَّرتهم نهبَ القنا المتقصِّدِ
وفتَّحت مــــن أقطارهم كلَّ مبهَمٍ	فتحت بها بابَ النعيم المُخلَّدِ[2]

(الطويل)

فالشاعر يصور المأساة التي حلَّت بالسلطان الذي بَكَتْه البلاد لأنها فقدت حاميها, وبكَتْهُ الجيوش لأنها فقدت من يقودُها إلى النصر وفتحِ معاقلَ العدوِ.

ثم تجددت الثورات في عهد (محمد الرابع), فقد تعرض منذ بداية عهده للعديد من الفتن والمشاكل الداخلية, أثارها رئيس الجند, وشيخ الغزاة (عثمان بن أبي العلاء), وانضم إليهم عم السلطان (محمد بن فرج بن إسماعيل), ثم قامت بين الطرفين العديد من الواقع الحربية, كان النصر فيها سجالاً بينهما, وعندما تفاقم وضع النصارى والحروب الصليبية ضده فضل عقد

---

[1] ابن نصر, إسماعيل: **نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان**, ص: 18.

[2] ابن الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية**, ص: 56.

الهدنة والمصالحة مع الخارجين عليه, على أن يستقروا بوادي آش باسمه وتحت طاعته, فهدأت الفتنة واستقرت الأمور بشكل مؤقت[1], وفي جميع الأحوال كان التدخل المغربي لشؤون الأندلس الداخلية, وخاصة من قبل شيخ الغزاة من أكثر العقوبات والصعوبات التي واجهت السياسة الداخلية لغرناطة, وكانت بمثابة العبء الثقيل الذي حملته البلاد فوق حملها ومحنتها.

وفي نهاية عهد سلاطين بني الأحمر, وخاصة السلطان محمد (الأيسر), الذي شهد عهده العديد من الفتن, وسلسلة من الاضطرابات, ساءت أمور الدولة, واشتد سخط الشعب عليه وغضبه, حتى محاولات وزيره (ابن سراج) لم تجدد الصلة والتفاهم بين الأيسر وشعبه, على الرغم من المكانة العالية التي يحتلها بنو سراج في غرناطة فقد كانوا أنداداً للعرش والسلاطين[2], وفي الجهة المقابلة كانت قشتالة ترقب جميع الأحداث والتطورات الداخلية, وتعمل دائماً على توسيع دائرة الخلاف, وإثارة الفتن والدسائس قدر الإمكان, لأنها من الدوافع الهامة لسقوط غرناطة, وتعمل على إضعاف قوة الحمية والارتباط بالسلطان والولاء له. وبسبب تعدد الاضطرابات والانقلابات في عصر الأيسر, غدا عرش غرناطة مرة أخرى يضطرب بيد القدر, وانقسمت المملكة الإسلامية شيعاً وأحزاباً متنافسة متخاصمة وألفى النصارى فرصتهم السانحة لإذكاء الفتنة, وبسط سيادتهم على مملكة يسودها الضعف والتفرق, يقول في ذلك ابن الخطيب واصفاً حالة الفوضى والاستسلام التي وصلت إليها البلاد, مستحثاً العزائم, ومبيناً خطر النصارى على ثغر الأندلس:

تحكَّم في ســــكان أندلس العِدا   فلهفاً على الإسلامِ ما بينهم لهفا

أحاط بنا الأعداءُ من كلِّ جانبٍ   فلا وِزْراً عنهم ولا حداً ولا لهفا

---

(1) عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 122.

(2) **المرجع السابق**, ص: 155.

فهل ناصرٍ مســـتبصرٍ في يقينه يجير من استعدا ويكفي من استكفى[1]

(الطويل)

وحقيقةً لقد تميز هذا العهد، (عهد ولاية الأيسر) بالضعف والاضطراب مما أدى إلى تطور الخلافات الداخلية والحروب الأهلية التي أنهكت المملكة المسلمة وعكست الوضعية الخطرة التي تميز بها سلاطين بني الأحمر في آخر عهدهم، يقول السلطان يوسف الثالث:

شـــخصٌ يهِيــمُ بكــل وادٍ مثلما لعبت بمجنون الحمى الأوهامُ

جاءت بـــه أيامُ دهْرٍ قد قضـــى أن تعـــــدل الآراء والحكَّـــامُ

قد كنتُ أُعْذِرُ في السفاهةِ أهلها فاعجــــــب لما تأتي به الأيامُ

ولأنتــمُ يا رافعيهـــــا رايـــةً لِلعْلمِ نِعْـــــمَ الحزبُ والأعلامُ

لَكُمْ أبيِّـــنُ ما قصـــدتُ بيانــــه وأقولُ حُكمى شـــــأنه الإِحكامُ

صبري على حلو الزمانِ ومره أمرٌ به قــد جفـــــت الأقلامُ[2]

(الكامل)

يصور يوسف الثالث حالة الوهن التي وصل إليها الحكام في نهاية عهدهم, فكانوا كالتائه الذي يركض وراء الأوهام ويتخبط في عميانه وضلاله, وما آلت إليه الأمور في الأندلس يعجز القلم حتى عن وصفها وإدراكها كما يقول: أمرٌ به قد جفت الأقلام...

وفي عام (846هــ),[3] تولى عرش غرناطة (محمد بن نصر بن محمد الغني بالله) المعروف بـــ (الأحنف) وقد واجه هو الآخر فتنة شديدة عصفت في البلاد من قبل زعيم (بني سراج) الذي أيَّد ولاية (ابن إسماعيل) المقيم في بلاط قشتالة, ثم حصلت العديد من المعارك بين الطرفين, كان آخرها المعركة التي نشبت في ظاهر غرناطة, وانتهت بالنصر لصالح ابن

---

[1] ابن الخطيب, **لسان الدين: الديوان**, ج: 1, ص: 677.

[2] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 115.

[3] عنان: عبد الله, **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 163.

إسماعيل (يوسف بن أحمد) وهزيمة الأحنف, وعلى إثرها دخل (ابن إسماعيل) غرناطة, ولم يمض وقت طويل حتى وقع انقلاب جديد في ولاية العرش الغرناطي, ذلك أن الأمير سعداً هاجم الحمراء مع أنصاره وانتزع العرش لنفسه, وفرَّ ابن إسماعيل مع أعوانه. وعندما استلم العرش (سعد بن محمد بن يوسف) المستعين بالله المعروف بابن الأحمر[1] ثارَ عليه ولده (أبو الحسن) بتحريض من بني سراج, أجبرَ الأخير والده على الخروج من غرناطة إلى مالقة, ثم تولى الحكم بعد والده. وبعد استلام أبي الحسن حكم البلاد، وقد حكم أبو الحسن البلاد ثلاث سنوات امتازت بكثرة الاضطرابات والحروبات التي أطاحت بعزيمة وصمود المملكة الإسلامية وجعلتها ضعيفة أمام أعدائها الذين تميزوا بقوتهم وجبروتهم الكاسر، يقول أحمد الدَّقون:

عَمَّت فَغمَّت قلوبُ المســــــلمين فيها	للمسلمين من أعداءٍ وأنكالِ
جاشت بها من جيوش الكفر ما دَرَست	بهــم معالــمُ أخيار وأقيالِ[2]

(البسيط)

يصف الشاعر ما حلَّ بأرض المسلمين التي انتهكتها قوة الكفر الغاشمة والتي كسرت قلوب المسلمين, وسيطرت عليهم وأذلت بهم الكبير والصغير والأفاضل في قومهم والأقيال (الملوك ذات المرتبة العالية).

تزوج السلطان أبو الحسن بابنة عمه السلطان الأيسر, (عائشة), وكانت عائشة تمتاز بشخصية متألقة, أثارت إعجاب من خالطها في تلك الفترة, أنجبت له ولدين هما: أبو عبد الله محمد, وأبو الحجاج يوسف, ثم تزوج أبو الحسن من امرأة نصرانية تدعى (ثريا)[3] واسمها النصراني (ايسابيلا), فقد كان من القيم الاجتماعية التي سادت هو زواج المسلمين من فتيات نصرانيات, وكذلك فقد ولد بعض الأمراء لأمهات من النصارى مثل (محمد بن سعد) المعروف (بابن مردنيش) مالك بلنسية ومرسية بالرغم من لغته القشتالية, وحبذه من النصارى. أنجبَ

---

[1] عنان: عبد الله, **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 167.

[2] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 105.

[3] الجيوسي: سلمى الخضراء, **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 134.

السلطان من زوجته النصرانية ولدين، وكانت الأم النصرانية ترجو أن يكون الملك لأحد أبنائها, فحاولت من اجل ذلك الكثير, ومن ضمن محاولاتها جعلت السلطان أبي الحسن ينبذ زوجته المسلمة وأولادها, وكان لها ما أرادت, فوضعت عائشة وأولادها في برج قمارش (أمنع أبراج الحمراء).[1] أدى هذا التصرف من قبل السلطان, إلى حدوث الاضطرابات والخلافات العديدة في المجتمع الغرناطي وانقسم الزعماء إلى قسمين بين مؤيد ومعارض لهذه السياسة, ثم حاول أبو الحسن إرضاءً لثريا أن يزهق ولده (أبي عبد الله محمد) ولكن عائشة اتصلت بأنصارها وأعوانها (بنو سراج) أقوى أسر غرناطة وأعرقها, واتفقت معهم على الفرار مع ولديها, وعند خروج أبي الحسن لقتال ملك قشتالة عادَ ابنه أبو عبد الله محمد وجلس مكانه على العرش, بعد ما أغلق أبواب غرناطة بوجه والده[2] فطاعه شعب غرناطة وفرَّ أبو الحسن إلى مالقة عند أخيه الزغل فكانت هذه بمثابة المأساة التي خلَّدها التاريخ وكتبها بقلم الذل والهوان لما قام به الولد اتجاه والده, فالأيام لا تقدم عطاءها وأمنها لأحد, تصل بالمرء أحياناً أن يطرد والده ويخرجه من بلاده وحكمه. يقول الشاعر يوسف الثالث:

يا غافلاً غرَّه ما جَرَّه الزمن	هَــدَيتَ إنَّ الليالِيَ كُلُّها مِحَنُ
لا تَغْتَرِر بســرورٍ زائلٍ فَلَهُ	بَعْدَ الســرورِ إذا دبَّرته حَزَنُ
كم قد أهانَ عزيزاً بعد عِزَّتِه	وكــــم أَعزَّ ذليلاً وهو ممتهَنُ
هي الليالي فلا تيأس لشدَّتها	فكم رَزايا غَدت في طِيها مِهَنُ[3]

(البسيط)

وفي عام (888هـ) تصدى الزغل للقوات القشتالية, وانتصر عليهم, علم أبو عبد الله محمد بالأمر, وخاصة بعد ارتفاع مكانة الزغل بين المسلمين, بانتصاراته العديدة ضد الأسبان. وفي معركة اللّسانة[4] ومع الأمير أبو عبد الله محمد أسيراً بيد النصارى, وبعد عودة الجيش إلى

---

[1] عنان: عبد الله, **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 200.

[2] عتيق: عبد العزيز, **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 122.

[3] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 195.

[4] **المصدر السابق**, ص: 122.

غرناطة حزن على أسر الأمير الشعب كافة, في حين فرح والده, وتقدم بقواته إلى غرناطة وأعادَ احتلالها مرة أخرى, وبعد فترة أطلق سراح الأمير أبو عبد الله محمد بعد اتفاق أمه عائشة مع (فرديناند) ملك قشتالة, مقابل العديد من الشروط التي وافق عليها الأمير من ضمنها الاعتراف وتقديم الولاء لملك قشتالة وزوجته ملكة أراجون, بالإضافة إلى دفع الجزية السنوية, وأهمها تقديم ولده الأكبر رهينة عند النصارى ضماناً بحسن وفائه.[1] لم يكن إطلاق سراح أبي عبد الله محمد عملاً إنسانياً بل كان هدفه هو إشعال نار الفتنة بين الوالد وابنه, مما يؤهل ملك قشتالة لإكمال خطته في السيطرة على باقي المدن الإسلامية وأهمها غرناطة وخاصة بعد إثارة العديد من الفتن والثورات الداخلية بينهم. وبعد إطلاق سراحه دخل مع أمه وأعوانه إلى غرناطة, علم والده بدخوله إلى المملكة, جمع الأشراف وكبار القادة وقرروا مهاجمة أبي عبد الله محمد في قصره بعد انقسامهم إلى قسمين, منهم من ينادي باسم أبي عبد الله, والقسم الآخر ينادي باسم أبي الحسن, ثم يقتتل الفريقان وتسيل الدماء, وتصبح حمراء غرناطة اسماً على مسمى, حتى كلَّ الناس من تقتيل بعضهم البعض. ويطول الصراع بين الأب وأبنه من أجل الحكم, إن ضعف هذا تولاه ذاك, وإن ضعف ذاك تولاه هذا.[2] فكان الصراع على الحكم من أكثر الأسباب التي أوجدت الفوضى في تلك الفترة، يقول (أبو عثمان سعد بن ليون) وهو من شيوخ لسان الدين بن الخطيب:

حُبُّ الريَّاســــــة يا له مـــن داءٍ	كم فيه من محنٍ وطول عناءِ
طَلَبُ الريَّاسةِ فتَّ أعْضَاءَ الوَرَى	وأذاقَ طَعْــمَ الــذُّلِ للكبُراءِ
إنَّ الريَّاسة دون مرتبــــــةِ التُّقى	فإذا اتَّقيْت عَلوْتَ كلَّ عــلاءِ[3]

(الكامل)

---

[1] عنان: عبد الله, **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين**, ص: 205.

- ينظر: الملاح, ياسر: **من الفجر إلى الغروب**, ص: 237.

[2] عتيق: عبد العزيز, **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 122.

[3] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 8, ص: 122.

يحذر الشاعر من الخضوع لطلب الحكم والرئاسة لأنها كالداء الذي يوقع الإنسان أحياناً بالعديد من الويلات (كالذُل والمحن وطول العناء...) وخاصة لمن يجعل ذلك هدفه وغايته في حياته, فربما ينجحون في هذا أو يفشلون, كما فيه أيضاً مخاطرة كبيرة على أصحاب الهمم العالية من الذل والهوان.

ومع ذلك قامت عائشة بإغداق الأموال على مؤيدي ابنها, وعملت على تجمعهم حوله, أقيمت المتاريس في الشوارع المؤدية إلى قصر البيازين, لإفشال إعادة الهجوم على ابنها مرة ثانية, وبعد انتخابات جرى انتخاب (الزغل) ملكاً على البلاد,[1] وبالرغم من كونه ملكاً عظيماً إلا انه وقع فريسة لزوجته النصرانية التي سلبت تفكيره وإرادته وجعلته يقف في ساحة المواجهة والقتال ضد أبنه حقاً (إن كيدهن عظيم). وفي العام (890هـ)[2] توفي أبو الحسن ودفن في مدينة المنكب, وتولى عرش البلاد (الزغل) عام (889هـ), في وقتها كان أبو عبد الله في قصر بيازين فأخذ يبث الدعوة لنفسه, ويحرض ضد عمه (الزغل) وبعد جهود كثيرة تمَّ الصلح بينهما على أساس مشترك وهو تكثيف الجهود لقتال النصارى, تظاهر أبو عبد الله محمد بالقبول, لكنه اتصل بحليفه (فرديناند) وطلب منه المساعدة لتخليص الحكم له وحده, وهذا يحذر ببداية حرب جديدة بين الابن وعمه, وبالفعل قامت الحرب بين الطرفين, وسَعِدَ بذلك العدو المقدام الذي ينتهز اللحظة المناسبة للقضاء على المسلمين ودولتهم في الأندلس. حتى المدن الإسلامية فقد فضل معظمها الانضمام تحت لواء ملك قشتالة على الاستمرار في خوض المعارك والحروبات الأهلية. وهكذا بدأت غرناطة تواجه شبح الفناء والخلاص من جديد, وخاصة بعد تجدد الحرب الأهلية بين الطرفين, وبدأ أهل غرناطة يفقدون روح الجهاد والنضال ضد عدوهم الغاصب, وبالتالي كانت الفتن الداخلية من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط غرناطة بيد الأسبان التي بكاها ابن الدَّقون, وأشارَ إلى الأخطار التي تحدِّق بالأمة الإسلامية بعد سقوطها يقول:

هذا النذير جهاراً جاء ينذرنا   والأذن في صمم عن قيل أو قالِ

[1] عتيق: عبد العزيز, **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 122.

[2] **المرجع السابق**, ص: 122.

ونحن في غفلةٍ عما يرادُ بنا   نمشي على مهلة من طول إمهالِ[1]

(البسيط)

في العام (891هـ)[2] تمت المعاهدة والصلح بينهما من جديد وتكاثفت الجهود هذه المرة لاستعادة مدينة (لوشة) و(بلش) من أيدي العدو إلا أن جهودهما لم تثمر في الدفاع عن المدينتين, وبعد خسارة أبي عبد الله محمد لمدينة (لوشة) عادَ إلى غرناطة وبسط سلطانه عليها وأغلق أبوابها بوجه عمه الزغل,[3] الذي بقي يواجه القشتاليين وحده, حتى اضطر إلى عقد الصلح مع ملك قشتالة مقابل تسليمه العديد من الحصون والمدن, وإعطاء الآمان لسكانها على حياتهم وأوطانهم.

وبعدما تحقق للقشتالي ما أراد, بسيطرته على ممتلكات (الزغل) أرسل مرسوماً يطالب به ابن الأحمر بتسليمه غرناطة. ولا سبيل لنا إلا القول: إن النزاعات والحروبات الداخلية بين ابن أبي عبد الله محمد وعمه (الزغل) كانت من أهم الأسباب التي دفعت ملك قشتالة للمطالبة بتسليم غرناطة, وخاصة عندما أدرك أيضاً أن القوى النضالية لسكان غرناطة آخذه بالضمور, بسبب ما عانته من فتن داخلية وحروب قتالية, بالإضافة إلى ولاء العديد من سلطان بني الأحمر لأعدائهم واستنجادهم بهم, على أن يكثفوا جهودهم ضد عدوهم الصليبي الذي هدد الأمة الإسلامية منذ وجوده, وحرمها من حقها في العيش بحرية وكرامة محافظة على وجودها وسيادتها العربية.

ومن الملاحظ أن هناك العديد من الشعراء الذين دافعوا دفاعاً حاراً عن أبي عبد الله معتبرين ما حصل لغرناطة هو قدرها, وكله من عند الله بالرغم من دفاع المسلمين عنها والاستبسال في حمايتها. ومن هؤلاء الشعراء محمد بن عبد الله العربي العقيلي حيث يقول:

تالله ما أضمرت غشاً ضـمائرنا   ولا طَوَتْ صَحَةً منها على سَقَمِ

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 104.

[2] الجيوسي: سلمى الخضراء, **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ص: 135.

[3] عتيق: عبد العزيز, **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 122.

لكن طلبنا من الأمْرِ الذي طلبت	ولأننا قبلنا في الأعْصُـــرِ الدُّهُمِ
فخاننا عنده الجدُّ الخؤون, ومن	تقعدْ به نكباتُ الدَّهـــــر لم يَقُمِ[1]

(البسيط)

من خلال عرضنا السابق نلاحظ أن سقوط غرناطة في يد النصارى لم يكن حادثاً فجائياً ومؤلماً فحسب بل كان نتيجة طبيعية, وخاصة لمرور العديد من الحوادث السابقة عليها وقد كان خاتمة محتومة لاستشهاد طويل الأمد, قدَّمه الشعب العربي المسلم في سبيل الحفاظ والدفاع عن عروبته, سطره الشاعر الأندلسي بأسمى آيات البطولة والفداء وأروعها, فكانت كلماته شديدة الوقع والأثر لما تحمله من مشاعر الحزن والأسى على ما حلَّ بالأندلس المسلمة من ضياع وتشريد, بالرغم من صور البطولة والفخر التي اعتز بها شعراء الأندلس, والتي تجسد أروع ما قدَّمه العربي المسلم في سبيل الدفاع عن حريته ووطنه. وقد ظهر هذا بشكل واضح من خلال عرضنا للمبحث الأول من صراع العرب المسلمين مع النصارى. ولكن على الرغم من المواقف الشجاعة والحاسمة التي خاضها الشعب الأندلسي, إلا أن الضعف والروح الانهزامية التي اتسم بها معظم سلاطين بني الأحمر, جعلت من بلادهم وعروبتهم فريسة سهلة بيد النصارى, فكان لهم الدور الأكبر في إنهاء الدولة الإسلامية وخروج العرب المسلمين من الأندلس نتيجة نزاعاتهم على الحكم, وقد ظهر ذلك واضحاً من خلال عرضنا للمبحث الثاني ضمن ما يسمى بالصراع السياسي بين سلاطين بني الأحمر أنفسهم, وبالتالي فقد ساهمت تلك العوامل على إنهاء سيادة العرب المسلمين في الجزيرة الخضراء وإخضاعها ضمن سيادة الكنيسة البابوية التي كرست جلَّ اهتمامها على طرد العرب المسلمين من بلادهم والاستيلاء عليها, فلم يسع الشاعر الأندلســــي إلا الوقوف على ماضــي العــرب التليد فــي بــلادهم باكياً حيناً ومحرضاً على القتال حيناً آخر.

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 285.

الفصل الثاني

الأغراض التي خرج إليها شعر الحروب والفتن

المبحث الأول: رثاء المدن الضائعة.

المبحث الثاني: الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد.

المبحث الثالث: وصف الانتصارات عند المسلمين.

المبحث الرابع: وصف الهزائم التي حلّت المسلمين.

المبحث الخامس: الهجاء السياسي (النقد السياسي).

الفصل الثاني

الأغراض التي خرج إليها شعر الحروب والفتن

شهدت الحركة الأدبية تصدعاً واضحاً وخاصة في أوائل القرن السابع الهـ, حيث شهد أحداثاً جساماً, بعد انهيار سلطان الموحدين, واضطرام ثورة ابن هود في الولايات الشرقية, وتباعاً أخذت المدن والولايات الأندلسية تسقط بشكل مفجع بأيدي النصارى فاستطاع ابن الأحمر أن ينشئ مملكة غرناطة في غمرة الفوضى والنزاعات التي سادَت في أواسط القرن السابع الهـ, ومع تلك الأحداث الكبيرة, أنتْثر شمل الأدب والحركة الأدبية في الأندلس, وخاصة بعد فقدانها الأمن والاستقرار حيث شُغِلَ الأدباء والمفكرون بالمحنة وآثارها المفجعة, واضطروا إلى مغادرة الأندلس إلى مكان ينعمون فيه بالأمن والاستقرار.

وفي أواسط القرن الثامن الهـ, استطاعت هذه الحركة أن تعيد نفسها وكيانها وأن تصل إلى ذروة نضجها وقوتها, بالإضافة إلى روعة إنتاجها في النثر والشعر معاً, وربما كان للأحداث والفتن الداخلية الخطيرة التي شهدتها الأندلس وغرناطة بشكل خاص يومئذ أكبر الأثر في تغذية هذا المخزون الأدبي وإمداده بمختلف الانفعالات القوية, التي طبعت إنتاجها. وقد عادت الحياة للأدب بشكل خاص في عهد السلطان (أبي الحجاج) يوسف بن إسماعيل, وهو أعظم سلاطين بني نصر في الفترة (733 – 755هـ) فقد كان أكثرهم وأشدهم حماسة في تعظيم الآداب والتشجيع على إبرازها ضمن النهضة الفكرية والأدبية في تلك الفترة, وقد استمرت – كما ذكرنا – طوال القرن الثامن الهـ, وقد حفلت بالعديد من الأدباء والشعراء الذين وصفوا المحنة وعبروا عن أسمى المشاعر التي يحملها كل إنسان عربي مسلم تجاه ما حصل بالأندلس, فكانت صورهم بمثابة المرآة التي تعكس واقع الأمة المنهارة التي عمل النصارى على تفتيت أواصرها وإضعاف عزيمتها.

وعند مقارنة الأدب الأندلسي بغيره من الآداب المشرقية نلاحظ توافقاً وانسجاماً بين الطرفين, وربما كان الأدب في الأندلس هو امتدادٌ واضح وصريح للأدب في المشرق, خاصة

أن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة تكاد تكون واحدة انعكست بشكل أو بآخر في أشكال الأدب الأصولي أنواعاً, وأغراضاً, وأساليباً, وكما كان لشعراء المشرق موضوعات في المدح والوصف والغزل وغيرها, كذلك أيضاً حوَّم الشعراء الأندلسيون حول هذه المواضيع التقليدية, وكما شارك الشعر المشرقي في النزاعات السياسية العاصفة, كذلك كان شأن الشعر الأندلسي في نزاعات السلطة والمكائد والمؤامرات التي كانت تحاك, وخاصة في عهد سلاطين بني الأحمر, فقد واكب الأدب جميع الأحداث التي عصفت بالمدن الأندلسية وأطاحت بمعظم أمراء بني الأحمر وسلاطينهم, فوصفت المدن الزائلة, وأرخوا الاستنجاد بإخوانهم المغاربة والمصريين, ووصف النزاع, كما صَوَّرت الهزائم تصوير الانتصارات التي أحرزها المسلمون في صراعهم مع النصارى.

ومع تطور العديد من الأحداث السياسية في الأندلس, بدأت صفات التقليد عند الشعراء الأندلسيين تخف وطأتها شيئاً فشيئاً, وبدأ الشعراء الأندلسيون يشعرون بنوع من الاستقلال إن لم يحررهم تماماً من سمات جوهرية في خصائص الفن الشعري العربي, فإنّه على الأقل أتاح لهم مبادرات في المحتوى والشكل سنراها بالتفصيل بعد حين, ضمن موضوعات الشعر السياسي:

المبحث الأول: رثاء المدن الضائعة:

الرثاء هو التأبين, وإذا كان المدح هو الثناء على الإنسان في حياته فإن الرثاء أو التأبين هو الرثاء عليه بعد موته, وهو من الأغراض الشعرية التقليدية في أدبنا العربي, ويقال للتعبير عن الفجيعة ووفاءً للميت وتعديداً لمآثره, والشاعر قد يقضي بقوله حقوقاً سلفت, ويظهر صفات المرثي بتعبيرات مبللة بالدموع.[1]

ولكن الرثاء في الأندلس, ظهر بطابع جديد يختلف عن الرثاء التقليدي من حيث المضمون وخاصة في نهاية العصر الأندلسي (عصر بني الأحمر), وهو رثاء المدن الضائعة

---

[1] عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, ص: 194.

فالحبيب المفقود والضائع هو الوطن, وقد عَبَّر الشعراءُ عن سقوط مدنهم, وضياعها سواء بسبب تفرق المسلمين وضياع كلمتهم أم بسبب سيطرة النصارى عليها.

لقد ضاعت الأندلس وعاشت الأمة الأندلسية سلسلة من المآسي والنكبات, كان لها أسوأ الأثر على وجودها المادي والحضاري وكانت نكبة مدينة قرطبة في فجر القرن الخامس الهـــ بداية لهذه السلسلة من المحن وأول منعطف خطير في تاريخ هذه الأمة الشهيرة التي عصفت بها قوى الطغيان والكفر بألوان متعددة من الذل والهزيمة التي طالت كلَّ شيء[1]: الأرض التي دَرَجَ عليها قوم كان قد دخلها وأحبها حتى العظم واختلطت ظلالها وأنهارها وهواؤها بروحه ودمه. كما مَسَّت المســـاجد والعمائر ولم يســـلم منهـــا إلا الذي تمـــردَّ على غضبـــة الدهر ولم تستطع طاحونة الحرب أن تبيده.[2]

وبشكل عام, فالأندلسيون لا يختلفون في مراثيهم عن المشارقة, إلا أنهم قد تفردوا في رثاء المدن, التي اختلطت دماؤهم بترابها وأنفاسهم بهوائها, وعبروا عن نكبة سكانها وشعورهم بالندم أحياناً, وبالدمع والاستنجاد أحياناً أخرى,[3] ويعتبر رثاء المدن من المراثي السياسية, ولهذا اللون الشعري اتجاهان: اتجاه اتخذ الطابع السلبي الذي يعكس الروح الانهزامية بميله إلى البكاء والاستنجاد بشكل ملحوظ, واتجاه آخر اتخذ الطابع النضالي الذي تمثل بحث الشعب على التضحية ومقاومة العدوان وبذل الغالي والرخيص في سبيل الوطن. [4]

وقد جاءت ثورة هذا الشعر يوم سقوط (اشبيلية) بيد الإسبان عام (664هـــ), وقد أثار هذا السقوط موجةً من الغضب والكره للأعداء في صدور معظم الشعراء, ورافقهم في هذا, شعور بفقدان الأمل وأخذ العبرة والحكمة من الزمن, فالعيشُ الرغيد لا يدوم لأحد, ومصير كل شيء حتماً إلى الزوال وبدا هذا واضحاً عند أبي البقاء الرندي:

---

[1] الطرابيـــسي, أحمـــد أعراب: **الأصـــوات النضاليـــة والانهزامية في الشـــعر الأندلســـي**, مجلة عالم الفكـــر, المجلد: 12, ابريل – مايو 1981,الكويت, ص: 131.

[2] عيد, يوسف: **أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي**, دار الفكر اللبناني: بيروت, ص: 9, 1993.

[3] عيسى, فوزي سعد: **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين**, دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية, 1991, ص: 181.

[4] طويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, ص: 206.

لكلِّ شـــيءٍ إذا ما تمَّ نقصان فلا يُغرَّ بطيبِ العيــشِ إنســـانُ

هي الأمورُ كما شاهدتها دُوَلٌ مَنْ ســَرَّه زمن ســاءته أزمانُ[1]

(البسيط)

ومما يعكس المشاعر المتأججة المليئة بالحزن والحسرة على سقوط المدن الأندلسية الجميلة التي تهاوت الواحدة بعد الأخرى – بل إنها في نهاية عهدها كانت تسقط مجتمعة, وخاصـــة بعد تنازل محمـــد بن الأحمـــر عـــن العديد من القلاع والحصون عام (665هــ) لملك قشـــتالة مقابـــل التزام الأخير بعـــدم التعرض لمدن المســـلمين – قول أبي البقاء الرندي يرثي المـــدن الضائعـــة ويقارن بين ماضيها وحاضـــرها بالإضافة إلى وصـــف المآسي التي تعرضت لها وفي هذا يقول:

دهـــى الجزيـــرة أمرٌ لا عـــزاءَ لـــه هوى له أحـــدٌ وانـــهدَّ ثهلانُ

أصابها العينُ في الإســـلام فارتزأت حتى خلت منه أقطارٌ وبلدانُ

فاسأل بلنســـيةً ما شأن مرســـيةٍ وأين شـــاطِبةَ أم أين جيانُ[2]

(البسيط)

أصبحت الديار الإسلامية خالية من الإسلام وخلوها منه كان لهول المصيبة العظيمة التي حلَّت بالديار الإسلامية فكما يبدو كانت الصورة عند أبي البقاء الرندي قد دمجت بين المبالغة التي تخدم التعبير عن المأساة والحزن والحسرة على ما حلَّ في البلاد. وهذا يدلّ على شعور وطني عميق. وكما وصف الرُّندي المأساة التي حلَّت بالديار الإسلامية, قام ابن عميرة الذي يعتبر من الشعراء الذين يمثلون الاتجاه السلبي اليائس, الاتجاه الذي لا يرى في المقاومة نفعاً أو جدوى هو الآخر برثاء بلنسية ووصف مشاعر الحزن والأسى التي تمتلكه, يقول:

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 243.

(2) **المصدر السابق**6, ص: 243.

– ينظر: الدَّقاق: عمر, **ملامح الشعر الأندلسي**, منشورات دار الشرق: بيروت, ص: 311.

ألا أيها القلبُ المصرَّحُ بالوَجدِ   أما لك من بادي الصبابة من بدِّ

يحنُّ إلى نجدٍ, وهيهات حَرَّمت   صروف الليالي أن يعودَ إلى نجدِ

فيا جبــلَ الدَّيان, لا ريَّ بعــدما   عَــدَتْ غيرُ الأيامِ عن ذلك الورْدِ

ويا أهلَ ودِّي والحوادثُ تقتضي   خُلُوِّي عــن أهلٍ يضافُ إلى الوُدِ[1]

(الطويل)

ظاهرة الحزن واضحة وجلية, فالشاعر لا يملك إلا هذا القلب المصرَّح بالوجد, والمشتاق إلى نجد ولكنه لا يستطيع العودة إليها, فقد حرمته صروف الليالي أن يعودَ إليها, ليست هي وحدها بل جميع الأماكن الجميلة الأخرى الموجودة في بلنسية, فهو لم يترك مكاناً إلا ذكره وحنَّ إليه وبكى عليه, وفي ذلك استفادة واقتباس من شعراء الجاهلية الذين ذكروا الأماكن وبكوا على الأطلال.[2]

ومع سقوط المدن الأندلسية, تغيرت جميع الملامح الدينية الموجودة فيها, وهذا ما جعل العديد من الشعراء يقفون موقف الباكي والمتأمل والمعتبر, وكان من ضمن هؤلاء ابن الأبار الذي رثى بلنسية وقدَّم لنا وصفاً محزناً على ما حصل لمساجدها التي تحولت إلى كنائس تقرع فيها الأجراس عوضاً عن الأذانُ يقول:

يا للمســـاجد عادت للعِدا بيعاً   وللنداءِ غدا أثناءهــا جرســاً

لهفي عليها إلى استرجاع فائتها   مدراساً للمثاني أصبحت دُرُساً[3]

(البسيط)

ظهرت في الأدبيات مسحة دينية تعبر عن عاطفة الحزن والاستنكار عما حلَّ بالديار الإسلامية والمعالم الدينية الموجودة فيها, وهذه مأساة أقلقت الشاعر وجعلته يتمنى عودة البلاد إلى السيادة الإسلامية وتغيير الوضع المأساوي الذي آلت إليه بلنسية.

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 1, ص: 293.

[2] الطرابيسي, أحمد أعراب: **الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي**, ص: 165.

[3] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 216.

ويمضي أبو البقاء الرندي في الاتجاه نفسه واصفاً جزعه ولوعته على العديد من الأماكن والمعالم المتحولة فيصور حزن المساجد وبكاء المحاريب والمنابر وهذه إحدى السمات العامة التي سادت بين جميع الشعراء الذين بكوا الأندلس في قصائدهم يقول:

تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ مِن أســـفٍ   كما بكى لفراق الإلــف هيمانُ

على ديارٍ مــن الإســـــلام خاليةٍ   قد أقفرت ولهـا بالكفر عمرانُ

حيث المســاجدُ قد صارَت كنائس ما   فيهنَّ إلا نواقيــسٌ وصــــلبانُ

حتى المحــاريبُ تبكــي وهي جامِدةٌ   حتى المنابِرُ ترثي وهي عيدانُ[1]

(البسيط)

يبكي الإسلام على ما حدث لأهله في ديار الأندلس من فرقة وتشريد, ولم يكتفِ النصارى باحتلال بلادهم بل عملوا على تشريد أهلها وسفك دمائهم وتهجيرهم, وهذه الصورة بدت واضحة عند أبي البقاء الرندي, بل أصبَحَ كل ما هو جامد يبكي من هول المصيبة التي حلَّت بهم.[2]

نلاحظ بشكل أو بآخر أن رثاء المدن عند شعراء الأندلس ارتبط بصورة مباشرة بالجانب الديني الذي حاول الشعراء إظهاره ليثيروا همم المسلمين, ويزيدهم ذلك حقداً على عدوهم ويدفعهم إلى الجهاد لإعادة المدينة.

وتظهر صورة المساجد التي تحوَّلت إلى كنائس بصورة أخرى عند أبو عمران المرابط فيقول:

كــم جامــعٍ أعيــد كنيســةً   فاهْــلَك عليــه أسى فــلا تتَجلَّدِ

القــس والناقوسُ فوق منارة   والخمر والخنزير وسط المسجد

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 244.

[2] محمد, سعيد محمد: **دراسات في الأدب الأندلسي**, جامعة سبها: ليبيا, ط: 1, 2001, ص: 94.

وتعوَّضت منهم بكل معاند	مســــتكبر مذ كان لهم يَتشــهَّدِ[1]

(الكامل)

واستخدم الشاعر كم الخبرية التي تفيد التكثير, وجاءت ملازمة لذكر المسجد, واستطاع الشاعر أن يشير إلى أمر حرص عليه الأسبان وهو محو المعالم الحضارية للإسلام, والتي تمثلت في المساجد, التي عاثوا فيها فساداً, وظهر هذا من خلال نشر المحرَّمات والموبقات داخلها. فالشاعر يبكي ويدعو إلى البكاء على ما حلَّ بإخوانه وبأماكن العبادة عند المسلمين فالصورة واحدة عند العديد من الشعراء بالرغم من محاولة بعضهم إعطاء نوع من الصور المؤثرة التي تدل على حجم المصيبة التي حلَّت بالبلاد بشكل عام, والمساجد بشكل خاص.

ولم يكتفِ الشعراء برثاء المدينة التي تسقط بل قاموا – أيضاً – بتصوير صورة مأساوية للفظائع التي ترتكب ضد النساء والأطفال والشيوخ الذين عانوا الويلات عندما فقدوا أوطانهم وسلبت منهم حريتهم, يقولُ الرندي:

يا مَــن لذلـــةِ قــومٍ بعد عِزهم	أحالَ حالَهُــمُ كفــرٌ وطغــيانُ
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم	واليومُ هم في بلادِ الكُفْرِ عُبدانُ
فلو تراهــم حيارى لا دليل لهم	عليهــم مــِن ثيابِ الذُلِّ ألــوان
كم من أســيرٍ بحبل الذلِّ معتقل	كأنـــه ميــت والــذلُ أكـــفانُ[2]

(البسيط)

بدأ الشاعر هذه الأبيات من خلال استخدامهِ لحرف النداء القريب ثم اتبعهُ بالاسم الموصول مَنْ الذي يستخدم للعاقل وبهذا فهو يوجه النداء إلى كلّ العقلاء الغيورين على الإسلام ويدعوهم للوقوف في وجه الأسبان وممارستهم. فهو يتحسر على ما حلَّ بالمسلمين من ذل بعد

[1] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, منشورات الكتاب اللبناني: بيروت, 1986, ج: 7, ص: 194 – 195.
– ينظر: طويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, ص: 111.
[2] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 244.

عز, فكانوا بالأمس سادة بلدانهم وهم اليوم عبيدٌ عند أعدائهم, خاطب الشاعر هنا مشاعرَنا مباشرةً عندما جعلنا نتخيل منظرهم عند خروجهم من الأندلس فقد كانوا حيارى, وهذه الدلالة استخدمت للتعبير عن حالة الاضطراب والخوف التي تعكس نفسية الشاعر الحزينة على رحيلهم وهم أذلاء لا يعرفون أين مصيرهم ومستقرهم.

وتتكرر الصورة نفسها عند شاعر مجهول رثى رندة ووصف ما حلَّ بأهلها وخاصة المسنين:

وكمْ مِن عجوزٍ يُحرَمُ الماءَ ظمؤها	على الذلَّ يُطْوَى لُبثَها[1] ومسيَرها
وشيخٍ على الإسلام شابت شـــيوبُهُ[2]	يمزّقُ مِن بعد الوَقـــار فَتيـــــرَها
وكم من صغير حيز من حجر أمّهِ	فأكبادها حرَّاء لَفــحٌ هَـــــجيرها
وكم مِن صغيرٍ بدَّل الدهــرُ دينـــه	وهل يتبع الشيطانَ إلا صغيرها[3]

(الطويل)

لقد لامست المأساة جميع شرائح المجتمع وفئاته, فلم يسلم من هذه المأساة المسن الكبير أو المرأة الطاعنة في السن, التي تحرمُ من قطرة الماء تروي بها عطشها, فدلالةُ الماءِ هنا هي الخير والنَّماء يتمنى الشاعر عودة الديار والأندلس لسكانها, ولكن الصورة تعود مرة ثانية لتعبر عن قسوة الاحتلال واضطهاده للجميع حتى المسن, قاموا بنتف لحيته التي تمثل وقاره, والطفل ينزع من حضن أمه دون التفاتٍ لصراخه أو صراخ والدته عليه, هذه صورة حزينة لما يؤول إليه الأطفال المسلمون عندما يعملون على تنصرهم, وهنا تكون مأساة الدين بسبب حركة التنصر التي يقوم بها النصارى لصغار المسلمين بعد أخذهم قسراً وقهراً من أهلهم وذويهم.[4] إنها مأساة شعب, الأم تباع لسيد, والطفل يُباع إلى سيد آخر, فهل هنا أبشع من فرقة قسرية؟!

---

[1] اللبث: المكث. **ينظر: ابن منظور: لسان العرب**، مادة (لبث)، ص: 182.

[2] الشيوب: جمع شائب على لغة الحجازيين. ينظر: المصدر السابق، مادة (شيب)، ص: 513.

[3] الزّيات, عبد الله: رثاء المدن في الشعر الأندلسي, منشورات **جامعة قاريونس**: بنغازي, 1990, ص: 756.

[4] محمد, سعيد محمد: **دراسات في الأدب الأندلسي**, ص: 98.

ويبقى أن نشـــير في هــذا الســياق إلى ذلك الأثر الواضح لوجود المرأة في فن الرثاء ففي بعض الأحيان اتخــذت وســيلة فنية يلجأ إليها الشـــاعر للتعبير عن رؤية خاصة تتصل بالهزيمـــة وخاصـــة عندما وصفها بصورة محزنة فالأم هي رمز العطاء والاستقرار ومكانتها في المجتمـــع العربي عظيمـــة, ومألوفة, وعندما يصـــف الشـــاعر مأساة الوطن وفقدان الأمن والاســتقرار, أذن فُقِدَ العطاء وفقــدت الأم التي هي رمــز الخصــوبة والنماء فلم تنجُ هــذه المرأة مــن الاقتســام كصورة للمال المغتنم وما يتصل بهذا الانقســام عندما تنســلخُ الأمُ عن طفلها كــما عبَّر عند ذلك أبو البقاء الرنــدي:

يا رُبَّ أمٍ وطفل حيــل بينهما كمــا تفــرَّق أرواحٌ وأبــدانُ[1]

(البسيط)

وقوله أيضاً:

وطَفْلَةٍ مثلِ حســنِ الشمسِ إذ طلعت كأنَّــما هي ياقوتٌ ومرجانُ

يقــودهــا العِلْجُ للمكــروه مكرهــةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ[2]

(البسيط)

فقد صورَّ لنا مشهداً من مشاهد الاغتصاب والهتكِ ولم يغفل أثر هذا المكروه في نفس الفتاة. وقد تكون الفتاة هنا هي الأندلس الجميلة المفتخرة بخضرتها وكثرة مظاهر الطبيعة الخلابة الموجودة فيها, ولكنها عانت وأخذت عنوةً وتبدلت فيها جميع المظاهر الجمالية, وانتزعَ منها طابعها الإسلامي الفريد. فبكتها العين وتأثر على فراقها القلب والوجدان.

بالمقابل عبرَّ أبو عمر بن المرابط عن صورة أخرى للمرأة فوصفها كالفدائي يقول:

كمْ مِنْ أســيرٍ عندهم وأســيرة فكلاهمـــا يبغي الفداءَ فما فــدى[3]

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 244.

[2] **المصدر السابق**, ج: 1, ص: 50.

[3] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 7, ص: 199.

(الكامل)

وهكذا يلاحظ أن الشعر في رثاء المدن, ماضٍ في سلسلة حزينة, فمن رثاء المدن إلى وصف المآسي والدَّمار الذي حلَّ بسكان ثلث الديار بجميع عناصرهم وقد ظهرت سمات عامة لدى شعراء هذا اللون من الشعر متمثلة في إظهار الحزن والحسرة، على ملك زائل وحياة عزيزة وعيش رغيد في ربوع عامرة مجداً، وعلماً وحضارة، عصفت فيها رياح الفرقة والتفكك واصطراع الولاة والحكام، حتى آلت إلى السقوط والضياع، كما عبَّر الشعراء عن هذه الفجيعة بأسلوب رصين ووقفوا من الحدث وقفة الشيخ الجليل الذي يستلهم التاريخ، ويحسن قراءة الدهر ويصوغ منها العبرة والحكمة، بأسلوب رصين لا يخلو من الصنعة وشيوع المحسنات البديعية ولكنها لا تُذهِبُ وقارَ القصيدة، وما يشيع فيها من عواطف جياشة حافلة بمعاني الأسى والفجيعة على ما آل إليه حال المسلمين وقد سادَ بين الشعراء عموماً احساسٌ مشترك بأن العرب المسلمين مسؤولون عما أصابهم، إذا استكانوا وتفرقوا وفتكت بهم الانقسامات.

المبحث الثاني: الاستصراخ والدعوة إلى الجهاد:

الإستغاثة هي طلب العون والنجدة ممن يملك القوة والقدرة, وبدأ هذا الشعر مبكِّراً، ويرجع في نشأته إلى فترة الإمارة التي تأسست عام (138هـ) وحافظ الأندلسيون على كيانهم حتى سقوط الخلافة في دمشق, ولم يدر بخلدهم أن يستحثوا إخوانهم في شمالي أفريقيا لنجدتهم إلا بعدَ أن أدركوا أن قوتهم لم تعد تجدي أمام قوة أعدائهم من النصارى. وبالتالي أصبَح الشاعر الأندلسي لسان حال مجتمعه في طلب النجدة من إخوانه في المغرب ضارباً بذلك على وتر الأخوة الإسلامية, ووحدة العقيدة, وأصبح فن الاستصراخ والاستغاثة غرضاً رئيسياً في شعر الحروب والفتن.[1]

وبدأ شعر الاستصراخ والاستغاثة جدِّيته مع انحلال دولة بني أمية وقيام الثورات والدويلات الصغيرة التي لم تكن تتمتع بالقوة القادرة على الصمود في وجه التحديات الإسبانية, ويزدهر هذا النمط من الشعر في عهد الموحدين, ويتخذ في بعض الأحيان طابعاً رسمياً, ولكنه يتميز بصورتهِ المعبرة والمتأسيِّة.

في عصر بني الأحمر, أصبحت نداءات الشعراء واستغاثاتهم تعبر عن مكنون داخلي من القهر والاضطهاد, وخاصة بعد توالي سقوط المدن الأندلسية, وارتباط سلاطين بني الأحمر بعلاقات وطيدة مع إخوانهم المغاربة, وبشكل مباشر مع (بني مرين) ارتباطاً دينياً ومصيرياً.

فعندما تدهورت دولة الموَّحدين, وبدأت المدن الأندلسية تتساقط تباعاً في أيدي النَّصارى, أحسَّ الأندلسيون أن هذه الدولة لا تستطيع نجدتهم, لذا اتجهت أنظارهم للحفصيين بتونس, فخاطبهم ابن الأبار عندما حوصرت بلنسية (635هـ) يدعوهم للعبور والجهاد لإنقاذ المدينة المحاصرة فيقول:

[1] أبو الخشب، ابراهيم: **تاريخ الأدب العربي في الأندلس**، دار الفكر العربي، ط: 1، 1966، ص: 215 – 216.

أَدْرِك بخَـــيْلِـــكَ خيلَ اللهِ أندلســـــا إنَّ الســــبيلَ إلى مناجاتها دَرَسا

وهب لها من عزيز النَّصْرِ ما التمَســـت فلَم يَزَل مِنْكَ عزُّ النَّصْرِ ملتمسا[1]

(البسيط)

يريد الشاعِرُ من أبي زكريا الحفصي أن يعيدَ للبلادِ عِزّها ومجدها، وأن يحقق النَصر على الأعداء بخيله التي هي خيل الله من خلال مخاطبته بفعل الأمر أدرك. وكأن ابن الأبار يكتب التاريخ آنذاك فإن المدينة سقطت قبل أن يدركها أيٌّ من جيوش المسلمين.

ويستصرخ الأمير الأفريقي ويستنجد به بصوت مرتفع مسموع, وإيقاع نحسُّ بصدوره من قلبه على الرغم من الصنعة البديعية الوافرة الفاشية في القصيدة, إنه يبدي الحزن ويظهر الأسى على ما حلَّ بالمدينة الجميلة وما حولها. ويتابع ابن الأبَّارِ قوله:

صِلْ حَبْلَها أيها المَولى الرَّحيم فمـــا أبقـــى المراسُ لها حَبلاً ولا مَرَساً[2]

وأحيِ ما طمســـتْ منها العُداةُ كما أَحيْيَتَ من دعوة المهديِّ ما طُمِسَـــا

أيامَ صِرْت لِنَصْرِ الحقِّ مُسْــــتَبِقاً وبتَّ من نورِ ذاك الهَــدْي مُقْتَبِســـا[3]

(البسيط)

يستعين ابن الأبار بصيغة الأمر من خلال الأفعال (صِلْ, وأحي) في سبيل مدحه للأمير, وحثه على نجدة إخوانه بالإضافة إلى إلقاء صيغ التوسل بين يديه مورطاً إياه بما خلعه عليه من ألقاب الإمامة وصفات البسالة والبطولة. فأبو زكريا هو الذي أحيا دعوة المهدي بعدما طمسها وهو الذي أخذ يستبق إلى نصرة الحق ونشر ألوية العدل والواقع أن الشاعر قد استغل هنا الفكرة المهدوية على نطاق واسع, فكيف لا يقوم الملك الحفصي بتطهير البلاد من الدنس والكفر, والتطهير صفة من صفات الإمام, فقد كان الإمام أو الخليفة في العصر الإسلامي يقود الجند أحياناً كثيرة لزرع روح الحمية والشجاعة في نفوسهم. والحق أن بلنسية بما لحقتها من محنٍ

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 215.

(2) مَرَسَ: الممارسة وشدة العلاج. ينظر: **ابن منظور: لسان العرب**، مادة (مَرَسَ)، ص: 215.

(3) لمقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 216.

وما حلَّ بها من ضياع قد نالت الكثير من اهتمام الشعراء والحزن والأسى بالإضافة إلى البكاء على نصرتها والتحمس لرثائها والاستنجاد من أجل نصرتها وإعادتها.[1]

ومِنَ المدن التي كافحت غزو النصارى ببسالة وضراوة وعزم وإيمان وتصميم على تحقيق النصر اشبيلية العتيدة قلعة المعتضد بن العباد وعرين ابنه المعتمد, لقد تعرضت هذه المدينة الباسلة لأشرس حملة صليبية شهدها ذلك القرن, بمساندة أمير مسلم حارب مع النصارى ضد أمته وشعبه, وبالرغم من ذلك لم يكن ابن الأحمر الوحيد بين الأمراء الذين ساندوا الكفر ضد إخوانهم انتقاماً من خصومهم, ومع ذلك قاومت اشبيلية وصمدت ثمانية عشر شهراً حتى نفد الطعام والسلاح ولم تجد بداً من الاستسلام عام (645هــ) مقابل حفظ دماء أهلها وحفظ أموالهم وأعراضهم, وخلال تلك المقاومة كتب شاعرها إبراهيم بن سهل الاشبيلي قصيدته لاستنهاض همم المسلمين واستصراخهم فيها يقول:

نادى الجهادُ بكم بنَصْرٍ مضمَرٍ	يبدو لكم بيــن القنا والضُّمرِ
يا مَعشَرَ العُرْبِ الذين توارثوا	شــيمَ الحميَّةِ كابراً عن أكبَرِ
إن الإله قد اشــترى أرواحكم	بيعوا ويُهْنِئْكُمْ وفاءُ المشتري[2]

(الكامل)

لقد استنجدَ الشاعر بجميع العرب الذين ورثوا النخوة والشجاعة العربية فالنداء هنا شامل للجميع, وقد تميزت أبياته بدقة الألفاظ وسحر الأسلوب, وقد ارتفع قوله إلى مقام القول المجاهد والشعر المحارب والدعوة إلى القتال, ابتغاء النصر أو بلوغ الشهادة مستغلاً إيقاظ العاطفة الدينية والنخوة الإسلامية.[3] فالمعاني كلها تدور حول الجهاد مثيرة بذلك شعور قوم أجهدهم اليأس, والقصيدة تعتبر بحق من أحسن القصائد ذات الطابع الإسلامي والوطني في الشعر الأندلسي.

---

[1] الشكعة: مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**, دار العلم للملايين: بيروت, ط: 5, 1983, ص: 527.

[2] البستاني, بطرس: **ديوان ابن سهل الإسرائيلي**, مكتبة صادر: بيروت, 1953, ص: (38).

[3] الشكعة: مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**, ص: 530.

إن الأعمالَ الرهيبة والمخزية التي اكتسحت الأندلس وما صحبها من هدم وقتل وتخريب, حثَ العديد بل جميع الشعراء على إرسال قصائد ورسائل الاسترحام وطلب النجدة من مسلمي أفريقيا, ومنهم أبو البقاء الرندي الذي ناشدَ العرب والمسلمين لنجدة إخوانهم المسلمين في الأندلس بعد سقوط مدن الأندلس الكبرى في يد النصارى, قرطبة, واشبيلية, وبلنسية وجيان ومرسية وما حولها من معاقل وحصون مما تنخلع له القلوب حزناً لهذا المصير المفجع يقول:

يا راكبين عِتاقَ الخيلِ ضامــــرةً	كأنها في مجالِ السَّبْقِ عقبانُ
وحاملين ســيوفَ الهند مرهفـــــةً	كأنها في ظلام النَّقــع نيرانُ
أعندكــم نبأٌ مــن أهــل أندلــسٍ	فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيثُ بنا المستضعفون وهم	أسرى وقتلى فلا يهتز إنســانُ[1]

(البسيط)

كثر استخدام أسلوب النداء عند شعراء الاستصراخ والاستغاثة وذلك للتعبير عن حالة اليأس التي قد يصلها الإنسان عندما يفقد القدرة على مواجهة الأمور الصعبة وهذا يبدو واضحاً عندَ الرُّندي, الذي استنجدَ بجميع فرسان العرب, وقد عمل على تمجيدهم والافتخار بهم بوصفه لهم (راكبين عناقَ الخيل, وحاملين سيوفَ الهندِ...) فقد وظَّفَ الشاعر أسلوبي الوصف, والفخر في سبيل الوصول إلى هدفه من طلب النجدة, مع ظهور لعاطفة السخط والغضب من تقاعس هؤلاء الفرسان عن نصرة إخوانهم.

وقد استخدم الشاعر (كم) التكثيرية (كم يستغيث) للتعبير عن الاستمرارية في طلب النجدة والطلب والمساندة والمساعدة.

ولعلَّ فائية لسان الدين بن الخطيب صيحة حرَّى لتجميع قوى المسلمين ضد قوى النصارى المتكالبة, وتبصيرهم بالخطر الذي يحدق بما تبقى من الأندلس يقول:

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 244.

أإخوانِنا لا تنسَوْا الفَضْلَ والعَطْفَا فقد كادَ نورُ الله بالكُفْر أن يُطْفَا

إذ بَلَغَ الماءُ (الزبي)[1] فتداركوا فقد بَسط الدينُ الحنيفُ لَكم كفا

تحكَّم في سكان أندلــسَ العــدى فلهفا على الإسلامِ ما بينهم لهفا[2]

(الطويل)

استخدم الشاعر في بداية أبياته حرف النداء الخاص بالقريب, على الرغم من بعد المستغاث به, وهذا فيه إشارةٌ إلى استخدامه عامل الترابط بين الأخوة العرب وحاول الشاعر أن يعزف على وتر العاطفة الدينية من خلال التركيز على الألفاظ التي تلامس هذه العاطفة وهي: "نور الله, الدين الحنيف, الإسلام".

وإلى جانب لسان الدين نجد ابن المرابط يطرق أبواب المرينين مادحاً مستنجداً بهم, ومشيراً إلى أن تحرير الأندلس واجب من واجباتهم كونهم جيران الأندلسيين بالدين والعقيدة مستغلاً في سبيل ذلك كل أدوات فنه وأساليب تأثيره ويقول:

أبنـــي مــــــرين أنتـــم جــيراننا وأحقُّ مَن في صرخة بهم أبتدي

فالجارُ كان به يوصِّي المصطفى جبريلُ حقاً في الصحيحِ المســـندِ

أبنـــي مــــــرين والقبائـــلُ كُلُها في المغربِ الأدنى لنا والأبْعَــدِ

كُتِبَ الجهـــادُ عليكـــم فتبادَرُوا مِنْهُ إلى فـــرْضِ الأَحَقِّ الأَوْكَـــدِ[3]

(الكامل)

فالهدف العام عند الشاعر هو الاستنجاد ببني مرين وقد وفِّقَ في أسلوبه الفنيّ، وهذا نراه واضحاً في بداية أبياته، فقد استخدم حرف النداء ليعطي المعنى بعداً دلالياً، وهو تقريب المسافة بين الإخوة في الدين والعقيدة على الرغم من بعد المسافة بينهم بالإضافة إلى دعم هذا النداء

---

(1) الزبية: الزابية لا يعلوها الماء (ج) زبي, ينظر: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (زبي)، ص: 353.

(2) مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب**, دار الثقافة: الدار البيضاء, المجلد الأول, ص: 677.

(3) ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 7, ص: 412.

وتقويته باستخدام العديد من الألفاظ الموحية بفرضية الجهاد على بني مرين والقبائل المجاورة والبعيدة مثل: (أنتم جيراننا, وأحقٌ, وكتبَ الجهادُ, وتبادروا...) بالإضافة إلى بروز النزعة الدينية من خلال ميله إلى الاستعانة بتأكيد الرسول عليه السلام على حماية الجار وصيانته ونجدته عند المصائب وهذا ما ورد في حديثه الصحيح.

ومما نظمه يوسف الثالث في مخاطبة أولياته من بني مرين والعرب المتأخرين يحثهم على الجهاد ويستجد بهم لنصرة إخوانهم:

أبني مريـــن والحمايةَ شـــأنكم	وبكفكم سيفُ الجهادِ يُجّـــرَّدُ
إنَّ الســـعيدَ إذا تمهـــدَّ ملكـــه	عدتم لنا والعودُ منكـــــم أحمدُ
أوطانكـــم إخوانكـــــم وبلادكم	عودوا وعهدَكم القديـــم فجدِدوا
أبني حســـين أنتم العربُ الأُلى	كرمـــت أوائلكم وطابَ المحتَدُ[1]
قوموا إلى نصر السعيد حماية	فالدينُ إن لـــم تجمعـــوه يَبـــدَّدُ[2]

(الكامل)

صيحة ملوكية مدوية, لها وقع عظيم وأليم في زمن عصفت به الأحداث حتى بالملوك وجعلتهم كغصن البان الطري الذي يميل مع النسمة الناعمة, ملك امتاز بشاعريةٍ فذة, أرهقه الصمت والخضوع وأجبرته الظروف أن يتنازل عن ملوكيته ويبحر في غياهب الذل والهوان، في سبيل رفع القهر والاستبداد عن شعبه ويطرق أبواب المرينيين لطلب النجدة والمساعدة فحماية الأندلسيين واجب عليهم, وبجهادهم سيعود الحق والعدلُ لأهله, ومن الملاحظ أن الشاعر يتسامى فوق الخلافات المذهبيّة, فهو لم يفرّق بين الشيعة والسنّة, فالخطاب موجه إلى جميع المسلمين. وحاول الشاعر أن يربط بين ثلاثة أساليب خطابيّة, فهو يبدأ بالنداء في قوله: أبني

[1] المحتد: الأصل والطبع. **ينظر**: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (حَتَدَ)، ص: 139.

[2] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 51.

مرين, أبني حسين, ثمّ يأتي بأسلوب التوكيد الذي ظهر في قوله: إن السعيد, ثم يختم قوله بإظهار الغاية التي يرجوها من المسلمين وهي القيام إلى نصرة الدين فيقول: قوموا...

وفي أواخر القرن السابع وخلال القرن الثامن, ازداد العدوان وعَظُمَ الطغيان ضد المسلمين, فكَثُرَ استنجاد شعراء الأندلس بالدولة المرينية في المغرب ويظهر ذلك من خلال العديد من الأشعار لكثير من الشعراء منهم ابن زمرك الغرناطي.

عندما استقر الحالُ لأبي عنان وأنس بلاط غرناطة لإمكانية المساعدة من بني مرين أُرسِلَ الوزير ابن الخطيب وأنشد أبا عنان المريني أبياته التي يقول فيها:

لَيْـــسَ لَنا ملجأٌ نؤملـــــه	سِـــوَاك أنتَ المثالُ والوزرِ
والناسُ طرا بأرض أندلسِ	لولاكَ ما أوطنوا ولا عمــروا
وجُملَةَ الأَمْرِ أَنَّـــه وطـــنٌ	في غيــرِ علياكَ ماله وطَــــرِ
وقــد أَهَمَتْهُـــمْ نفوســـــهم	فوجهونـــي إليــكَ وانتظــروا[1]

(مجزوء البسيط)

استطاع لسان الدين أن يثير الجانب العاطفي عند أبي عنان بإخباره أن الناسَ قد فقدوا الأملَ في خلاصهم فقد عقدوا عليه الآمالَ في نجاتهم والرجوع إلى أوطانهم, ومن خلال الأبيات تستدل على حالة الضياع والتشريد التي حلّت بالعديد من المدن الأندلسية وخاصة عندما استخدم كلمة ملجأ فهو مكان يلجأ إليه من فقد استقراره وأمنه.

وفي الموضوع نفسه يخاطب أبا سالم المريني ويستنجده:

قصدناكَ يا خيرَ الملوكِ على النوى	لتنصفنا ممَّا جنى عبدكَ الدَّهرُ
كــففنا بـــكَ الأيـــامَ عن غلوائِها[2]	وقد رأينا منها التعَسُّفَ والكبرُ[1]

---

[1] مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب**, المجلد الأول, ص: 59.

[2] الغلواء: سرعة الشباب. **ينظر**: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (غَلَوَ)، ص: 133.

(الطويل)

يقول ابن زمرك في حثه على الجهاد والتصدي لغارات العدو:

جَهِّز جيوشَــــــكَ للجهادِ مُوَّفقاً وكفــى بربِّك كافياً وكفيلاً

ولتبعِدِ الغاراتِ في أرضِ العِــدا واللهُ حَسْبُكَ ناصِراً ووكيلاً[2]

(الكامل)

تظهر العاطفة الدينية بوضوح عند الشاعر, من خلال ثقته بنصر الله, وحثه الغني بالله على الجهاد بل ويأمره من خلال استخدامه لصيغة الأمر, لأن الصَبر على الأعداء لا يجدي, بل سيزيد من تمردهم وغرورهم.

وعندما زحف التاريخ بالعرب المسلمين إلى نهايتهم, وبدأت مدن إقليم غرناطة تسقط تباعاً إلى أن سقطت غرناطة عام (897هـ), استمر الشعراء باستصراخهم, بالرغم من العزلة التي وضعت بها غرناطة وما حولها عام (744هـ) واستمرت حتى سقوطها, وبالتالي انقطعت المساعدات, وانعزلت الأندلس عن النجدات, إلا أن دعوة الجهاد بقيت مستمرة وهذا ما نراه في قصيدة لشاعر مجهول يرثي مدن الأندلس حيث يقول:

معاشِــرَ أَهْلَ الدينِ هبوا لصعقةٍ وصاعقةٍ وأرى الجسومَ ظهورُها

أصـــابت منارَ الدين فانهَدَّ ركنه وزعزعَ من أكنافه مُسْــتَطَيرُها

أنادي لها عَجمَ الرِّجالِ وعُربها نداءَ ســـراة القفرِ إذ ضل عيرُها

ألا واســــتَعَدوا للجهاد عزائماً يلوحُ على ليل الوَغى مســـتنيرها[3]

(الطويل)

---

[1] ابن الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, ص: 110 – 113.

– ينظر: بروفنسال, إ. ليفي: **تاريخ إسبانيا الإسلامية**, دار المكشوف, ص: 313.

– ينظر: بسبح, أحمد حسن: ل**سان الدين بن الخطيب**, دار الكتب العلمية: بيروت, ص: 140.

[2] المقري: أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 2, ص: 102.

[3] الزَّيات, عبد الله: **رثاء المدن في الشعر الأندلسي**, ص: 759.

يطلب الشاعر من جميع الناس, العرب والأعاجم أن يهبوا للجهاد ونصرة الأندلس, إذن المصيبة عظيمة, واستدعائه للجميع يعبر عن هول هذه الفاجعة وعظمها, يخاطبهم على أنهم إخوانٌ في الدين والعقيدة, والإسلام قد حث الجميع على الجهاد فهو فرض على كل مسلم يرد الأعداءَ عن دينه ووطنه واستخدم الفعل أنادي لأن المناداة هي شاملة وعامة وكل من يسمع عليه الإجابة والاستعداد للجهاد.

لم ييأس الشعراء ولم تعرف نفوسهم للاستسلام معنى في ذلك الوضع, إنهم يتحملون مسؤولية بلادهم, وتقع على أكتافهم أمانة كبيرة في التعبير عن مجريات الأحداث في بلادهم فهم يحسون بعمق الجرح, ولكن يجب أن يتجاوزوه ويتساموا فوق الأحزان والأوجاع.

فعندما سقطت بلنسية عام (663هـ) اشتدت موجة الاستنجاد عند الشعراء فقاموا يستنهضون عزائم الملوك لأخذ الثأر يقول ابن الأبار مخاطباً صاحب أفريقيا أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي:

نادتك أندلـــــسٌ فلَــبِّ نداءها	واجعل طواغيت الصليب فداءها
صرخت بدعوتك العليّة فأجبها	مـــن عاطفاتِـــكَ ما يقي حَوْباءها[1]

(الكامل)

وهكذا يبدو أن ثقة أهل الأندلس بحكام تونس والمغرب كبيرة, فهؤلاء بنظرهم أملهم الوحيد في الحفاظ على الوطن أو في استرداد ما فُقِدَ من العدو, ومقاومته في نظر العديد من الشعراء نَفسٌ ملحمي شبيه بنفسِ المتنبي الذي كثيراً ما كان يستنهض شعور العرب لمقارعة الروم, وهذه الدعوة والإلحاح بها يعد موقفاً إيجابياً قلَّ نظيره في أدبنا.[2] ويتابع ابن الأبَّار قوله:

هبوا لها يا مَعْشَـــــرَ التَّوحيدِ قَدْ	آنَ الهبـــوبُ وأحرِزُوا علياءها
هي دارك القصـــوى أَوْت لإيالة	ضمنتَ لها مع نصرها إيواءها

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلـــــس الرطيب**, ج: 6, ص:(235-237).
الحوباء: الحزن. ينظر: **ابن منظور: لسان العرب**، مادة (حَوَبَ)، ص: 338.
[2] الطويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, ص: 33.

وبها عبيدك لا بقاءَ لهم ســوى　　　سُبُل الضَّراعة يسلكون سواءها

حاشاكَ أن تفنى حُشاشَــتها وقَدْ　　　قَصَرَتْ عليكَ نداءها ورجاءها[1]

(الكامل)

لا يترك الشاعر أي عنصر من عناصر التأثير إلا ويورده في قصيدته, فالأندلس هي دار مستقرة ومسؤولة منه, فيها عبيده الذين لا بقاء لهم ولا حياة إلا بمساعدة أبي زكريا, فقد مالَ الشاعر هنا إلى استخدام الناحية الدينية للتأثير على الإمام وتوطيد دعائم النصر بداخله فخاطبه بواسطة طائفة الإمام التي لها القدرة على محاربة أعدائها ونصرة أعوانها, إن الفكرة المهدوية التي عبر عنها الشاعر في الأبيات السابقة كما عبَّر عنها في قصيدته التي مطلعها (أدرك بخيلك...) هي الفكرة التي قامت على أساسها الدولة الموحدية في المغرب, وقد اعتبر الحفصيون أنفسهم ورثة هذه الدولة الحقيقيين بعد استقلالهم بتونس.[2]

ويَومَ حاصَرَ العدو مدينة اشبيلية سنة (646هـ) استنجدَ ابن سهل الأشبيلي الإسرائيلي بدوره ببني حفص وعرب أفريقية وحثهم على جهاد العدو في شعر معبر عن وطنية إسلامية قوية صادقة يقول:

يا مَعشَرَ العَرَبِ الذينَ توارثوا　　　شــيمَ الحميَّةِ كابراً عن كابر

أنتم أحقُّ بنصــــرِ دينِ نبيِّكم　　　وبكــم تمَهَّدَ في قديم الأعْصُرِ

أنتم بنيتم ركنه فلتدعموا ذاك　　　البنـــاءَ بكــــل لَدْنٍ[3] أســـمَرِ[4]

(الكامل)

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 235 – 236.

[2] الطرابيسي, أحمد أعراب: **الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي**, ص: 142.

[3] لَدْنٍ: اللَّينْ الرَّطب. **ينظر: ابن منظور**: لسان العرب، مادة (لَدَنَ)، ص: 383.

[4] البستاني, بطرس: **ديوان ابن سهل**, 1953, ص: 162.

أسلوب الخطاب ظاهرٌ بشكل ملحوظ من خلال المضمون, والأداة فهو يخاطبهم ويثير نزعتهم الدينية التي تربطهم مع إخوانهم في الدين والتبعية لنبي واحد وخاصة أنهم شجعان يمتازون بروح نضالية وحمية عالية.

لكن على الرغم من كل السلبيات, والعوامل النفسية والدينية السيئة التي يعيشها الشاعر, وخاصةً عندما فُقِدَ الأَمَلُ، ودَخَلَ اليأسُ إلى قلْبِهِ، نراه يعكفُ عن الاستعانة بالمرمينيين إلا أنه لم يفقد الرَّجاءَ من نصر الله عز وجَلَّ وأن المحنة لن تدوم على المسلمين، ولهذا فهو يدعو الله عز وجل بأن يدفع الظُلْمَ عنهم حيث يقول:

يا ربِّ وفقنا وألهـــــــمنا لما	فيه لنا الخيرُ فأنـــــتَ الملهمُ
يا ربِّ أصْلـــــحْ حالنا وبالنا	أنت بما فيه الصَّــــلاحُ أعلَمُ
يا ربِّ وانصرنا على أعدائنا	يا ربِّ واعصمنا فإنكَ تعصمُ[1]

(الكامل)

تكشف الأبيات عن مدى الضعف الذي أصاب نفوس الشعراء وعامة الناس فالألفاظ تدلّ على نفس جريحةٍ لا تقوى على المقاومة وهذا هو حال المسلمين, بالإضافة إلى تكرار أسلوب النداء في الأبيات الثلاثة, ويدل على إلحاح من الشاعر بطلب العون والنصر من المولى العزيز, والأبيات السابقة أشبه ما تكون بالدعاء, يستدعيه الإنسان عندما يفقد الأمل بمساعدة الآخرين, فلا ملجأ عنده سوى الله.

وفي أخريات أيامهم, حيث أوشكت البلادُ أن تضيع من أيديهم, بعثَ الشعراءُ شكواهم إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستعطفونه بها, ويشرحون ما أَلمَّ بهم من مكروه عسى أن تكون استغاثتهم به عليه السلام, وسيلة الظفر والنصر على الأعداء, وفي ذلك قصيدة لسان الدين بن الخطيب التي بعثها بأمر سلطانه أبي الحجاج بن يوسف بن نصر يقول:

---

[1] ابن أبي زرع: **الذخيرة السينية في تاريخ الدولة المرينية**, دار المنصور للطباعة: الرباط, 1972, ص: 100.

ألاَ يا رَســـــولَ اللهِ نادَاكَ ضَارِعٌ	عَلَى البُعْدِ محفوظُ الودادِ سَلِيمُهُ
مَشُـــــوقٌ إذا مـــا اللَّيلُ حَدَّ رِواقَهُ	تَهُمُّ به تَحــتَ الظَّلامِ هُمُومُــهُ
إذا ما حَدِيثٌ عَنْكَ جَاءَتَ به الصَّبا	شَجاهُ مِن الشَّوْقِ الحثيثِ قديمُهُ[1]

(الطويل)

لم يقف شعراء الأندلس عند استنصار الشعوب المجاورة, أو العرب الأخوان في الدين والعقيدة, أو الطلب والتوسل عند الرسول, بل تجاوزوا ذلك إلى الاستنجاد بالأولياء والفزع إلى الصالحين والمقربين,[2] يتوسلون بهم إلى الله تعالى رجاءً أن يصرف العَدُو عَن بلادهم ويعيد إليها عزها ورفعتها, وهنا دلالة على الضعف وعدم القدرة على المقاومة. ومما قيل في ذلك ما أنشده أبو عبد الله ابن الخطيب على لسان سلطانه محمد بن يوسف, مخاطباً ضريح ولي الله أبي العباس السبتي بمراكش يقول:

يا وَلِيَّ الإلــــهِ أنتَ جــوادٌ	وقصــدنا إلـــى حِماك المنيــعِ
راعنا الدَّهرُ بالخطوبِ فجئنا	نرتجي مِن عُلاك حسن الصَنيعِ
فمــددنا لَكَ الأكــفَّ نــرجّى	عَوْدَة العِزِّ تَحتَ شــمل الجميعِ
قد جعلنا وسيلة تربك الزاكي	وزلفى إلى العليــمِ الســـــميعِ[3]

(الخفيف)

كأن الشاعر يتحسر على مصائبه, وما ألمت به نائبات الدهر, وقد وصلت به الحسرة إلى مخاطبة الضريح كمخاطبة من هو إله قادر على فعل المعجزات, وقد يكون ذلك في مغالاة, أو نوعٍ من اليأس والإحباط, لعلَّ صاحب الضريح يحقق ما لم يحققه الأحياء من إعادة العز وجمع الشمل.

---

[1] مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب, المجلّد الأول**, ص: 468.

– ينظر: ابن الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 4, ص: 459.

[2] عيسى, عبد العزيز محمد: **الأدب العربي في الأندلس**, مطبعة الاستقامة, ص: 153.

[3] **ابن الخطيب, لسان الدين: الديوان**, ج: 2, ص: 658.

وإذا ما نظرنا إلى الظروف التي جاء فيها شعر الاستنجاد والدعوة إلى الجهاد, وجدنا أن معظمها جاء للوقوف ضد الاعتداءات المتزايدة على المدن الأندلسية, ولم يترك الشعراء أحداً إلا استنجدوا به, لعلهم يستطيعون استرجاع جزءٍ بسيط من تاريخ الأمةِ وأمجادها العريقة. أضف إلى ذلك كون هذا النوع من الشعر مستحدثاً عند الأندلسيين, وذلك لكثرة ما طرقوه من موضوعات تتعلق بسقوط المدن والممالِك الأندلسية, وهذه ميزة افتقر إليها الشعر المشرقي إلى حد بعيد لولا ظهور المتنبي في هذا المجال.[1]

---

[1] الطويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, دار الفكر اللبناني: بيروت, ص: 38.

المبحث الثالث: وصف الانتصارات عند المسلمين:

شَكَّلَ شعر وصف الانتصارات والمعارك عند المسلمين محوراً بارزاً في الشعر السياسي بسبب كثرة المعارك بين المسلمين والنصارى, الذين سعوا منذ البداية إلى استعادة بلاد أجدادهم من أيدي المسلمين, فأعدوا لهم ما استطاعوا من القوة التي تدعمها أوروبا المسيحية, وجاءت حروب الاسترداد منظمة تنظيماً دقيقاً, يستغلون فيها ضعف السلاطين حيناً, واشتداد اليأس عند الشعب حيناً آخر. مما أدى إلى خوض المسلمين حروباً طاحنة في سبيل الدفاع عن وطنهم ووجودهم.

ولعل كثرة الحروب بين الطرفين, قد أعادت لشعر وصف الانتصارات عافيته, على الرغم من قلة الشعراء الفرسان الذين خاضوا معامع القتال, وذكروا بلاءهم في الميدان, فقد وُجدَ شعراءٌ مدَّاحون وصفوا شجاعة ممدوحيهم وانتصاراتهم وعبرُوا عن فاجعة انهزاماتهم, فكانوا أشبه بالمصورين يرسمون مشاهد الحرب ولا يصلون نارها,[1] ولكنهم برعوا في هذا الوصف براعة ملحوظة, ونبغوا فيه نبوغاً واضحاً, وأضافوا به إلى التراث الأدبي رصيداً ضخماً من حقه أن يجعل لهم الفضل على لغة الضاد, بما أحدثوه من وصف وتطور لأساليب البيان والتعبير.[2]

ومن ضمن وصف الانتصارات يشيد الشاعر بشجاعة المقاتل الأندلسي وبراعته أثناء المعارك, والبطولات التي يقوم بها أثناء القتال, يقول ابن زمرك الغرناطي مشيداً بأعمالِ الأميرين سعد ونصر, في ميدان الجهاد:

يا آلَ نصرٍ سُـــــرج الهدى	في كل خطـــبٍ قد تجهتم مُظلِمِ
الفاتحون لكل صـــعبٍ مقفلٍ	والفارجــون لِكُـــلِّ خطبٍ مبهمِ
الباسمون إذا الكماة عوابس	والمُقدِمُونَ على السَّوادِ الأعظَمِ

---

(1) البستاني, بطرس: **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث**, ج: 3, ص: 59.

(2) أبو الخشب, إبراهيم: **تاريخ الأدب العربي في الأندلسي**, ص: 215 – 216.

أبناءُ أنصار النبي وحزبــه وذوي السوابقِ والجوار الأعْظَمِ[1]

(الكامل)

لقد حاولَ الشاعر ربط بطولاتِ آل نصر بأمجادِ العرب المسلمين وبطولاتهم في بداية الرسالة المحمدية, فوصفهم بأنصار النبي الذين نصروه في بدر وأُحد كما في قوله:

سَــــلْ عَنْهُمُ أُحُــداً تلقهم بلواءَ خيــرُ الخَلْقِ من متقدِمِ

أقمتُ بالحَرَمِ الأمينِ ومكةٍ والرّكن والبيتِ العتيق وزمزمِ[2]

(الكامل)

يركز الشاعر هنا على الناحية الدينية عند آل نصر ويصور مدى عمق إيمانهم وقدرتهم على نصرة إخوانهم, وقد انبثق عن الأبيات صورة جميلة توجد الأمل في نفوس المسلمين وهي صورة آل نصر حين شبههم بالمسلمين الذين انتصروا ونصروا الرسول يوم بدر, وقد دعمَّ الشاعر فكرته بذكره لأماكن مقدسة توحي بالطهارة والإيمان والاطمئنان وهذا ما يريده للأندلس ويريد من آل نصر أن يحققوه في جهادهم ضد عدوهم.

وفي الغرض نفسه يصف ابن الآبار بطولات أبي زكريا الحفصي صاحب أفريقيا في قصيدة أرسلها له كرسالة استنجاد عندما حاصر القشتاليون بلنسية:

أيامَ صِرْتَ لنصر الحقِّ مســتبقاً وبتَّ مِــن نور ذاك الهَدْي مقتبســـا

وقمتَ فيها بأمــرِ الله منتصـــراً كالصـــارِمِ اهتزَّ أو كالعارض انبَجسا

تمحو الذي كتبَ التجسيمَ مِنْ ظلْمٍ والصــــبْحُ ماحِيةٌ أنوارُه الغَلَسا[3]

(البسيط)

---

[1] ابن زمرك الغرناطي, محمد: **الديوان**, ص: 112.

[2] **المصدر السابق**, ص: 112.

[3] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 216 – 217.

من الملاحظ أن النزعة الدينية ظاهرة وواضحة في الأبيات السابقة, بالإضافة إلى إشادة الشاعر بشجاعة الممدوح وأثره البالغ في تصويب الأمور وتغييرها. فقد وصفه بالشيء العظيم بالصبح ومعظم هذه الصفات نجدها تتردد عند شعراء المديح السياسي في الشعر العربي. ومنهم لسان الدين بن الخطيب الذي كان يصف ممدوحه بالكرم والشجاعة والفروسية بالإضافة إلى خصلة الجهاد ضد النصارى, وتسعفه في هذا الوصف حياة واقعية, بخاصة وأن لسان الدين بن الخطيب كان يتحمل مسؤوليات في الدولة النصرية, وكان يشيد بالانتصار على أعداء الأمة وخاصة لأنه شهدَ مرحلة التوتر والضعف العام الذي شهدته الدولة النصرية في تلك الفترة. يقول في وصف انتصار أبي الحجاج وشجاعته:

ولمَّا أبَـــى الأعـــداءُ إلا لجاجـــةً ... نهضتَ بأمر الله أحســـنَ ما نَهَضْ

مقيماً بما استرعاك فَرضُ جهادهـــم ... ولم تألُ في نـــدب إليه وفي حَضْ

وأعددت مـــن غـــرٍّ الجيادِ صَوَافِنًا ... مُطَهَّمةً[1] من كل أجـــرد[2] منقَـــضْ[3]

(الطويل)

من الملاحظ أن الشاعر قد وفِق في انتقاء ألفاظه وعباراته التي تشيد بموضوع النصر من خلال استخدامه لتعبيريّ النهوض والإعداد وكلاهما بحاجة إلى بذل المزيد من الجهد والإقدام وهذا ما حققه أبو الحجاجِ في سبيلِ انتصاره.

ويقول في الغرض نفسه:

واهْنأ (أبا الحجاجِ) بالفتحِ الذي ... يُهدي إليكَ من الفتوحِ ضروباً

وانعم بموقِعـــه الجميلَ فإنـــه ... يشـــجي عَدُوَّاً أو يَسُرُّ حبيباً

---

[1] مُطهمًّ: التام من كل شيء. ينظر: **ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 596.

[2] أجرد: الفحش. **ينظر: المرجع السابق**، ص: 137.

[3] مفتاح, محمد: ديوان لسان الدين بن الخطيب, المجلد الأول, ص: 33.

والدَّهرُ محتفِلٌ بملكك محْتفٍ   يبدي على أثَرِ العجيب عجيباً[1]

(الكامل)

من الملاحظ لدينا أن الأندلسيين قد أظهروا عبقرية نادرة في شعر الوصف, بالإضافة إلى اهتمامهم الكبير به, وخاصة وصفهم للانتصارات والمواقع التي خاضها ملوك بني الأحمر، لتقوية عزائمهم أمام عدوهم ورفع معنوياتهم لكي يستمروا في تحقيق الانتصارات ومواجهة الأعداء. فعلى إثر هزيمةٍ كبيرة أوقعها جيش السلطان يوسف بن إسماعيل بن نصر بالروم قرب ديارهم أنشده ابن الخطيب قصيدة يقول فيها:

هو النَّصرُ بادٍ, للعيــونِ, صَبَاحُهُ   فما عُذْرُ صَدْرٍ لَيْسَ يبدُو انشراحُهُ

حديثٌ تهادَاهُ الركائِبُ في السُّرى   وتجلَى على راحِ المسَـــرَّةِ راحُهُ

وآيةُ بُشْرَى هَزَّ مِعْطَفَــهُ الهُدى   لَهَــا, وتَبَــدَّى للزمــانِ ارتياحُــهُ

وأصبَحَ دينُ الله قد عَزَّ جــارُهُ   بموقعِهِ والكفــرُ هِيــضَ جناحُــهُ[2]

(الطويل)

الشاعر متيقن من النصر, ويريد إظهاره وتوكيده عندما وصفه بالصبح, وفيه فخار للإسلام ولوجوده, فهو كالبشرى والخبر السعيد الذي يتناقله الركب ويسجله التاريخ في سجلات الانتصارات الإسلامية. وخاصة أن انتصار المسلمين في العديد من غزواتهم وحروبهم على النصارى, قد حركَ مشاعر بعض الشعراء إزاء ذلك فوصفوا بلاءَ جيش المسلمين وانكسار الأعداء. وفي هذا يخاطب ابن فركون القشري السلطان بقوله:

هنيئاً وبُشـــرى للعِبادِ ببرئكم   نَعَمْ وبه الإعزازُ للدينِ موجودُ

شهدتُ بأنَّ الفتحَ يدنو مبادِراً   ويتلوهُ يومٌ في عداتك مشـــهودُ

---

(1) مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب**, المجلد الأول, ص: 105.

(2) **المصدر السابق**, ص: 219.

وتَمْلِكُ أمصارَ العِدا ورقابَهُم   وللنصر تاجٌ في لوائِكَ معقــودُ[1]

(الطويل)

مِن السمات البارزة لهذا الوصف وذاك المدح المغالاة والمبالغة في التصوير إلى حدِ اكتساء الحقائق التاريخية بجلباب العاطفة والخيال في لون أسطوري بعيد عن الواقع وخاصة عندما بالغَ الشاعر بشجاعة ممدوحه لامتلاكه بلاد العدو ورقابهم.

وفي الغرض ذاته يقول الوزير أبو عبد الله اليحبصي يهنئ السلطان إسماعيل بن فرج (أبو الوليد) بهزيمة ملك النصارى بمرج غرناطة ويصف الوقيعة:

وبسَفحِ خير قد لقوا شــرَ الوغى   وهمى عليهم بالمنونِ سحابُ

قصدوا العرينَ ليغلبوا آســـادَهُ   فَقضَـــى عليهم بأسُكَ الغلابُ

أجريت أنهارَ السيوفِ على ثرى   أعناقهم فلها الرؤوسُ حبـــابُ[2]

(الكامل)

لقد تميز الأندلسيون بابتكار المعاني, والافتنانِ في أساليبِ الخيال, ولاسيما في وصف الجيوشِ وساحةِ الوغى والرماح والسيوف، فجمعوا بذلك بين جزالةِ المشرِق وعذوبة الأندلس.[3] ومن خلال الأبيات السابقة نلاحظ أن الشاعر قد أعطى صورة حيَّة لطبيعة المعركة ودمج بين الصوت والصورة فأصبحت واقعية تعبر عن أسمى آيات البطولة والشجاعة.ولا عجبَ في أن يكون لوصف المعارك نصيبٌ وافرٌ من الشعر الأندلسي, لأن الحروبَ بين المسلمين وأعدائهم الفرنجة لم تنقطع, ولم تهدأ حرب حتى تشـــنَ أخـــرى، لذلك فقد حفلت مدائح الملوك والأمراء

---

[1] ابن الخطيب, **لسان الدين: الكتيبة الكامنة**, تحقيق: إحسان عباس, دار الثقافة: بيروت, ص: 102.

- ينظر: ابن الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 1, ص: 92.

[2] ابن الخطيب, **لسان الدين: الكتيبة الكامنة**, ص: 176.

- ينظر: ابن الأحمر, إسماعيل: **نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان**, ص: 330.

[3] الطويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, ص: 37.

بذكر المعارك والجيوش.[1] ويتجسد هذا الوَصف بشكل واضح عند ابن الخطيب عندما مدَحَ الأمير أبا عبد الله بن نصر ووصف فيها المعركة وقوة الأسطول يقول:

هُنَّ الجواري المنشآتُ وقد غدت تختالُ في بُرْدِ الشــبابِ وتَرْفُلُ

مـــن كــلِّ طائرةٍ كأنَّ جناحها وهو الشـــراعُ به الفراخُ تظلَّلُ

جوفاءُ يحملها ومـــن حملت به مَـــن يعلم الأُنثى وماذا تحمِلُ[2]

(الكامل)

استخدم الشاعر أسلوب الوصف لإظهار مدى قوة وبأس أسطول الأمير الذي لا يُقهْر, فهو كالطائر في سرعته وقوته، ويحمل في بطنه الرفسان الشجعان الذين تميزوا بقوتهم وبأسهم, وتبدوا هذه الصورة واضحة المعالم عندما صَوَّرَ الشاعر القوة الخفية عند هؤلاء الفرسان بالجنين داخل رحم أمه فلا تُعَرَف جنسيته إلا بعد الولادة وهؤلاء الفرسان لا يعرف قوتهم إلا من ينازلهم القتال.

وفي الغرض ذاته يصف ابن زمرك أسطول السلطان المريني الذي قَدِمَ إلى الأندلس لمحاربـــة النصارى وهـــو في عـــرض البحر, كالطائر القوي في وســـط الســـماء وقد تحدى أخطار الرياح وواجـــه قوتها فطارَ كلمح البصـــر وهي فـــي البحر كالجياد التي تســـابق داخل مضـــمار الســـباق يقـــول:

أركَبْتَهُ في المنشــــــآت كأنما جَهَّزته في وجهه كَـــــمَزارِ[3]

من كل خافقة الشـــراعِ مُصَفِّق منها الجناحُ تطيرُ كلَّ مـــطارِ

ألقت بأيدي الريح فضل عنانها فتكادُ تسبقُ لمحة الأبصــــــارِ

مثلُ الجيادِ تدافعت وتســـابقت من طافح الأمواجِ فـــي مضمارِ[4]

---

[1] أبو الخشب, إبراهيم عليه: **تاريخ الأدب العربي في الأندلس**, ص: 196.

[2] ابن الخطيب, **لسان الدين**: **الديوان**, ج: 2, ص: 500.

[3] المزار: القوي الشديد. ينظر: **ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 904.

[4] المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل، والضُّمْرُ هو الهزال. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ضَمَرَ)، ص: 491.

لله منها في المجازِ ســــوابحٌ وقفَت عليكَ الفخرَ وهي جواريَ
لما قصَدْتَ بها مراسيَ ســبته عطفت على الأسوارِ عطْفَ سوارِ[1]

(الكامل)

كانت ملامح الوصف والحركة عن الشاعر واضحةً بشكل كبير فقد وظف الصور التعبيرية في خدمة النص فنلاحظ تتابع الأفعال التي تصف حركة السفن مثل (تطير, ألقت, تسبقُ, تدافعت, تسابقت وغيرها) ثم انتقل مباشرة إلى وصف شجاعة السلطان، فكانت الصورة كاملة متكاملة حققت ما أراده الشاعر وما سعى إليه من إبراز للصورة البطولية عند السلطان. فكانت الصورة عند ابن زمرك مشابهة للصورة عند ابن الخطيب في وصفه لقوة الأسطول.

ويقول أبو العلاء العاملي في مدحِ السلطان ووَصف فتحه لبعض حصون الروم.

فَتــحٌ تلقّى النصـــرُ منه تحيَّــــةً مِن لفظها ماءُ البشاشَـــةِ يقطُرُ
ثغــــرٌ على أرضِ العَدُو كأنّـــَهُ لحظٌ[2] يُضَمُّ عليه منها مَحجَـرُ
ما إن يَشُــنُّ الكفْـــرُ يوماً غارةً إلا وبالمغــوارِ منــه مُنَــذَّرُ
صَعِدَ العداةُ عليه أضـــعَ معقــلٍ متمثليــن بأَنــه لا يُحصـــرُ
قَسَمتْ جيوشُــكَ منه أعلى شاهقٍ يرتدُّ عنه الطرف وهو مُحيّـَرُ
فضفا من النقــــع المثارِ عليهمُ بُرْدٌ بأطرافِ الرماح مُحَبَّـــرُ[3]

(الكامل)

يبين الشـــاعر قوة جيــش الســلطان, وإصـــراره على احتلال الحصـــن, وفي المقابل يُظهــر غرورَ الأعــداءِ بقوتهــم وحصـــنهم الذي لا يقهر ولا يُحاصَر, ثم استعان بصورة حية

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 2, ص: 29.
[2] لحظٌ: نظرةٌ. **ينظر**: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (لحَظ)، ص: 458.
[3] ابن الخطيب, **لسان الدين**: **الكتيبة الكامنة**, ص: 199.

لوصف أرض المعركة, فكانت حامية الوطيس من خلال غبارها الذي أصبحَ كالبُرد الذي يلف كامل الجسم.

وفي الغرض ذاته يشيد محمد بن الشُدَيدِّ ببني نصر ويمدح أمير المسلمين (الحجاج) ويصف بطولاته في الحرب يقول:

بأندَلُــــسٍ لنا أيَّـــــامُ حَــرْبٍ	مواقِعُنَّ في الدنيَّا عِظــامُ
ثوى[1] منها قلوبَ الروم خَوْفٌ	يُخَوَّفُ مِنهُ في المهدِ الغلامُ
حَمَيْنا جانِبَ الدِّين احتســـاباً	فها هو لا يُهانُ ولا يُضــامُ
إذا شرعوا الأســنَّةَ يوْمَ حَرْبٍ	فَحَقِّقْ أن ذاك هو الحمــــامُ
كــأنَ رِمَــاحَهُمْ فيها نجــومٌ	إذا ما أشـــبه الليلَ القَتــامُ[2]
رأينا من أبي الحجَّاج شخصاً	على تلك الصّــفاتِ له قيــامُ[3]

(الوافر)

نلاحظ أن الشاعرَ قد أبدى تأثراً واضحاً وافتخاراً عظيماَ بما أحرزه بنو نصر في انتصاراتهم ضد عدو الأمة والوجود الإسلامي بالرغم من الصور التي تحمل في طياتها المبالغة والتهويل كصورة (الحروب التي تميزت بمواقعها العظيمة بالإضافة إلى الرماح التي تحولت إلى نجوم). وشدة خوف الروم من قوة أعدائهم التي يخشاها حتى الغلام منهم, إلا أنها جاءت صورة كاملة ومتكاملة في خدمة الهدف العام من المدح.

وكذلك ما قاله أبو عبد الله العقيلي في وصفه لشجاعة بني نصر في رسالته (الروض العاطر الأنفاس, في التوَّسل إلى المولى الإمام سلطان فاس):

---

(1) ثوى: هَلَكَ. ينظر: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (ثوى)، ص: 26.

(2) القُتامُ: الغبار، وقتوماً: إذا ضربَ إلى السواد. **ينظر**: **ابن منظور**: **لسان العرب**، مادة (قَتَمَ)، ص: 461.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**, ج: 8, ص: 373.

- ينظر: الداية, محمد رضوان: **أعلام المغرب والأندلس (نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان**, ص: 197.

فَكَم مــواقِفَ صـــدقٍ في الجهادِ لنا   والخيلُ عالكةُ[1] الأشـــــداقِ لِلُّجُمِ

والسيف يخضَبُ بالمحمرِّ من عَلَقٍ[2]   ما ابيَّضَ من سُبُلٍ واسْوَدَ من لَمَمِ[3]

(البسيط)

يصف الشاعر مواقف الشجاعة والحماسة عند فرسان بني نصر باستخدامه لمواقف حية تتوالى فيها الصور, كصورتيّ السيف والخيل. واستخدامه لصيغة الجمع دلالة على كثرة الجهاد ومواقف الانتصار. بالإضافة إلى اســتخدامه المشــاهد التصويريّة في أبياتهِ ليقرب المشـــهد وكأنّـــه يجري أمامنا ليرفـــع مـــن مكانة بني الأحمر كونهم مَـــنْ يدافـــع عن الدين أمام أعدائه ومن يتربَّصون بأهلهِ.

وفي المقابل يصف عبد الله بن رضوان البخاري حالة الرعب والذعر التي دبت في صفوف الأعداء عندما شاهدوا أسطول المسلمين الذي تميز بكثرته وقوته يقول:

ولمَّا اســتقامت بالزقاقِ أساطيــ   لُ ثم اســـتقلَّت للعودِ محافِلا

رآها عـــدُوُ اللهِ فانفضَّ جمعه   وأبْصَرَ أمواجَ البحارِ أســاطلاِ

ومِنْ دَهَشٍ ظنَّ السواحِلَ أَبْحُرا   ومن رُعُبٍ خالَ البحارَ سواحِلا[4]

(الطويل)

كانت المصيبة عظيمة الأثر على نفوس الأعداء الذين فقدوا قدرتهم على التحكم أو حتى على الرؤية فتخيل إليهم حجمُ الأسطول على أنه الأمواج العاتية, وقد عبَّر الشاعر عن حالة

---

(1) عالكة: متين المُضْغَة. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (عَلَكَ)، ص: 470.

(2) عَلَقٍ: العَلَق (بالفتح): الدَّم.

– **ينظر: المصدر السابق**، مادة (عَلقَ), ص: 167.

(3) المقري: أحمد بن محمد, **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 285.

(4) ابن الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 3, ص: 339.

الهلع والذعر التي وصل إليها الأعداء من خلال استخدامه لألفاظ تحمل في طياتها دلالات حسية معبرة مثل (انفض جمعه, أبصر الأمواج أساطيلاً...).

المبحث الرابع: وصف الهزائم التي حلّت بالمسلمين:

إذا كان شعر الحروب والفتن في طبيعته استجابة للأحداث وتعليقاً عليها, فإن شعر الهزيمة يغني قارئه عن مطالعةِ الكتب وخاصة التاريخية منها, ويقدم له ما هو أبعد من سرد الحوادث بطريقة هامشية,[1] وخاصة أن الشعرَ لم يقف أمام مأساة الأندلس صامتاً بل راح يسجل تلك النهايات بكلمات دامية وعبارات قاسية, وكان خير معبر عن هذه النكبة. وقد أدركَ العقيلي تلك النهايـــة عندما حاصَـــرَ الإســـبانُ غرناطة قبل احتلالها, فدعا ربه أن يهبه الصـــبر لتقبل النهاية المؤكدة:[2]

بالطَبـــلِ في كل يومٍ	وبالنفيـــر نـــــراعُ
وليـــس من بَعدِ هذا	وذاك إلا القـــــراعُ
يا ربُّ جَيْرَكَ يرجو	مَنْ هيضَ منه الذراعُ
لا تسْـــــلُبنَّيَ صَبْراً	منـــــه لقلتـــي أدِّراعُ[3]

(المجتث)

وبعد سقوط غرناطة شعر الأندلسيون بالهزيمة تهدَّ نفوسهم واليأس يمتلكهم, وأدركوا أنَّ آخر ضوء مهم في تلك الديار قد خبا ولا ينتظرهم إلا الظلام الدامس والانهزام القاتل فيكفي أن نشير هنا إلى ما نظمه العقيلي على لسان أبي عبد الله آخر ملوك الأندلس باكياً وطالباً العَفَو إلى سلطان فاس الشيخ الوطَّاسي يرجوه ألا يأخذ بأقوال الوشاة وأن ينزل في جواره.[4]

---

(1) عيد, يوسف: **أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي**, ص: 18.

(2) **المرجع السابق**, ص: 19.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 304.

(4) عيد, يوسف: **الشعر الأندلسي وصدى النكبات**, دار الفكر العربي: بيروت – لبنان, ط: 1, 2002, ص: 84.

أيه حنانيكَ يا ابن الأكرمين على ضَـــيْفٍ أَلَمَّ بفاس مُحْتَشِـــمِ

بك استجرنا ونِعْمَ الجارُ أنت لمن جارَ الزَّمانُ عليه جــورَ منتقــمِ

وهي الليالي وَقَاكَ اللهُ صـــولتها تصولُ حتى على الآسادِ في الأُجُمِ

كنا ملــوكاً في أرضـــنا دولٌ نمنا بها تحــت أفنـــانٍ من النِعمِ[1]

(البسيط)

بالإضافة إلى استخدام الجناس بشكل واضح في الأبيات من خلال كلمتي (الجار – جار) وقد أثر ذلك في الجرس الموسيقي للأبيات وهي سمة درج عليها شعراء هذا العصر بشكل ملحوظ. وفي هذه الأبيات دلالة واضحةٌ على عمق الجرح والشعور بالهزيمة, على ما أَلَمَ بالنفس الأندلسية حتى استسلمت لنوائب الدهر وبكت جورَ الليالي, وحكماً ضائعاً لم يعرف كيفية الحفاظ عليه مما أدى إلى الاستسلام للأيام والخطوب.[2]

لم يكن الشاعرُ الأندلسي مستعداً للإسهام في موضوع الهزيمة بشكل أو بآخر لأن من خاضَ هذا المضمار كان يقع تحت التأثير العاطفي المباشر للنكبة, ومن حاول تقصي هذا الشعر من حيث تنوع الأغراض الشعرية التي لامسها يجد أن نصف الميراث الشعري في الهزيمة موجه للنحيب والبكاءِ والصراخ, والنصف الآخر موزع بين رثاء البطولة والمدن.

ومع المتابعة لهذا النوع من الشعر نلاحظ أنه يهدف إلى التحذير والتوعية وإيقاظ الهمم النائمة, بالإضافة إلى تحديد المســؤولية, فيغلب عليه إزاء ذلك صوت الجماعة كقول لســان الدين بن الخطيب:

فقوموا برسم الحقِّ فينا فقد عفا وهبّوا لنصر الدين فينا فقد أشفا[3]

وها نحنُ قد لُذنَا بِعزِّ حِماكــمُ ونرجـــو من الله الإِدَالةَ واللُّطفا

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 285.

[2] عيد, يوسف: **أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي**, ص: 85.

[3] مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب, المجلد الأول**, ص: 679.

(الطويل)

استخدام الشاعر للفعلين (قوموا, وهبوا) من الدلائل الهامة على عِظَم المأساة واليأس الذي يعكس نفسية الشاعر, بالإضافة إلى حالة الذل والضعف التي وصَلَ إليها الشاعر الأندلسي, ولا يجد سوى الله كفيلاً بإزالة المصيبة واللطف بهم. وإذا تمّعَنَّا قليلاً بالترادف الفعلي الذي استخدمه الشاعر نلاحظ أنه كان عجولاً للتغيير والخلاص, فالفعل هبوا يأتي على وجه السرعة بعد فعل القيام, وكأنَ الفعل (قوموا) لم يسعف ما أراده الشاعر, فاضطر إلى استعمال صيغة معبرة عن حالته وشعوره.

وانطلاقاً من وظيفته وهدفه, فإن شعر الهزيمة يقوم على أساسٍ من القيم الدينية, فهو يرى في نكبات الأندلس المتلاحقة, وهزيمة المسلمين في الدفاع عن أوطانهم قد تكون قضاءً وقدراً وفي هذا يقول وزير السلطان أبي عبد الله وشاعره الشريف العقبلي في رسالته إلى سلطان فاس:

ولا تعاتب على أشياءَ قد قُدِّرَت   وخُطَّ مسطورها في اللوح بالقَلَمِ
حُكــمٌ مــن الله لا مَــردَّ لــه   وهل مــردٌ لحكــمٍ منه منحتــمِ[1]

(البسيط)

نلاحظ استسلام الشاعر وإيمانه الجازم بالقضاء والقدر وأن ما حلَّ بالمسلمين هو من عند الله وحده, ولا اعتراضَ على حكم الله, وأسلوب النهي واضح في بداية الأبيات, فالشاعر ينهى عن المعاتبة والمناقشة في أمورٍ مُسَلَّم بها.

وقد يكون سببها انحراف الناس عن الدين وابتعادهم عنه, وخاصة تباطؤ حكام غرناطة في القيام بفريضة الحج, فكتب العديد من الشعراء قصائد تمثلت في الاعتذار النبوي ومنهم لسان الدين بن الخطيب الذي نظم قصيدة على لسان سلطانه يوسف أبي الحجاج منها:

عَدَتني بأقصى الغَرْبِ عن تُربِكَ العِدا   جَلالِقَةُ[1] الثغــر الغــريبِ ورُومُهُ

---

[1] المقري: أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 283 – 284.

أجاهِـدُ منهـم فـي سـبيلك أمـةً	هي البَحْرُ يُعْيي أَمْرُها مَن يرومُـهُ
فلـولا اعتناءٌ منك يا مـلجأ الـوَرى	لَريـعَ حمـاهُ واسـتبيحَ حَريمـهُ
ولمَّا نَأَتْ داري وأعْـوَزَ مطْمعـي	وأَقْلقنـي شـوقٌ يَشـبُّ جحيمهُ
بَعَثْتُ بها جُـهْدَ المُقِـلِّ مُعَـوِّلاً	على مجـدكِ الأعلى الذي جَلَّ خيمُهُ[2]

(الطويل)

من الملاحظ في هذا الشعر ظهور العاطفة الدينية المحترقة, والقلق, مع تمنيه بقبول الرسول لدعواه فهو بذلك يستعطفه ويطلب العونَ والسماحة منه. وهذا ما استوت عليه الشخصية الأندلسية, من تدين وإيمان بقضاء الله وقدره بالإضافة إلى تعظيم مكانة الرسول إلى حد استعطافه وطلب العفو والمغفرة منه.

وما تميز به شعر الهزيمة عند الأندلسيين, ظهور العاطفة الدينية والخسارة الشخصية بشكل ملحوظ, فالشاعر كان يتفاعلُ مع أحداث الهزيمة, وينعكس ذلك على اشعاره بعاطفة مشبوبة حيناً متعلقة أحياناً أخرى, وقد بدا واضحاً في قول ابن الخطيب:

لا يغـررن الروم في أملائها	قدر, فأيامُ الحـروبِ تدولُ
والعَزمُ وارٍ في الحفيظةِ زنده	والرأيُ مشحوذُ الغرار صقيلُ
ولَوَ أنهم ملأوا البسيطة كثرةً	إن الكثيـرَ مع الضلالِ قليلُ[3]

(الكامل)

لقد عكست عاطفةُ الشاعر حزنه, وكأنه يحاول مواساة نفسه وإقناعها بأن الكثرة تزول وتضعف مع الكفر والضلال, فنراه يتحدث بقوة ويشعر بحماسة ويقين بقدرة الله على نصر دينه وقهر عدوه بالرغم من حالة اليأس والإحباط التي سيطرت على الشاعر. فالشاعر الأندلسي

---

[1] جلالقة: الرأسُ إذا حُلِقت. **ينظر**: **ابن منظور**, **لسان العرب**: مادة جَلَقَ, ص: 36.

[2] ابن الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, ج: 4, ص: 460.

[3] مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب**, المجلد الأول, ص: 57.

كغيره من الشعراء, لم يكن يعرف فكرة الالتزام, من هنا نبرر غياب القضايا الاجتماعية عن معظم النصوص الشعرية, وإذا حظينا بشيء من الالتزام فذلك يعود إلى الفورة العاطفية التي تسكن ضمير الشاعر وتعصف بقلبه فيرى نفسه مسوقاً للتعبير عنها, وعندما تحدَّث الشاعر عن نكبة المسلمين وانهزامهم, وعن حضارتهم المدَمَرة فقد كان مدفوعاً بالانفعال الذاتي وليس مرتبطاً بفكرة الالتزام, يقول ابن الخطيب في ردّه على رسالة أبي محمد بن المرابع بعد موقعة طريف[1]:

لا كان يومُكِ, (يا طريفُ) وَطالما	أطلَعْتِ للآمالِ بَرْقاً خُلَّبا[2]
ورَمَيتِ دينَ اللهِ منكِ بفَادحٍ	عَمَّ البسيطةَ مَشْرِقاً أو مَغرِبا
وخصَصْتِنِي بالرُّزء[3] والثكْلِ الذي	أوهى القوى, منِّي, وهَدَّ المَنكِبا
لا حُسْنَ للدنيا لَدَيَّ ولا أرى	في العَيْشِ بعْدَ أبي وصِنِوي مأربا[4]

(الكامل)

ظاهرة الإحباط والقلق عند الشاعر واضحة وجلية, فقد كانت مصيبة الهزيمة عظيمة هدَّت أوصالَ جميع القوى, حتى الشاعر, بالإضافة إلى كونها مصيبة شاملة قضت على دين الله, وعلى أمل المرء في المستقبل.

وهكذا من خلال عرضنا للعديد من النماذج التي صَوَّرت انتصارات المسلمين وانهزامهم أمام عدوهم الغاشم نلاحظ أن السمات التي ميزت هذا الطابع من الشعر هو بعده عن الواقع, بالإضافة إلى غلبة الطابع التقليدي عليه بشكل واضح, لا الإحساس والشعور بالموضوع, وخاصة – كما ذكرنا – أن معظم شعراء هذا النوع من الوصف كانوا من المدَّاحين الذين لم يخوضوا القتال, مما أوجد العديد من الصور التي تحمل طابع المغالاة وتضخيم الأحداث على الرغم من كونها أحداثاً عادية لا تحمل أي طابع لافت للنظر

---

[1] وقعت هذه المعركة ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من عام (741هـ) انهزم فيها المسلمون.
– ينظر: الحجي عبد الرحمن علي: **التاريخ الأندلسي**, ط: 1, دار الاعتصام, 1983, ص: 547.

[2] البرق الخلب الذي لا غيث فيه كأنه فارغ يومض حتى تطمع بمطره ثم يخلفك. **ينظر: ابن منظور, لسان العرب**: مادة بَرَقَ.

[3] الرزء: المصيبة، **المصدر السابق**، مادة (رزأ)، ص: 86.

[4] مفتاح, محمد: **ديوان لسان الدين بن الخطيب**, المجلد الأول, ص: 107.

المبحث الخامس: الهجاء السياسي (النقد السياسي):

ظهر هذا النوع من الهجاء بصورة بارزة في عصر ملوك الطوائف, حيث أخذ نفر من الشعراء هناك ينتقدون ملوكهم ويفضحون أساليبهم في الحكم والسياسة, وينبهون إلى دورهم الانتهازي فوق مسرح الأحداث وهو دور أدى بالأمة إلى فقدان كرامتها ومقدساتها, إنهم لم يعودوا في نظر الشعراء القادة الذين يدافعون عن الثغور ويسهرون على حفظ المقدسات, وإنما كان هم أحدهم في كأس يشربها, وقينة يسمعها, وحرب يعلنها على جاره,[1] لقد أصبحوا في نظر الشعراء دون كل دون, وأسفل كل أسفل, تحوم حولهم علامات استفهام عملاقة, ومن هؤلاء الشعراء الذين أحسوا بعمق الجرح, فانطلقوا معلنين سخطهم وغضبهم تجاه هؤلاء الأباطرة الشاعر ابن فرج الإلبيري المعروف بالسميسر, حيث قال:

نادِ الملوكَ وقــلْ لهم	ماذا الذي أحدثتم
أسلمتم الإســـلام في	أسر العدى وقعدتم
وجب القيام عليكــم	إذ بالنصارى قمتم
لا تنكروا شق العصا	فعصا النبي شققتم[2]

(مجزوء الكامل)

ثم خبت جذوة هذا الغرض في عصري المرابطين والموحدين وعاد للظهور قوياً في عصر بني الأحمر, حيث تركزت قصائدهم الهجائية في نقد سياسة الحكَّام.

بالإضافة إلى رســم صورة جلية للمتســلطين منهم, وهــذا النوع من الهجاء أو (النقد السياسي) قد يشكل نموذج توبيخ للحكام, حتى وَصَلَ الأمرُ عند بعضِ الشعراء أن ذاقوا الأمرين في السجون, واستشهدوا دفاعاً عن كلمتهم الحرة وثمناً لميولهم الشريفة الرافضة للحاضر الذي تفشى فيه الفساد واستشرى. ومن أشهر أنواع الهجاء التي كانت سائدة في ذلك العصر هو ذلك

---

[1] الطرابيسي, أحمد أعراب: **الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي**, ص: 134.

[2] الشنتريني, ابن بسَّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, تحقيق: د. إحسان عبَّاس, دار الثقافة: بيروت, المجلد: 2, ص: 374.

النقد الموجه للشعوب المجاورة التي تقاعست عن نصرة الإخوان في الدين والعقيدة وخاصة في نهاية القرن الثامن الهـ عندما توالى سقوط المدن الأندلسية بيد الأسبان, يقول الرُّندي في ذلك:

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ وأنتـمُ يا عبـادَ اللهِ إخـوانُ

ألا نفـــوسٌ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ أما على الخير أنصارٌ وأعوانُ[1]

(البسيط)

أبدى الشاعر نقده بشكل واضح لفرسان المغرب الذين يملكون البأسَ والقوةَ ولكنهم ما زالوا سادرين غافلين وكأنما لم يطرق مسامعهم خبر عمَّا يحدث فوق أرض الأندلس الدامية, ومن أجل ذلك استخدم الشاعر الاستفهام الإنكاري (ماذا التقاطع...) ليعبر عن سخطه وغضبه منهم وليكون له ذلك الأثر الكبير على أذن السامع, وقد عبرت كلماته عن مشاعر الأسى والمرارة مسربلة بغلالة خفيفة من السخر والتقريع.[2]

ويقول أبو عمران بن المرابط كاتب ابن الأحمر في الغرض ذاته برسالته التي أرسلها إلى السلطان المريني قبيل مغادرته الجزيرة الخضراء معاتباً:

أفلا تـذوبُ قلوبكـم إخواننا مما دهانا من رَدَىً أو من رَدِي

أفلا تراعـون الأذمـة بيننا مـن حُـرْمَةٍ وَمحبَّةٍ وتَوَدُّدِ

أكذا يعيثُ الرومُ في إخوانِكم وسـيوفُكم للثارِ لـم تَتَقلَّـدِ[3]

(الكامل)

نرى أسلوب الاستفهام قد أصبح ملحوظاً في أشعارهم, ومردُّ هذا إلى كثير من التساؤلات التي كان يطرحها عامَّةُ الناس على أمرائهم وملوكهم, فحالهم يقول: لماذا كلُّ هذه الهزائم وأنتم لا تحركون لها ساكناً. وكثرة استخدام الشاعر لصيغة الاستفهام كما في قوله (أكذا)

---

[1] المقري: أحمد بن محمد, **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 242.

[2] الدقاق, عمر: **ملامح الشعر الأندلسي**, ص: 314.

[3] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 7, ص: 198 – 200.

تدل على تعجبه وسخطه من تقاعس أهل المغرب عن نصرةِ إخوانهم, باستثارته لهمتهم وعقيدتهم, مستغلاً ما يقوم به الروم من انتهاك للحرمات وهتكِ للأعراض. ولا يوجد من يأخذ بالثأر أو يصد العدوان.

وعندما سقطت الأندلس وغابت شمس الجزيرة الخضراء, ندبها وشكى أزمانها العديد من الشعراء الذين شعروا بقسوة الدهر, بالإضافة إلى إبطاء أهل العزم في المساعدة والدعم لإخوانهم, فعبروا عن مشاعرهم بنوع من السخط واللوم والتقريع لمن ساهم في محو العروبة والإسلام من أرض تمجدت ببقائهما فيها ما يقارب ثمانية قرون, ومنهم الدَّقون الذي كتب أسمى الكلمات في التقريع واللوم للمتقاعسين يقول:

يا أَهْلَ فاسٍ أما في الغيرِ موعِظةٌ	إن الســـــعيدَ لموعوظٌ بأمثالِ
فقل تعالَوْا إلى نصــــــحٍ وتذكرةٍ	فالأمرُ جدٌّ فلا تصحب لمكسالِ
كيفَ الحياةُ إذا الحيَّاتُ قدْ نَفحَت	على السواحِلِ أو هَمَّت بإرسالِ[1]

(البسيط)

ولكن لماذا لا يتذكّرون أهل فاس والمغرب إلا بعد الهزائم, فأهل غرناطة لم يظهروا الصدق في معاملتهم لأهل المغرب وهذا أدّى إلى هدم جسور الثقة بينهم. ومن الصور الأخرى التي ظهرت هي صورة النقد الموجه إلى الشعب الأندلسي نفسه الذي شارَك بشكل أو بآخر في ضياع بلاده وسقوطها, بسبب ضعفه في مواجهة عدوه فكانت الصورة واضحة وجلية عند الشاعر المجهول الذي رثى الأندلس فيقول:

أَضــــعتم الحَزمَ في تدبير أمركم	ســـتعلمون معاً عقبى البوارِ غدا
لكنْ سُبْلَ العمى أعمت بصائِرُكُمْ	فأُلبِسْـــــــــــــتُم ثياباً للبلى جُدُدَا

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 107.

يا أُمةً هتكت مســتورَ سوءتها		ما كُلُ مَن ذلَ أعطى بالصغارِ يدَا[1]

(البسيط)

فالشاعر في الأبياتِ السابقة يقرِّع أهل قرطبة ويتهمهم بالتقصير في الدفاع عن بلدهم وحمايتها, بالإضافة إلى تهاونهم في صَدِّ الأخطارِ عنها فحلَّت التهلكة عليهم, وكان ذلك جزاءً لهم, حتى أنه قد وصفهم بالعميان, فقد مالَ الشاعر إلى استخدام الألفاظ بمعناها القريب من الأحداث, فالبصيرة تختص بالقلب دون العين وكأن المسلمين قد خلَتْ قلوبهم من الإيمان, فقد عميت بصائرهُمْ, وهذه دلالة على أن النقد السياسي لم يخفِ صورة نقده المتجسمة بهجاء الإخوان المسلمين.

ومما تجلَّت فيه صورة النقد بشكل واضح هي النزاعات التي دامت فترة طويلة بين سلاطين بني الأحمر على سياسة وولاية الحكم, مما أدى إلى إضعاف السلطة وسقوطها فريسة سهلة بيد النصارى الذين ترقبوا كل فرصة تلوح لهم للخلاص من سلطة الأمراء المسلمين على المدن الإسلامية والانقضاض عليهم, ومن الجدير بالذكر أن الدولة النصرية قد تميزت بالقوة والفتوة وذلك في بداية القرن الثامن الهـ حتى بدأت الاضطرابات عام (760هـ) عندما خُلِعَ السلطان (أبو عبد الله) الملقب الغني بالله ونفي إلى المغرب على يد أخيه إسماعيل الذي استولى على الحكم بعد غدره لأخيه الذي أنعمَ عليه بالعز والرفاهية يقول ابن الخطيب في وصف ذلك:

لم يَدْرِ إســماعيلُ ما طوقته		ومن منَّه لو كان ممــن يعقِلُ

نِعَمٌ مهنأةٌ وظلٌ سَجْسَــجٌ[2]		تندى غضارته وماء سلســلُ

أغراه شيطانُ الغرورِ لغاية		من دونها تنضي المطي الزّللُ

يبغي به دَرْجاً إلى نيلِ التي		كانت قوى إدراكــه تتحبَّكُ

[1] المراكشي, ابن عذاري: **البيان في المغرب**, تحقيق: ج, س , كولان, الدار العربية للكتاب: ليبيا, 1ض983, ص: 110.

[2] سجسج: اللين والاعتدال بين الحد والبرد. **ينظر**: **ابن منظور**, **جمال الدين**: **لسان العرب**, مادة سجج.

سـرعانَ ما أبداه ثم أعاده   في هفوة البلوى وبئسَ المنزلُ[1]

(الكامل)

لجأ الشاعر إلى استخدام الفعل (طوّق) الذي يدل على الشموليّة في الحدث, وهذا ساعد على وضوح الصورة وثباتها في إعطاء المعنى مزيداً من الوضوح والتأثير, وكأن الغني قد ربط عنق أخيه بالكرم والجود, ولكن هذا لم يثمر معه, بل ثار عليه بعد أن نسيَ هذه الفضائل. ومن الملاحظ أنَّ تزاحم الثورات الداخلية, وتخصيص الحكم عند النصريين بالخاصية الوراثية قد أدى إلى توسيع دائرة الغدر والقتل وخاصة في صفوف الأمراء والحكام, الذين تطاولوا على شعوبهم واتهموا بالفساد والخيانة, وهذا ما نلاحظه عندما عادت ثورة الغضب تسكب حقدها وجمرها على إسماعيل الذي أطاح بأخيه, وانتزع الحكم لنفسه لكنه لم يهنأ به وتمَّ قتله على يد ابن عمه زوج شقيقته, ولابن الخطيب أبياتٌ يصف مصير إسماعيل, فهو مصير كل إنسان غادر, أدى به الغدر إلى الفتك بحياته وحياةِ أخيه قيس يقول:

سـرعانَ ما أبداه ثم أعاده   في هفوة البلوى وبئس المَنْزِلُ
وسقى بكأسِ الحَينِ قيسا بعده   والله يملـي للطغاة ويُمْهِلُ[2]

(الكامل)

لم تكن العاقبة على إسماعيل وحده بل طالت أخاه قيساً ولكن حكم الله عادل في كل مَن يطمع بنعم غيره ويعمل على تخليصه منها.

وبعد التجوال السريع في مجال الهجاء السياسي أو كما أسميناه النقد السياسي نلاحظ أن معظم القصائد التي تضمنت هذا النوع من الهجاء قد تميزت بالأصالة والصدق, ومثلت الصوت الرافض لتقاعس الشعوب وضعفها وابتذال حكامها في دفاعهم عن وطنهم وحماية أنفسهم

---

[1] ابن الخطيب, لسان الدين: **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**, تحقيق: أحمد مختار العبادي, دار الكتاب العربي: القاهرة, ص: 289.
- **ينظر: ابن الخطيب, لسان الدين**: الديوان, ج: 2, ص: 497.

[2] ابن الخطيب: **لسان الدين**, ج: 1, ص: 62.

ومقدساتهم من بطش النصارى وعدوانهم, وكان الشعراء في الغرب مقلِّدين للمشارقة مع اختلاف بسيط بين الفريقين, فأهل الأندلس أكثروا من المقطعات في معظم أهاجيهم, وأهل المشرق غلبت عليهم القصائد الطويلة,[1] ولكن ما يميز هذا الهجاء في عصر بني الأحمر هو انحساره في أنماط معينة لا تتعدى كونها أنماطاً مكونة للمجتمع الأندلسي بشكل أو بآخر.

---

[1] الطويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, ص: 127.

الفصل الثالث

الخصائص الفنيّة لشعر الحروب والفتن في الأندلس
(عصر بني الأحمر)

أولاً: الأساليب اللغوية:

1. التكرار من حيث:
   - النداء.
   - ضمائر الخطاب.
   - الاستفهام.
   - كم الخبرية.
   - التركيب الفعلي للأفعال (الماضية, المضارعة, الأمر).
   - التقديم والتأخير.

ثانياً: الموسيقا الخارجية:

1. الوزن العروضي.
2. القافية.

ثالثاً: الموسيقا الداخلية:

1. الطباق.
2. الجناس.
3. إيقاع الحروف.
4. أئتلاف اللفظ مع المعنى.

رابعاً: التداخل بين غرض الشعر السياسي والأغراض الشعرية الأخرى.

خامساً: بناء الصورة الفنية في شعر الحروب والفتن.

الأساليب اللغوية

1. التكرار:

التكرار تقنية إيقاعية تساهم في توازن النص, وإعطائه السمة الخاصة به خلال تكرار حرف أو كلمة أو عبارة أو مقطع بكامله, وتكمن قيمة التكرار في أنه يعطي نغماً موسيقياً ممتعاً ومثيراً يوظف لخلق قيمة معنوية للألفاظ بما تكتسبه من دلالات لها علاقة مع ذات الشاعر[1] زد على ذلك أن التكرار لم يكن ظاهرة عشوائية يأتي به الشاعر كيفما أراد, إذ إن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون له تلك العلاقة المباشرة بالمعنى العام, والتكرار هو ذكر الشيء مرتين فصاعداً.[2] مع وجوده في النص فإنه يضع في أيدينا مفتاحاً للفكرة المتسلطة على الشاعر فيضيئها بحيث تقع عليها, أو لَنقُل إنه كجزء من الهندسة العاطفية للعبادة, يحاول الشاعر فيه أن ينظِّم كلماته بحيث يقيم أساساً عاطفياً من نوع ما,[3] يدركه المتلقي ويستجيبُ له, وهو يتابع التكرار بدلالاته الخاصة في النص. وبالتالي يعمل التكرار على كسر رتابة الإيقاع الخارجي, مما يجعل القصيدة (سيمفونية) متعددة الألحان.[4]

ومن خلال شعر الحروب والفتن الذي تميز به عصر بني الأحمر فإننا نلاحظ تواجداً ملحوظاً للتكرار في العديد من الأبيات الشعرية, وقد مالَ العديدُ من الشعراء إلى استخدامه لتقوية المعنى,[5] وقد يقوم التكرار بدور المكبِّر والمهَوِّل للصورة, ويعتمده الشاعر أداةً تخدم التشكيل الجمالي لموقفه,[6] ونجده يتجسد في الموضوعات الآتية:

---

[1] أبو شمالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي, رام الله: فلسطين. ط: 1, 2003, ص: 480.

[2] مصطفى, محمود: **الفخر عند الشاعر يوسف الثالث, رسالة جامعية**, نابلس: منشورات جامعة النجاح الوطنية, 2004, ص: 78.

[3] الملائكة, نازك: **قضايا الشعر المعاصر**, دار العلم للملايين: بيروت, ط: 9, 1996, ص: 277.

[4] عتيق, عمر: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**, رسالة جامعية: نابلس: منشورات جامعة النجاح الوطنية, ص: 103.

[5] أبو شاويش, حماد: **البناء الفني في شعر ظافر الحدَّاد**, المكتبة العربية: القاهرة, 1986, ص: 140.

[6] الجبار, مدحت سعد محمد: **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**, الدار العربية للكتاب, 1984, ص: 95.

أسلوب النداء:

يعتبر من أهم الأساليب الإنشائية الطلبية, ويستخدم بهدف تنبيه المدعو لتلبية النداء باستخدام العديد من الأدوات, تنوب جميعها مكان الفعل (أنادي أو (أدعو) وقد لجأ الشعراء في عصر بني الأحمر إلى استخدام هذا الأسلوب بكثرة بسبب الظروف القاسية والمريرة التي تعرضت لها المدن الإسلامية, فكانت حاجة المسلمين للنداء ملحة لإنقاذهم مما حلَّ بهم في جزيرتهم. ومن الملاحظ أنَّ الشاعر قد استخدم أدوات النداء المخصصة للقريب والبعيد دائماً لاستحضار المنادى, وجعله يقع دائماً في منزلة القريب, وقد ظهر هذا واضحاً في أغراض الاستنجاد والدعوة للجهاد, ورثاء المدن الضائعة ووصف الانتصارات والهزائم عند المسلمين والنقد السياسي ومن هذا ما جاء في دعاء مالك بن المرحل إلى الله بنصر المسلمين ورفع البلاء والمحنة عنهم يقول:

يا رَبِّ وَفِّـــــقْنَا وأَلْهِـمْنا لِما	فيهِ الخيرُ لَنا فأنْتَ المُلْهِـــمُ
يا ربِّ أَصْلِحْ حَـــالَنا وَبالَنا	أَنْتَ بِما فيه الصَّــــلاحُ أَعْلَمُ
يا ربِّ وانصرنا على أعدائنا	يا ربِّ واعصِمْنا فَإنْك تَعْصِمُ[1]

(الكامل)

أسلوب النداء هنا جاء لمناداة القريب بالرغم من أن دلالة (يا) تستخدم للقريب والبعيد, لأن الله سبحانه وتعالى قريب من الإنسان يستجيب دعاءه, فهو ناصِرٌ له, ولذلك فإن التكرار جاء في الأبيات السابقة كطلب ملح من الشاعر لنصرة المسلمين, والله يحب الإنسان كثير الدعاء الذي يلح بدعائه وطلبه عدة مرات. وما يميز التكرار في الأبيات السابقة هو اندماجه ضمن التكرار العمودي, مع التركيز على لفظة الرب ثم إيضاح الهدف العام من الدعاء وهو على الترتيب (التوفيق, والإصلاح, والنصر).

---

(1) ابن أبي زرع: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة النصرية**, ص: 235.

وقد ظهرت هذه الصورة بطابع آخر باستخدام أداة نداء (الهمزة) التي لا تستخدم إلا للقريب فقط، وظهورها عند شاعر أندلسي تأججت مشاعره ودفعته بحرارة إلى الاستنجاد ببني مرين واعتبارهم بمثابة القريب بالرغم من بعد المسافة ليعبر عن قرب المشاعر والعاطفة والإحساس بالوحدة الدينية.

ويحث الشاعر ابن المرابط إخوانه على نصرة أهل الأندلس بقوله:

أَبَنْي مْرين أَنْتم جيرانُنُا   وأَحَقُّ مَن فِيْ صَرْخةٍ بِهم ابْتدي
أَبَني مريْن والقَبائلُ كلُّها   فِــي المَغْرِبِ الأَدنى لنا والأَبْعَدِ[1]

(الكامل)

فالشاعر اعتمد في استنجاده واستعطافه على استخدام حرف النداء (الهمزة) وجاء بعدها بالمنادى, وتكرار النداء وَرَدَ لغرض في نفس الشاعر هو التأكيد على طلب العون والمساندة بهدف استثارة سمع المنادى ليستجيب للنداء في المرة الثانية.

وفــي الغــرض ذاتــه يقــول يوســف الثالــث فــي مخاطبتــه أوليائــه مــن بنــي مريــن يحثهــم علــى الجهــاد:

أَبني مرين والحمايةَ شَــأنُكُم   وبِكفِكُمْ سَـيْفُ الجِهادِ يُجَــرَّدُ
أبني حُسَين أنتم العَرَبُ الأُلى   كَرُمَــتْ أوائِلُكم وطَابَ المُحتَدُ[2]

(الكامل)

لقد تميز شعراء بني الأحمر في شعرهم الذي تناولَ الاستنجاد بميلهم لاستخدام أسلوب النداء, فالشاعر لا ينادي أي شخص, لقد خصَصَ النداء فقط لبني مرين في البيت الأول ثم تطرق إلى توسيع دائرته لمناداة بني حسين باعتبارهم العرب الأوائل سواء أكان النداء للمرينيين

---

[1] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 7, ص: 412.
[2] كنون, عبد الله: ديوان يوسف الثالث, ط: 2, **مكتبة الأنجلو المصرية**, 1965, ص: 51.

أم غيرهم فقد استخدم الشاعر (الهمزة) للنداء وهي للقريب, وفي ذلك إشارة إلى المسافة القريبة بين الشاعر وبين مَن يستغيث بهم, وذلك دليل على حجم الفعل والأعباء التي سيتمكن منها بنو مرين وغيرهم. بكفهم سيبقى الجهاد متواصلاً لتحقيق النصر وإعادة الكرامة للأمة وأنصارها مستغلاً بذلك رابطة العقيدة والجوار الذي يَربط الأندلسيين بإخوانهم المغاربة.

ضمائر الخطاب:

لقد بدا استخدامها في الشعر السياسي بشكل واضح وملموس وقد تميزت بكثرة ارتباطها بالأسماء والأفعال. ومن السمات الغالبة على الشعر السياسي وخاصة ما يتعلق بالاستنجاد والدعوة إلى الجهاد هو كثرة استخدام هذه الضمائر للحث على الجهاد بشكل مباشر أو لاستنهاض الهمم والشجاعة لمقاتلة العدو, وقد استخدمت ضمائر الخطاب بصيغتي المفرد والجمع بهدف التعظيم ورفعة المكانة, وعند شعراء الأندلس كان استخدام هذه الضمائر متنوعاً وشائعاً ومباشراً يقول ابن الآبار في استصراخ الأمير الإفريقي:

صِلْ حَبْلَها أيها المَوْلَى الرَّحيمُ فَما	أَبْقى المِراسُ لها حَبلاً ولا مرَســـــا
وأَحْي ما طَمَسَتْ منها العداةُ كما	أَحْيَيْتَ من دَعوَة المهدي ما طُمِسَـــا
أيامَ صِرْتَ لِنَصْرِ الحقِّ مســـتبقاً	وبتَّ مِنْ نورِ ذاكَ الهـــدى مقتبســـا[1]

(البسيط)

ومن الملاحظ كثرة استخدام الشاعر لضمائر الخطاب المتصلة من خلال عرضه للأعمال التي يطالب الأمير القيام بها على وجه السرعة, وقد جاء تكرار هذه الضمائر مثل: الضمير المتصل في الأفعال (طمست, أحييت, صرتَ, بتَ) والضمير المستتر في الأفعال (صِلْ, وأحي) ليظهر شدة الحاجة لهذا الأمير.

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 216.

وقد نظمَ الشاعر يوسف الثالث قصيدته التي خاطب بها بني مرين وقد بدا واضحاً كثرة استخدامه للضمائر المتصلة التي تتصف بالخطاب فيه يقول:

إنَّ السَّـــــعيدَ إذا تمهّد مُلْكُــهُ عُدْتم لنا والعَـــودُ منكم أَحْمَدُ

أوطانُكم إخــوانُكم وبلادُكــم عودوا وَعهْدَكــم القديمَ فجدِّدوا

قوموا إلى نَصْرِ السعيدِ حمايةً فالـــــدِّينُ إن لم تجمعــوه يُبَدَّدُ[1]

(الكامل)

كثرة استخدام ضمائر الخطاب عند الشاعر (عدتم, وأوطانكم, وإخوانكم...), كان بمثابة التعبير عن الاحتقان الموجود داخل وجدانه بسبب تردي أوضاع المسلمين وسقوط مدنهم بيد النصارى, إذ كان ذلك من واقع الحياة الصعبة التي فرضت على مسلمي الأندلس وقد ظل التكرار مرتبطاً بالسياق العام للنص ومغذياً له, فهو بمثابة الروح الجديدة التي تنتشر في النص وتتغلغل في المعاني.[2] والأصل في استخدام الضمير هو الاختصار عن ذكر ألفاظ كثيرة.[3]

ومن الأنماط الأخرى التي ظهرت للضمائر هو استخدامها بصورتها المنفصلة, ويأتي التعبير والخطاب هنا للمخاطب بصورته وبشكله المباشر وهذه ظاهرة واضحة عند ابن سهل الاشبيلي الذي حث بني حفص وعرب إفريقيا على نصرة إخوانهم يقول:

أَنتم أحقُّ بنَصـــــرِ دينِ نبيِّكــــم وبكم تمَهَّد في قَديمِ الأَعْصُرِ

أنتم بنيتم ركنه فلتدعمــــوا ذاك البناءَ بكلِّ لَدْنٍ أَســــــــمَرِ[4]

(الكامل)

---

(1) كنون, عبد الله: ديوان يوسف الثالث, 1965, ص: 51.

(2) أبو شمالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, ص: 335.

(3) القطّان, منّاع: **مباحث في علوم القرآن**, مؤسسة الرسالة: بيروت, ط: 7, 1980, ص: 197.

(4) البستاني, بطرس: **ديوان ابن سهل**, ص: 162.

- **ينظر: ابن سهل الإسرائيلي: الديوان**, شرح: أحمد حسنين القرني, ص: 38.

كرَرَ الشاعر الضمير (أنتم) وكأنه يريد أن يؤكد أحقية بني حفص في الجهاد والدفاع عن كيان الأمة ووجودها, فالتكرار هنا جاء ليكشف لنا عن الخواطر التلقائية البعيدة عن التكلف واصطناع الموقف الانفعالي, بالإضافة إلى إعطائه دلالة جديدة تعلن عن الواجب الديني الذي يدفعهم لتقديم العون والمساعدة لإخوانهم في محنتهم. فقد يكون التكرار أحياناً محركاً لوجدان المتلقي للتوحد مع انفعالات الشاعر والتحليق مع دلالات الألفاظ وما توحيه من صور وخيالات متراكمة في الذاكرة.[1]

الاستفهام:

وقد لجأ إليه الشعراء الأندلسيون بشكل كبير في عصر بني الأحمر, وقد عكس توتراً وقلقاً يستشعره الشعراء كل يوم مع تكرار المحنة أمامهم في كل لحظة, وبالتالي أصبح الاستفهام وسيلة بحثهم الذهني الذائب عن بوابات الفرج,[2] ومع النظر إلى أدوات الاستفهام التي استعان بها الشعراء نلاحظ أنها تعكس قلقهم من الزمن, وخوفهم من المستقبل, فعندما يقول (أين) فإنه ينفي عن المكان والزمان الاعتراف بنهاية الوجود واستعادة القرار, بالإضافة إلى استخدامهم للعديد من المؤثرات الوصفية القديمة لتوضيح الصور كوصف الرُّندي لشداد وجبروته وقارون وماله وقرطبة ودور علمها وثقافتها... وجميعها صور من الماضي وهذا ما نلمسه في قصيدته التي يقول فيها:

وأينَ ما شـــــادهَ شَّــدَّاد فـــي إرمٍ؟	وأينَ ما ساسه في الفُرْسِ ساسانُ
وأين ما حازه قارونُ مِــــنْ ذَهَبٍ؟	وأين عادٌ وشـــــــدَّادٌ وقَحْطَانُ
وأيــنَ قُرطُبَةٌ دارُ العلـــــومِ, فكـــم	من عالم قد سَــمَا فيها لَهُ شانُ

---

[1] أبو شمالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, ص: 338.

[2] ينظر: الهاشمي, أُسيد أحمد: **موجز البلاغة في المعاني والبيان والبديع**, مؤسسة المعارف: بيروت. ط: 1, 1999, ص: 95.

وأين حمصُ وما تحويه مــن نُزَهٍ ونهرها العَذبِ فيَّاضٌ ومــــلآنُ[1]

(البسيط)

نلاحظ من الصور السابقة أن الشاعر يريد ذاك التواصل بين الماضي والحاضر ولو كان – فقط – بأخذ العبر والفائدة بالإضافة إلى أن تكرار الاستفهام في بعض الأغراض, يصور التنوع الشامل في أدواته, ومع تنوع أدواته تنوع مفهومه ودلالته وارتباطه بالمعنى العام للنص, على سبيل المثال فلاء الحصر تميز الشعر السياسي بكثرة الدعوات إلى الاستصراخ, والحض على الجهاد بالإضافة إلى النقد السياسي الموجه ضد مجموعة, بل فئة كبيرة من الملامين على محنة البلاد وسكوتهم عليها, فلا عجب أن نجد الاستفهام قد كَثُر في تلك الأبيات, قد يحاول الشاعر من خلاله وصف استنكاره وشجبه لتقاعس المسلمين عن نصرة أخوانهم كما فعل ذلك أبو عمران بن المرابط كاتب ابن الأحمر عندما راسلَ السلطان المريني قبيل مغادرته الجزيرة الخضراء بقوله:

أفلا تــذوبُ قلوبكــم إخواننا مما دهانا من رَدَىً أو من رَدي

أفلا تراعــون الأذمــة بيننا مــــن حــــرمة ومحبة وتَوَدُّدِ[2]

(الكامل)

جاء تكرار (الهمزة) حرف الاستفهام, ليؤكد على استغراب الشاعر واستنكاره من تقاعس الهمة العربية المسلمة, في النهوض لاستعادة العزة الإسلامية والوجود الإسلامي في الجزيرة, وقد جاء التكرار لوصف الانفعالات بصورة بارزة, تعبيراً عن عاطفة اليأس والأسى التي ملكت خواطر الشاعر.

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 243 – 244.

– ينظر (لمزيد من أشعار ابن الزمرك): المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 1, ص: 120.

[2] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 7, ص: 198 – 200.

والصيغة ذاتها تكررت عند أبي البقاء الرندي عندما استنكر حالة السكوت والتجاهل عند مسلمي إفريقيا بشكل خاص فقد مالَ إلى التعبير والاستفهام عن قدرة هؤلاء الشعوب على السكوت وخاصة عندما ذاع خبر أهل الأندلس في جميع أنحاء المعمورة يقول:

أعندكـــم نبأٌ مـــن أهـــل أندلـــسٍ فقد سرى بحديث القوم ركبانُ[1]

(البسيط)

إنّ اســـتخدامُ صـــيغ الاســـتفهام بأدواته المختلفة وبالذات الهمزة التي يـــراد بها طَلَبُ الفَهْمِ – أو يطلب بها تصوّراً أو تصديقاً[2] – كان من الأساليب الشائعة عند شعراء عصر بني الأحمر, وذلك لما تحمله من دلالات ساعدت على إظهار المعنى العام والأهداف التي سعى الشاعر إليها, ألا وهي الإنكار والتوبيخ والتعجب والتقريع. وخاصة أن الهمزة قد تخرج عن معنى الاستفهام إلى الإنكار التوبيخي والتهكم وهذا ما بدا واضحاً عند الشاعر في البيت السابق.[3] والاستفهام يدل على ضعف لدى المستفهم, والشعراء في الأندلس كانوا في تلك الفترة في حالة ضعف.

كم الخبرية: التي تفيد معنى التكثير.

عندما وصف الشاعر الأندلسي النكبة التي حلّت, استطاع وصف العديد من المظاهر التي كانت مؤسِّية واحتلت موقعاً بارزاً وظاهراً في مخيلته, ولكنه في المقابل استخدم صورة تعبيرية تجعل القارئ يطلق عنانه في تخيل المأساة ويشارك الشاعر إحساسه وشعوره بالحزن الذي تحوّل إلى صورة باكية على بلاد إسلامية داهمها الكفر وعاثَ فيها فساداً, فأصبحت كالتائه في عالم النسيان وتحوّلت فيها جميع المعالم إلى إنسان باكٍ, فكان استخدام الشاعر لأسلوب

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 244.

[2] ابن هشام الأنصاري, عبد الله جمال الدين: **مغني اللبيب**, ج: 1, مطبعة المدني: القاهرة, 1967, ص: 13.

- ينظر: الأسمر, راجي: **علوم البلاغة**, دار الجيل: بيروت, ط: 1, 1999, ص: 36 – 39.

[3] ابن هشام الأنصاري, عبد الله جمال الدين: **مغني اللبيب**، ص: 17.

التكثير الذي يفيد المبالغة أيضاً, وله علاقة وطيدة بالجو العام للنص وهذا ما نراه واضحاً عند شاعر مجهول رثى رنده ووصف ما حلَّ بأهلها:

وكَمْ مِن عجوزٍ يُحرَمُ الماءَ ظَمْؤُها   على الذلَّ يُطوى لُبثها ومسيرُها
وكم من صَغيرٍ مات في حِجْرِ أمِّهِ   فأكبادها حرَّاء لَفــحٌ هَــجيرها
وكم مِن صغيرٍ بدَّل الدهــرُ دينـــه   وهل يتبع الشيطانَ إلا صغيرُها[1]

(الطويل)

لجأ الشاعر إلى تكرار (كم) الخبرية التي تفيد المخبر بأمر لا يطلب الإجابة عنه, تكراراً عمودياً لإفادة معنى التكثير,[2] ليحاول إيصال فكرته ومدلولها إلينا, وقد استخدم الشاعر (كم) الخبرية التكثيرية في بداية الجملة وأتبعها بتمييز مجرور[3] يعكس الأنماط المجروحة والضعيفة (كالعجوز التي تحرم من الماء, والصغير الذي يحرَم من حضن أمه, والمسلم الذي أُجبِرَ على التنصر) وجميع الصور تثير عاطفة القارئ وشفقته, فهي صور مفجعة ومؤلمة تعكس قسوة النصارى وطغيانهم الذي لم ينجُ منه الكبير أو الصغير.

لم تلازم الصورة الكبار والصغار فقط بل طالت حتى الأسير الذي وقع في قبضة العدو النصراني, فهي صورة شاملة لجميع الأسرى كما ورَد في قصيدة الرُّندي:

وكم مِن أســـــيرٍ بحبلِ الذُّلِ معتقلٍ   كأنه ميتٌ والــذلُّ أكفـــانُ[4]

(البسيط)

(1) الزّيات, عبد الله: **رثاء المدن في الشعر الأندلسي**, ص: 756. (أخذت الأبيات من مخطوطة).
(2) الغلاييني, مصطفى: **جامع الدروس العربية**, ج: 1, ط: 38, بيروت: المكتبة العصرية, 1991, ص: 119.
(3) ابن هشام الأنصاري: **مغني اللبيب**, ص: 183.
(4) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 244.

وفي وصف آخر يقول أبو عمر بن المرابط:

وكم مِنْ أســـــيرٍ عندهم وأسيرة   فكـــــلاهما يبغي الفداءَ فما فدى[1]

(الطويل)

لم يخرج أسلوب ابن المرابط عن التكثير, فهو يصف كثرة الأسرى من الرجالَ والنساء معاً, ولكننا نلاحظ أنه قد ركَّز على الأسير بالذات لأنه من يقع تحت وطأة التعذيب بشكل مباشر, فالتجارب الإنسانية التي خاضها الأندلسي فرضت نفسها على الشاعر بقوة حضورها ليحاول وصفها والتعبير عنها, لذلك فقد مثلت الألفاظ والأساليب واقعاً ملموساً ومحسوساً عند العديد من الشعراء.[2]

التركيب الفعلي:

لقد ارتبط هذا التركيب بدلالة الحدث المرتبطة بالفاعل, والزمان والمكان, ويتضمن إمكانية التجدد والتطور في كل مرَّة, وخاصة في الفعل المضارع, بالإضافة إلى إمكانية وجودها في فعل الأمر.[3]

وقد استخدم شعراء هذا العصر التركيب الفعلي بشكل ملحوظ, لمواكبة العديد من الأحداث المتقلبة في عصر سادَ فيه نوع من العبثية في استقرار الأمور والفجائية في تطورها وتكوينها لذلك نلاحظ تفاوتاً كبيراً في استخدام الفعل في الأشعار من حيث البنية والحدث, فنرى بعض المواضيع الشعرية قد اعتمدت في صياغتها وتركيبها على فعل أكثر من غيره, وقد يكون ذلك للضرورة الزمنية والهدف المُلِح الذي ســعى إليه الشـاعر, على ســبيل المثال ظهر فعل الأمـر بشـكل واضـح وملموس في قصـائد الاسـتنجاد والدعـوة إلى الجهاد, لأن تحقيـق

---

(1) ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 7, ص: 199.

(2) أبو شمالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, ص: 294.

– ينظر بعض الأشعار: المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 157, ص: 29.

(3) الداية, فايز: **جماليات الأسلوب**, مديرية مكتبة المطبوعات الجامعية: جامعة حلب, 1989, ص: 82.

– ينظر: عتيق, عبد العزيز: علم المعاني, ص: 51.

الغرض يتطلب الأمر والحث على المساندة والتوجه إلى الجهاد وهذا ما نراه بشكل واضح عند ابن الخطيب عندما خاطب الغني بالله وحثه على الجهاد إثر وقيعة حصن (اسْتَبَة) التي هُزِمَ بها المسلمون يقول:

فافتح معاقِلَهــَا المنيفاتِ الذُّرى وانْشُر على شرُفاتِها الأعلاما

واحْسِمْ بسـيفِكَ كلَّ داءٍ كامنٍ فَلِذاك ما دُعِيَ الحُسامُ حُسَاما

واهنأ بعيـدٍ عائدٍ لك بالمنـى وانعم بقاءً في العُلَى وَدَوامـا

وَصِلْ السُّعُودَ بكلِّ جَدٍّ صَاعدٍ واسـتقبلِ الأعْصَارَ والأَعواما[1]

(الكامل)

نلاحظ أن ابن الخطيب قد لجأ إلى استخدام صيغة الأمر, لأنه أراد تحقيق الهدف العام من الأمر وذلك بحث الأمير على (الفتح والحسم والهناء والوصل), وهذا ما نراه في صورة جليلة أخرى عند الشاعر الملك يوسف الثالث الذي حثَ المسلمين على النهوض لحماية مقدساتهم واعراضهم يقول:

يا أمَّة المِحْراب والحَرْب أخلصوا لِسَـامعِ نَجْوَى حَيَّهِ وجَمادِهِ

وكـونوا لفتح المبهمات وسـيلةً يَدينُ لها حِزبُ العِدى بانقيادهِ[2]

(الطويل)

لقد وظف الشاعر أفعال الأمر (أخلصوا, كونوا) مع ضمير الجماعة لإيصال الهدف الذي يسعى إليه وهو النهوض الجماعي للقيام بالفرض الذي فُرِض عليهم وهو الجهاد. وممن استعان بصيغة الأمر في طلبه وحثه على الجهاد ابن الآبار القضاعي في قصيدتهِ التي أنشدها

---

(1) ابن الخطيب, **لسان الدين**: الديوان, ص: 462.

(2) كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, 1965, ص: 49.

- ينظر الصفحات: (122, 142, 154).

يستغيث بصاحب إفريقيا ويحثه على نصرة المسلمين وخاصة عندما استولى النصارى على بلنسية عام (636هـ) يقول:

طَهِّر بلادكَ منهم إنَّهم نَجـــــسٌ ولا طهارةَ ما لم تغسِلْ النجسا
وأوطئ الفَيلَقَ الجرَّار أَرَضَهُـــم حتى يُطأَطِئ رأساً كلُّ مَنْ رَأَسا
وانصر عبيداً بأقصى شرْقها شَرُقت عيونهم أدمعاً تهمي زكا[1] وخسا[2]
واضــرب لها موعداً بالفتحِ ترقُبُهُ لَعَلَّ يَومَ الأعادي قد أتى وعَسَى[3]

(البسيط)

كان استخدام الأفعال (طهِّر, وأوطِئ, وانصر, واضرب) ظاهِراً وصريحاً, ينتظر الشاعر من خلالها الاستجابة وتلبية الدعوة[4] لأن طلبَ الأمرِ يطلبُ به مطلوباً غير حاصل وإنما يستدعى للحصول. وفي الحقيقة جميعها أفعال تستحق الطلب وخاصة لأن تحقيقها بحاجة إلى قوة وصرامة النصر والضرب, وهذه صفات متوفرة بصاحب إفريقيا كي يحقق النصر الذي يرجوه الشاعر, وسعى من أجل الحصول عليه.

ومع استخدام فعل الأمر, فقد كَثُرَ أيضاً استخدامُ الفعل المضارع الذي يرتبط مع استمرارية الحدث وتطوره, وقد وجد في العديد من الأغراض الشعرية التي كانت سائدة, ولكنه برز بشكل واضح في غرض المديح وخاصة مديح سلاطين بني الأحمر, ووصف انتصاراتهم وجهادهم ضد عدو بلادهم, يقول ابن زمرك في وصفه لابن الأحمر:

يَهْنى البنودَ فإنها سَـــتُظِلُّه وجَنَاحُ جبــريلَ الأمينِ يُظَلِّلُ
يهنى الجيَادَ الصَّـافِنات فإنها بفتوحه تحت الفوارسِ تهْدِلُ
يهنى المَزاكي والعَوَالِيَ والظُّبَى فيها إلى نيلِ المنى يَتوَصَّـلُ

---

(1) زكا: الزوج من العدد. **ينظر: ابن منظور**, جمال الدين بن مكرم: لسان العرب, مادة: (زكا)، ص: 358.

(2) خسا: الفرد من العدد. **ينظر: المصدر السابق**, مادة (خسا) 14, ص: 227.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 218.

(4) داود, د. محمد محمد: **الدلالة والكلام**, غريب للطباعة والنشر: القاهرة, 2002, ص: 410.

يهني المعالَيَ والمفاخِـــــرَ أنَّهُ   في مرتقى أوْج العُلا يَتوَقَّــلُ[1]

(البسيط)

لجأ الشاعر إلى صيغة المضارع في مدحه للأمير, لتدل على الاستمرارية ومعظمها سمات وصفات يتمنى الشاعر ثبوتها في ممدوحه, ومن الملاحظ أن ابن زمرك قد أكثر من استخدام الفعل المضارع وتكراره لأن الفعل المضارع يحمل دلالة الحاضر وهو فترة انتقالية تربط بين الماضي والمستقبل[2] ولكن البعض يرفض تجزئة الزمن إلى ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل ومنهم (جاك دريدا) الذي يرى أن هذه اللحظات تتعايش مع بعضها, فالماضي في نظره هو ماضٍ دائماً دون أن يمضي نهائياً, والحاضر هو دائماً حاضر دون أن يحضر كلياً, أو هو لإمعانه في الحضور يحول دون حضوره فيبقى متسماً بشحوب الماضي,[3] وهذا ما أراده جاك ولكننا نجد أن الحاضِرَ يتسم بتألق المستقبل بالحلم والخيال, إنَّه التداخل, ولولا ذلك لأصبحت حياتنا عَدْماً مع أول كارثة أو مصيبة يطرحها علينا الحاضر.[4] فالشاعر لم يفقد الأمل بعودة الحياة للأندلس, لأنَّ فقدان الأمل يتعارض مع فكرة الدعوة إلى الجهاد أو حتى مدح السلطان الذي حقق الفوز والنصر في الجهادِ بعد هزيمة أو انقلاب تعرَّض إليه, وتكاد فكرة ابن زمرك تتكرر عند ابن الخطيب الذي مَدَح السلطان الغني بالله بقوله:

يَهْنيكَ صـــــُنْعُ الله حينَ تبلَّــدت   فــيكَ الحجَى وتأول المُتَــأوِّلُ

يهنيكَ صنعُ الله حيــنَ استأْنَستْ   مِنْكَ الظنونُ وأقصَرَ المُسْترسِلُ[5]

(الكامل)

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 2, ص: 117. يتوَقَّلْ: يصعد. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (وَقَلَ)، ص: 733.

[2] مرتاض, عبد المالك: **في نظرية الأدب**, المجلس الوطني للثقافة والفنون: الكويت, 1980, ص: 202.

[3] عرفه, عبد العزيز: **الدال والاستدلال**, المركز الثقافي العربي: بيروت, ط: 1, 1993, ص: 29.

[4] أبو شمالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, ص: 215.

[5] ابن الخطيب, **لسان الدين**: **الديوان**, ج: 2, ص: 502.

– ينظر: استخدام الفعل المضارع عند الرُّندي, في المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 244 – 245.

يميلُ ابن الخطيب إلى استخدام هذه الصيغة من التكرار العمودي للفعل المضارع (يهنيك)، لأنه أراد أن يديمَ الصفات في الأمير، ويجعلها ملازمة له دائماً, وخاصة أن الفعل المضارع يدل على استمرارية الحدث, بالإضافة إلى تكرار الفاعل (صنعُ الله) في البيتين وفي هــذا دلالــة على المكانــة العظيمــة العالية التي وضع بها هــذا الأمير، وهذا كــله مــن الله. ومــن الشــعراء مــن اســتخدم اســم الفعــل عوضــاً عــن الفعــل نفســه، ويظهر هذا في مــدح ابن زمــرك للأمير ابــن الأحمــر:

حَسْبَ الخلافَةِ أن تكون وَليَّهــا ... ومجيرها مــــن كل من يتخيلُ

حَسْبَ الزمانِ بأن تكونَ إمامَــهُ ... فلــــه بذلك عــــــزة لا تُهمَلُ

حَسْبَ الملوكِ بأن تكون عميدها ... ترجو النّدى من راحتيك وتأمَــلُ

حَسْبَ المعالي أن تكون عمادَها ... فعليكَ أطنابُ المفاخِرِ تُسْــــدَلُ[1]

(الكامل)

اســتخدم الشــاعر اســم الفعــل عوضــاً عــن الفعــل المضــارع هو بمعنى يكفي, وما وَرد بعــد اســم الفعــل جميعها ألفاظ تدل على السمو والرفعة لا يملكها أي إنسان عادي, وهــذا يدل على رقي أســلوب المدح الذي اســتخدمه ابن زمرك في ممدوحه. وهــذا ما يميزه عــن غيره مــن شــعراء عصــره بالإضافة إلى عمق معانيه وقدرته على الابتكار وميله إلى الجزالــة والإجادة في الأســلوب.

أما الفعل الماضي, فقد ظهر في بعض الأغراض بصورة واضحة فيما يتعلق برثاء المدن ووصف حضارة العرب وأمجادهم, وهذا ما نراه واضحاً عند الرُّندي الذي رثى المدن الأندلسية, والرثاء يأتي بعد فقدان المرثي لذلك فقد كثرت صيغة الماضي عنده, يقول:

دهــى الجزيــرةَ أمرٌ لا عــــــزاءَ لــه ... هوَى لــه أُحُــدٌ وانــهَدَّ ثهلانُ

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 2, ص: 121.

ينظر: **استخدام الفعل المضارع في وصف النصر**, ابن الخطيب, لسان الدين: الديوان, ج: 1, ص: 671.

ينظر: استخدام المضارع في وصف انتصارات الغني بالله, المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 2, ص: 155.

حيث المســـاجدُ قَدْ صــــارَت كنائسَ ما فيهنَّ إلا نواقيــسٌ وصــــلبانُ

يا مَــن لِذلَّــةِ قــومٍ بَعـــــد عِزِّهِــمُ أحالَ حالَهُــمُ كُفْــرٌ وطُغــيانُ

بالأَمْسِ كانوا مُلوكاً فــــي مَــنازِلِهِــم واليومُ هم في بلادٍ الكفر عُبدانُ

ولــو رَأَيْت بكـــــاهُمُ عِنْـــدَ بيعِهُمُ لَهالَكَ الأَمرُ واســتهوتْكَ أحزانُ[1]

(البسيط)

استطاع الرّندي أن يعبر عن المصيبة العظيمة التي حَلَّت بالديار الإسلامية فكانت الجرائم متنوعة طالت الكبير والصغير وشملت أهم المعالم الدينية الموجودة كالمساجد التي تحوَّلت إل كنائس, من خلال تصويره لما حَدَث في تلك المدن جعلنا نتخيل الصورة أمامنا, فهو نقل للزمن من الماضي إلى الحاضر, وبانطباعه في مخيلتنا جعله دائم الاستمرارية, فقام الرندي بإزالة الحواجز الزمنية وطبع أمامنا صورة كاملة متكاملة من خلال تجسيده للفعل الماضي بصورة الحاضر (صارت, أحالَ, كانوا...), ومن المعروف لدينا أن نونية الرندي قيلت قبل سقوط غرناطة والعديد من المدن, ومما دفع الرندي إلى قولها سقوط العديد من المدن في أيامه, فجعله يتنبأ بسقوطها جميعها بيد النصارى.

ونرى الفعل الماضي يتكرر – أيضاً – عند لسان الدين في مخاطبته للغني بالله في رسالة مواساة قدَّمها إليه عقب هزيمته في حصن (أَستَبَة) عام (743هــ) يقول:

أَزمَعْــــتَ في اللهِ الجهادَ وطالــــما أرضـــى الإلهَ جهَادُكَ المقبولُ

وأنِفتَ لِلدِّين الحنيــــفِ وأهــــلِهِ مِــنْ أن يطيحَ نجيعُهُ المطلولُ

ومَدَحْتَ زنْدَ عزيمةٍ نَصـــــــريَّةٍ تَركَتْ ديارَ الكُفر وهي طُلولُ

وسَــــــلَكْتَ للتقّوَى ســــبيلاً سَنَّها عَلَمُ الملوكِ أبوكَ (اسـماعيل)

ورَجَعْتَ, والنصْرُ العزيزُ مُصاحِبٌ لك والملائكـــــةُ الكِرامُ قبيلُ

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 243 – 244.

في عَسْكَرٍ لَجِبٍ[1] كأنَّ جموعَـــــــهُ فَوْقَ الوِهادِ[2], إذا زحَفْنَ سُــيولُ[3]

(الكامل)

لقد ارتبطَ الزّمان بالمكان في الفلسفة الحديثة, فلم يَعُدْ الزمانُ يَبحثُ بمفرده, ولا ينظر إليه من بُعْدٍ واحد, بل من أبعادٍ مختلفة[4] تعطي للزمان المدلولَ الحسي والصورة المتعارف عليها, فنحن لا نرى الزمن بالعين المجرَّدة, أو بالمجهر, ولكننا نحس آثاره تتجلّى فينا, وتتجسد في الكائنات والأشخاص الذين يحيطون بنا, فعلى سبيل المثال نسمع الشاعر يستخدم أفعالاً مثل (أَزمَعْتَ – ألفْتَ, مَدَحْتَ, تركتْ, سلكت....) فندرك أنها في الزمان الماضي بالرغم من بقاء مدلولها في الزمن الحاضر, وهذا ما يبغيه الشاعر.

التقديم والتأخير:

من الطبيعي أن الكلامَ يتألف من كلماتٍ أو أجزاء, وليس الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة,[5] كما أن الجملة في العربية تخضع لترتيب ينظم تتابع أجزائها في الهيكل الأساسي للبناء اللغوي, ومن ثم تستكمل عناصر أخرى يتم بها التعبير وتنقل الآراء والانفعالات, فهناك التركيب الاسمي للجملة, وفيه يتقدم المبتدأ ويتلوه الخبر, والتركيب الفعلي للجملة تبدأ فيه بالفعل ثم الفاعل وبعده المفعول به وعلى إثره تتوالى الأجزاء الأخرى التي تكون مشتركة كالحال والتميز, ويلحظ التكامل بين الاسمية والفعلية أن يأتي الخبر جملة,[6] وإذا تأملنا البناء النحوي للنصوص الأدبية نجد خروجاً عن هذا النظام العام الذي عرفنا, وضمن احتمالات لغوية كامنة

---

(1) لَجبٍ: الصوت والصياح والجَلَبة. **ينظر: ابن منظور: لسان العرب**، مادة (لَجَبَ)، ص: 735.

(2) الوِهادِ: المكان المنخفض كأنه حفرة. **المصدر السابق** مادة (وَهَدَ)، ص: 471.

(3) ابن الخطيب, **لسان الدين: الديوان**, ج: 1, ص: 487.

- ينظر: **الفعل الماضي في وصف الجيش لابن زمرك**: المقري, أحمد بن محمد: أزهار الرياض, ج: 2, ص: 144.
- ينظر: **المرجع السابق**, ص: 29 – 30.
- ينظر: **المرجع السابق**, ص: 153 – 154.

(4) صابر, عبيد: **فكرة الزمان عند أخوان الصفا**, مكتبة مدبولي: القاهرة, 1990, ص: 208.

(5) عتيق, عبد العزيز: **علم المعاني**, ص: 148.

(6) الداية, فايز: **جماليات الأسلوب**,1989, ص: 76.

في ماهية اللغة العربية, وفي جميع الأحوال والظروف, تأتي أسباب التقديم والتأخير؛ لهدف عند الكاتب أو الشاعر, أو لضرورة معينة سعى إليها الشاعر.[1]

أضف إلى ذلك فإن أهمية أمر أو شخوص أو انفعال تلعب دوراً أساسياً في عمليتي التقـديم والتأخير, وهـذه الأهمية مرتبطة بالسـياق وتوجهـه, سـواء فـي محوره الرئيسي أو فـي المحاور الجزئيـة التي يضـمها فـي داخله, ونقصـد هنا ما يشغل الفنان من قضايا ومـواقف وانفعالات.

ومن أكثر الأساليب شيوعاً في هذه الأشعار, هو تقديم الخبر على المبتدأ. لقد وقف البلاغيون عند حدود هذه الظاهرة, وحاولوا تلمس دلالة التقديم من بُعد, فكانت تعليلاتهم عامة, فالقزيوني الخطيب: يرى أن الخبر يتقدم على المبتدأ لكون ذكره أهم, إما لأنه أصل ولا مقتضى للعدول عنه, وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً, وإما لتعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير.[2] وتقديم الخبر على المبتدأ كسر للرتابة اللغوية, ومن شأنه أن يمنح المبدع طاقة تعبيرية لتنظيم انفعالاته, وترتيب رغباته, فيقدم ما يطفو على سطح وجدانه وفكره, ويؤخر ما يترسب في أعماقه, وعليه, فالتقديمُ مرآة تعكسُ عليها الأولويات الوجدانية الفكرية للمبدع, وهو في الوقت ذاته وسيلة للمتلقي لقراءة النص اللامرئِي لإدراك كنهه,[3] وترى الأسلوبية أن الكاتب لا يتسنى له الإفصاحَ عن حسه ولا عن تصوره للوجود إلا انطلاقاً من تركيب الأدوات اللغوية تركيباً يفضي إلى إفراز الصورة المنشودة والانفعال المقصود.[4] ويرد تقديم الخبر بشكلين:

أولاً: مجاورة الخبر للمبتدأ وهو ما يمكن تسميته بالانزياح البسيط مثل قول أبي البقاء الرُّندي:

---

[1] عبّاس, فضل: **إعجاز القرآن**, ط: 2, الأردن: منشورات جامعة القدس المفتوحة, 1977, ص: 196.

[2] القزويني, جـلال الدين محمـد بن عبد الرحمن: **التلخيـص فـي علوم البلاغـة**, ضـبطه وشـرحه: عبـد الرحمن البرقوقـي, دار الكـتاب العربي, ط: 2, 1932, ص: 47.

[3] **المرجع السابق**, ص: 75.

[4] السَّد, نور الدين: **الأسلوبية في النقد العربي الحديث**, **رسالة دكتوراة**, إشراف: طاهر حجار, جامعة الجزائر, 1993, ص: 82.

وللحوادِث سلوانٌ تسُــهِّلها وَما لما حلَّ بالإســلام سُلوانُ

أعندكم نبأٌ من أهلِ أندلسٍ فَقَدْ سَرَى بِحَديثِ القَوْمِ رُكبانُ[1]

(البسيط)

فقــد جاوَرَ الخبــر المبتــدأ في البيــت الأول (للحوادثِ ســلوانُ) وكــذلك في البيت الثاني (أعندكــم نبأٌ).

ثانياً: الفصل بين الخبر والمبتدأ ويسمى الانزياح المركب. مثل قوله أيضاً:

لكلِّ شـــــيءٍ إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يغرَّ بطيبِ العيــــشِ إنســــان[2]

(البسيط)

لقد قدَّم الرُّندي الشيء على نقصانه, والحوادث على سلوانه, والظرفية المكانية على النبأ وهذا التقديم جاء لغرض مهم عند الشاعر وهو التركيز على الأمور السابقة دون غيرها لأهميتها في نفسه, وقد تكون قد حملت دلالة خاصة في مخيلته, جعلته يتنبه لأهميتها ومكانتها عنده.

إن ما يعانيه الشاعر أو يحلم به يحدد زاوية الرؤية في اختياره لنقاط يتحدثُ عنها أو تتابع أو صفات تتصل بأشياءَ أو بأناس, أو سرد لشخوص, ومن ثمَّ تعتمل في الذاكرة اللغوية الرغبات والتصورات محاولة نقلها على شكل يعبر عن ذاك التفاعل النفسي, ويقدر على النفاذ إلى نفوس الآخرين.[3] إن تقدَّم الفاعل على المفعول به يحدد نقطة للاهتمام, وهي إثارة انتباه القارئ إلى السبب الذي يكمن جرَّاء هذا التقديم, وقد لجأ إليه العديد من الشعراء في تزيين أشعارهم وإكسابها صفة التميز والإبداع, ومنهم ابن زمرك الغرناطي الذي مدح انتصارات الغني بالله بقوله:

لم تَرْض هِمَتُكَ القليلَ من التُقى حتى أَتَتْ بالصالحاتِ قَبِيـــــــــــــلا

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 234 – 244.

[2] **المصدر السابق**, ص: 244.

[3] الداية, فايز: **جماليات الأسلوب**, ص: 77.

فأقمتَ ميلادَ الرَّســـــول بليلةٍ   أَوضَحْتَ فيها للجهادِ ســــــــــبيلا

إنْ شـــمَّروا يومَ الحُرُوبِ ذيولَهُم   سَحَبوا من الزّرْدِ[1] المُفاضِ[2] ذُيــولا

أو قصَّـــروا يومَ الطِّعانِ رِماحَهمَ   وَصلَوا بها الخَطْوَ الوَســـاعِ طويلا[3]

(البسيط)

فقد قدَّم الشاعر ابن زمرك الفاعل (همَتُك, فأقمت: الضمير التاء, أوضحتَ: الضمير التاء, شمَّروا: الضمير الواو, سحبوا: الضمير الواو, قصَّروا: الضمير الواو, وصلوا: الضمير الواو) على المفعول به لبيان شجاعة ممدوحِه وبلائه في الحرب مع جماعته, بالإضافة إلى أهمية المتقدم (الفاعل) وشدة عناية الشاعر واهتمامه به وخاصة أن غرض المديح يتصف بتركيز الشاعر على ممدوحه بشكل خاص.

لقد لجأ شعراء هذا العصر في العديد من أشعارهم إلى تقديم المجرورات على غيرها من الكلمات أو الألفاظ الموجودة في النص, وخاصة أن تقديم أي جزء من الكلام لم يقع بطريقة عشوائية, وإنما يكون مقصوداً. بما يلبي الحاجة ويفي بالغرض.[4] وهذا ما نراه واضحاً عند ابن الخطيب عندما أرسلَ رسالة استنجاد لأهل المغرب يقول فيها:

مِنْ مَعْقِلٍ حـــلَّ العدُّو عِقالَـــــــــهُ   ومِنْ مَسْجدٍ صارَ الضَّلالُ به وقفا

ومِنْ غادَةٍ بَكْـــــــرٍ جلَتها يدُ الجلا   ولم يَدْرِ إلا دايةً قطُّ أو ســـــجفا

ومِنْ صِبْيَةٍ حُمْرِ الحواصِلِ أصبَحَتْ   تُقلِّبُ ذُعْـــراً بَيْنَ أعدائها الطّرْفا

ومِنْ نِسْوَةٍ أَضحَت أيامَى حَوَاسِـــراً   تعاينُ في أعْوانِها الوَهْنَ والضعفا[5]

---

(1) الزرد: اللبن السريع الانحدار. **ينظر: ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 416.

(2) المُفاض: المذاع والمنتشر. **المصدر السابق**، ص: 742.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عيّاض**, ج: 2, ص: 102.

(4) عبّاس, فضل: **إعجاز القرآن**, 1977, ص: 196.

- ينظر: عتيق, عمر: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**, **رسالة ماجستير**, إشراف: خليل عودة, منشورات جامعة النجاح, 2001, ص: 41.

(5) ابن الخطيب, **لسان الدين**: **الديوان**, ج: 1, ص: 678.

(الطويل)

ومن خلال تقديم حرف الجر, رسم لنا ابن الخطيب صورة كاملة ومتكاملة تجسد الحقيقة المأساوية التي حَلَّت بالمسلمين, كتحويل المساجد إلى كنائس, والاعتداء على النساء والفتيات الأحرار..., فالشاعر كما يقال عنه رسَّام ريشته الكلمات, التي تتجانس مع بعضها بصورة متأصلة في الروعة والكمال, ومن الملاحظ لدينا أن الشاعر قد مالَ إلى استخدام الألفاظ بصورتها المتكررة (مسجد, مَعقِل, صبية, نسوة) وهذه الدلالة توحي لنا بالكثرة والشمولية,[1] وخاصة أن دلالة التنكير قد تنصرف إلى محور أساسي تتوزع منه فروع دلالية لمواقف عدة, فمعنى العموم وعدم التحديد تتشعب منه دلالات الإفراد, والتكثير, والتهويل والتفخيم[2] وهذا ما ظهر واضحاً عند شاعرنا ابن الخطيب الذي مالَ إلى التنكير بهدف المبالغة في وصفه لمعاناة الإنسان الذي يفقد وطنه واستقراره ويتحكم بمصيره القدر أو جهة اتخذت من أحقية وجودها تبريراً لسياساتها.

---

[1] السعدني, مصطفى: **البناء اللفظي في لزوميات المعري دراسة تحليلية بلاغية**, دار المعارف: الإسكندرية, ص: 237.

[2] الداية, فايز: **جماليات الأسلوب**, ص: 73.

الإيقاع الخارجي (الموسيقا الخارجية)

الإيقاع: هو توظيف خاص للمادة الصوتية في الكلام, ويظهر من تردد وحدات صوتية في السياق على مسافات متقايسة بالتساوي أو بالتناسب لإحداث الانسجام وعلى مسافات غير متقايسة أحياناً لتجنب الرتابة, ويكون ذلك من خلال الوزن العروضي والقافية.[1]

1. الوزن العروضي:

والوزن هو أول عناصر الإيقاع,[2] وهو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت,[3] حيث تكمن أهمية الوزن في أنه قمة الأداء الموسيقي في الشعر.[4] ومن هنا رأينا كثيراً من الشعراء نظّموا قصائدهم المدحية, والرثائية, والنقدية, والشاكية, والوصفية على أبحر محددة وهي: الطويل, البسيط, والكامل بكثرة وبقلة على غيرها من البحور, وهذا ينطبق على شعراء العربية في المشرق والمغرب على السواء.[5]

فعلى سبيل المثال ابن زمرك, وَرد في شعره ثلاثة أبحر هي: الكامل, والبسيط, والوافر, إذ يصل عدد القصائد والمقطوعات, والأبيات المفردة التي جاءت فيها ستاً وتسعين بالمائة, من مجموع قصائد الديوان.

---

(1) محمد, سعيد محمد: **الشعر في قرطبة**, ص: 523.

- ينظر: تبرماسين, د. عبد الرحمن: **العروض وإيقاع الشعر العربي**, دار الفجر للنشر والتوزيع: القاهرة, 2003, ط: 1, ص: 80.

(2) أبو شمالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, ص: 440.

- ينظر: تبرماسين, د. عبد الرحمن: **العروض وإيقاع الشعر العربي**, ص: 5.

(3) فاخوري, محمود: **موسيقا الشعر العربي**, حلب: منشورات جامعة حلب / كلية الآداب, 1987, ص: 165.

- ينظر: عبد الجواد, إبراهيم عبد الله: **العروض**, دار الشروق للنشر والتوزيع: رام الله, ص: 11.

(4) سليمان, نايف: **الواضح في العروض وموسيقا الشعر**, ط: 1, عمّان: دار الفكر للنشر, 1991, ص: 7.

- ينظر: الحسيني, اسحاق موسى وآخرون: **العروض السهل**, ج: 2, ط: 2, مكتبة الأندلس: القدس, ص: 1.

(5) محمد, سعيد محمد: **الشعر في قرطبة**, ص: 524.

ومن الملاحظ أن معظم الشعراء في هذا العصر, قد جاءت قصائدهم على الأبحر الثلاثة وهـذا مـا نجـده – أيضاً – عنـد المـلك يوسـف الثالث, والرُّنـدي, وابـن الآبار القضـاعي, وابـن خاتمـة الأنصـاري.

وقد لمسنا أيضاً أنهم في عدد من قصائدهم التزموا منهج النقَّاد, بالإضافة إلى استجابتهم لفنهم في عدد من قصائدهم, وعبَّروا عن نفسياتهم, وما يجول داخلهم دون ترتيب مسبق, ويتغير الوزن حسب الحالة النفسية للشاعر, وتحدث زحافات في القصيدة وتتغير حالتها من البطْء إلى السرعة أو العكس, وهذا ما لاحظناه على بعض القصائد منها قصيدة ابن الآبار في استنجاده:

أَدْرِك بخـَيْلكَ خـيلَ اللهِ أندلسـا ... إنَّ السـبيلَ إلى مناجاتها دَرَسـا

يا للجزيرةِ أَضْـحَى أهلُهـا جَزَرَا ... للحادثاتِ وأمْسَى جَدُّها تَعِسَـا

وفي بلنسـيةٍ منهـا وقرطبـةٍ ... ما ينسِفُ النَّفْسَ أو ما ينزِفُ النَّفسَا[1]

(البسيط)

يبدأ الشاعر قصيدته بالصراخ وارتفاع حدة النغمة الصوتية عنده لذلك فقد جاءت تفعيلة البيت الأول (مستفعلُنْ) ولكننا نلاحظ أن الشاعر في البيتين الثاني والثالث قد خفت وطأة النغمة العالية عنده, وبدأ التباطؤ في نغمته لأنه عبرَّ عن حالة مأساوية تحتاج لتأمل وحده, فنلاحظ سرعة الإيقاع, وسبب هذه السرعة هو أن الشاعر بعد أن قام بدوره كمستغيث وطالب للنجدة وجاء ذلك كلمحة البصر مرَّ بسرعة, لأن زمن فعل الأمر قصير جداً, ثم أحسَّ الشاعر بالحزن وخيمت عليه ظاهرة الشعور بالكآبة والحسرة. فجاءت تفعيلة السطر الثالث مبدوءة بـ (مُتَفْعِلُنْ) وهي إحدى صور (مستفعِلُنْ).[2]

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 215.
- ينظر: الشكة, مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**, ص: 524.

[2] عبد الجواد, إبراهيم عبد الله: **العروض**, ص: 80 – 81.

إنَّ استخدامَ الشعراء للبحور الثلاثة (البسيط والكامل والطويل) على وجه الكثرة لم يكن بمحض الصدفة, وخاصة أن لبحور الشعر وأوزانه أثراً في الأداء وفي قوة الأسلوب وموسيقا العبارة, بالإضافة إلى أن عاطفة الشاعر القوية قد تجسدت في نفوس القراء والسامعين بوساطة الأسلوب, لذلك فقد رأى القدماءُ في مذهبهم الأول أن الغضب والسخط ينتج الحماسة والشكوى والهجاء. والحزن ينتج الرثاء والعتاب.[1] ومطلق الانفعال ينتج الوصف العام أو أي فن من الفنون, وبشكل عام, فإن هناكَ أسلوباً قوياً كالحماسة وأسلوباً رقيقاً كالنسيب والعتاب, وأسلوباً وسطاً كالمديح والهجاء, ورابعاً مختلفاً كالوصف.[2]

وإذا انطلقنا من مفهوم الحماسة, نلاحظ أن فن القوة أو فن الأسلوب القوي الشديد, قد يكون مصدر هذه القوة وقوة العاطفة, أو الانفعال النفسي الشديد,[3] وإذا نظرنا في حماسة ابن الخطيب رأينا هذا الفن عنده قد تناول كل مظاهر القوة في الحياة: الحربية, والخلقية والغزلية, وكل نزعة قوة إيجابية تمثل السمو والرفعة, وخاصة فيما يتعلق بوصف المعارك, والحث على الاستنجاد والقتال, والفخر والنصر. يقول ابن الخطيب في إحدى قصائده مفتخِراً بانتصار المسلمين بأحواز شوذر بقيادة يوسف بن الأحمر:

تلافَيْتَ بالعَــزْم البِــــلادَ وأهْلَهَا	وقدْ عَصَفَتْ للكُفر فيها رياحُـــــهُ
وحَفّت به الأعداءُ مـــن كلِّ جانبٍ	كما حَفَّ بالخصْرِ الهضِيم وشاحُهُ
وقدتَ إليها الجيشَ والعَسْكَرَ الذي	تُرَوَّى عَوَاليهِ[4] وتُرْوَى صحَاحُـــــهُ
فدَوَّخْتَ ما ضُمَّتْ عليــــه بلادُهُ	ونَفَّلْتَ ما زُرَّت عليهِ بِطاحُــــــــهُ[5]

(الطويل)

---

[1] الشايب, أحمد: **الأسلوب, دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية**, ص: 79.
[2] **المرجع السابق**, ص: 79.
[3] **المرجع السابق**, ص: 79.
[4] عواليه: عَوْل المستعان به. **ينظر: ابن منظور: لسان العرب**، مادة (عَوَلَ)، ص: 484.
[5] ابن الخطيب, **لسان الدين: الديوان**, ج: 2, ص: 220. البطاح: البَسْط. ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (بَطَحَ)، ص: 412.

تميزت ألفاظه بالقوة والإيجابية, وصوره معبرة عن نفسيته المبتهجة لهذا النصر العظيم, بالإضـــافة إلى مجيء كـــل التفعيلات على نســـج البحــــر الطويـــل الـــذي يتســـع لمواضـــيع الفخر والحماسة.

وهذا الملك يوسف الثالث الذي يستنجد ويطلب العون والمساعدة من المسلمين لإغاثة إخوانهم الأندلسيين, وقد تميز أسلوبه بالجزالة والوضوح وشدة التأثير, وإن اختلفت الكلمات والصُوَر يقول:

دُعاؤكُمُ في اليومِ ينصرُ عبدَهُ	ويجزيهِ بالفِرْدَوْسِ يوم مـــعادِهِ
ويا أمّةَ المحرابِ أخلصــــوا	لســــامعِ نجوى حَيِّهِ وجمَادِهِ
وكونوا لفتحِ المبهماتِ وســيلةً	تدينُ لها حزبُ العدى بانقيادِهِ[1]

(الطويل)

ومـــن الملاحـــظ هنا أن معظم قصـــائد الفخـــر والاســـتنجاد قـــد جاءت على البحـــر الطـــويل, لأنها بحاجـــة إلى صـــبر وعناء وطول نفـــس وهـــذا ما يميـــز البحر الطويل عن غيره من البحور الأخرى.[2]

أما البحر البسيط, فقد تميز بكثرة وروده في غرض الرثاء, والرثاء هو فن التعبير عن حزن الموت,[3] ولغة الحزن في الأصل عاطفة سلبية تحملُ الإنسان على العكوف على النفس والتفكير في شأنها فهو انهزام أمامَ الكوارث, ومدعاةُ إلى العظةِ والاعتبار, لذلك يأتي أسلوبُ المراثي رقيقاً ليناً, والرثاءُ كغيره خاضع للتنوع ولقبولِ معان أخرى متصلةٌ به كوصف الكارثة,

---

(1) كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 49.

(2) مصطفى, محمود: **الفخر عند الشاعر يوسف الثالث**, ص: 117.

– ينظر: أبو السعود سلامة أبو السعود: **الإيقاع في الشعر العربي**, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية, ص: 97.

(3) الشايب, أحمد: **الأسلوب**, ص: 85.

وتفخيم آثارها, وقد يتسع فيشمل فلسفة الموت والحياة, وينتقل الفرد أو الشاعر فيه من رثاء فرد إلى بكاءِ مدينة,[1] كبكاء الرُّندي على سقوط المدن الأندلسية.

دهـــى الجزيـــرة أمرٌ لا عـــــــزاءَ لـــه هوى لـــه أحـــدٌ وانـــهَدَّ ثهلانُ
يا مَـــن لِذلـــةِ قـــومٍ بعـــــــــد عِزِّهِـــم أحالَ حالُهـــم كفـــرٌ وطغـــيانُ
بالأَمْـــــــسِ كانوا ملوكاً في مـــنازِلِهـــمْ واليومَ هُمْ في بلادِ الكُفْرِ عُبدانُ[2]

(البسيط)

جاءت العاطفة عند الشاعر معبرة عن مدى حزنه وأسفه, لذلك وردت ألفاظه رقيقة وليِّنة, وهذا ما اتسمَ به البحر البسيط من رقة وليونة وسهولة وبساطةٍ في التعبير[3] والبحر البسيط يقربُ من الطويل, وإن كانَ لا يتَّسعُ مثلَهُ لاستيعاب المعاني, ولا يلينُ لينهُ للتصرُّف بالتراكيب مع تساوي أجزاء البحرين, ولكنه يفوقه رقة وجمالاً, ولهذا كثر في أشعار العديد من الشعراء في العيد من العصور السابقة.[4]

ومن الأغراض التي تتطلب الليونة والرقة في عباراتها, الاستعطاف وطلب العفو وهذا ما نراه بشكل واضح عند الشريف العقيلي الذي نظمَ رسالةً يطلب فيها العفو لأبي عبد الله من سلطان فارس يقول:

إيه حنانيكَ يا ابن الأَكْرَميـــن على ضَــــيْفٍ أَلَمَّ بفاسٍ غيرَ محتشِـــــمِ
بك استجرنا ونِعْمَ الجارُ أنت لمن جـــــارَ الزَّمانُ عليه جَـــورَ منتقـــمِ[5]

(البسيط)

---

[1] المرجع السابق, ص: 86.

[2] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 243 – 244.

[3] الحنفي, الشيخ جلال: **العروض تهذيبهُ وإعادة تدوينهُ**, ط: 2, بغداد: مطبعة الإرشاد, 1982, ص: 205.

[4] الأسعد, عمر: **علم العروض والقافية**, ط: 4, الأردن: عالم الكتب الحديث, 2004, ص: 41.

[5] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 285.

تكمن رسائل الاستعطاف والعفو دائماً بميلها نحو استخدام أساليب لغوية رقيقة وهادئة, لتوقع الأثر والعطف في نفس المتلقي, بالإضافة إلى إبداء المزيد من اللطف والاحترام, وكانت تلك السمات ملائمة للبحر البسيط الذي اتسع لأغراض أخرى مع الرثاء, كوصف الانتصارات, والمديح, والنقد السياسي.

وإلى جانب البسيط, كثُر استخدام البحر الكامل, وقد شملَ بدوره العديد من الموضوعات الشعرية, كالرثاء, والوصف, والنقد, والمديح, وذلك لميله إلى الرِّقة, والجزالة[1] وقد شاع استخدامه عند العديد من الشعراء في هذا العصر مثل ابن الخطيب, والرُّندي, وابن خاتمة, وابن زمرك, وأبو عمر المرابط الذي وصف المأساة عندما تحوَّلت المساجد في المدن الإسلامية إلى كنائس يقول:

كــم جامــعٍ أُعيــدَ كنيســةً	فاهْــلَكْ عليــه أسىً فــلا تتَجلَّدِ
القِــسُ والناقوسُ فوق منارةٍ	والخَمْرُ والخنزيرُ وَسْطَ المَسْجِدِ[2]

(الكامل)

تَأَثُّرُ الشاعر بانقلاب الأمور والمعالم وتغيُّرها بدا واضحاً, من خلال أسلوبه المباشر الذي عكس مدى ضجره وحسرته وألمه مما حلَّ بالمساجد التي تحوَّلت إلى كنائس. فجاءت كلماته دالةً على معانٍ سلبية مؤلمة كالفجيعة والكارثة والجزع والبكاء, اما الجمل فرقيقة تصور الجزع بالإضافة إلى كونها تميل إلى الجزالة التي تحمل في طيَّاتها الصخب والشدة والخشونة, لأن الإنسان الباكي والحزين لا تحمل نفسيته القدرة على اصطناع الكلمات القوية الصاخبة, وهذا

---

[1] الأسعد, عمر: **علم العروض والقافية**, ص: 41.

- ينظر: أبو السعود: سلامة أبو السعود, **الإيقاع في الشعر العربي**, ص: 97.

[2] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ ابن خلدون**, ج: 1, ص: 194 – 195.

ما جعل أو ساعَدَ على إيجاد التوافق في الآلف بين إيقاع الأبيات ومضمونها. الذي يعتبر سمة من سمات البحر الكامل. وميزته عن غيره من البحور الأخرى.

ومن البحور التي قلَّ استخدامها عندهم هو (البحر الوافر) فلم يتوافر كغيره من البحور الأخرى في العديد من الأغراض, إنما استخدم فقط في الوصف, كوصف الانتصارات والهزائم عند المسلمين. يقول ابن الشُّدَيد في وصف انتصارات (أبي الحجاج):

بأندَلُـــــسٍ لنا أيَّـــــامُ حَرْبٍ   مواقِعُهُنَّ فـــي الدنيًا عِظـــامُ

إذا شَرعوا الأسنَّةَ يوْمَ حَرْبٍ   فحقِّقْ أن ذاك هو الحِمـــــامُ[1]

كـــأنَ رمـــاحَهم فيها نجـــومٌ   إذا ما أَشْـــــبَه الليلَ القَتـــامُ[2]

(الوافر)

فظاهِرةُ الفخر والاعتزاز تتسم بالدقة في ألفاظها، وأحياناً تحمل في أثنائها الصلابة والقوة، وخاصة عندما مالَ الشاعر إلى وصف القتال, فالصورة تعبر عن قتال حاسم, والقتال بحاجة إلى أليـــن البحور يشـــــدَّ إذا شـــــددته ويرق إذا رققته, وأكثر ما يجود بـــه النظم في الفخر والوصف.[3]

خلاصة القول: نلاحظ تنوع البحور الشعرية عند شعراء بني الأحمر بتنوع موضوعاتهم واختلافها بالإضافة إلى كون الشاعر الأندلسي قد عايش معظم الظروف السياسية الصعبة التي تعرضت لها المدن الأندلسية, ولكن بالرغم من هذا فقد انحصرت البحور عندهم كونها أربعة بحور أساسية عكست رغبات الشعراء وميولهم, وكانت مساندة لهم ومساعدة على إبراز الخصائص التي تميز بها شعرهم في تلك المرحلة.

---

[1] الحِمامُ: قضاءُ الموت وقدره. **ينظر: ابن منظور: لسان العرب**، مادة (حَمَمَ)، ص: 151.

[2] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**, ج: 8, ص: 373.

- القّتامُ: وردت أيضاً الغَمامُ.

[3] الشايب, أحمد: **الأسلوب**, ص: 82.

2. القافية:

فالقافية هي عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة, وتكرارها هذا يكوِّن جزءاً هاماً من الموسيقا الشعرية, فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع ترددها, ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة،[1] وقد جاءت عند الاخفش بأنها آخر كلمةٍ في البيت.[2]

ولما كانت قيمة القافية في الموسيقا التي تنبعث فيها, على اعتبار أنها رابط موسيقي بين أبيات القصيدة, أو إشارة صوتية على انتهاء البيت, فينبغي تسخير التباين في تعريف القافية للكشف عن الإيقاع أو المستوى الموسيقي لها.[3]

ومن أكثر حروف القافية شهرةً, وتعتمد عليه القافية بشكل أساسي هو حرف الروي. وهــو الجمــع والاتصال والضـُـم, ومــن ذلك الرواء وهــو الحبل يَشــدُّ به المتاع والأحمال. فالروي: هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه.[4] يقال مثلاً لامية العرب, وسينية شوقي لأن حرف الروي في قصائدهم هو (اللام, والسين).[5] وللروي دورٌ بارز في إضفاء النغم على القصيدة, فلا بد من وجود ذلك الانسجام بين المضمون الذي يتضمنه النص من كلمات وصور وحرف الروي, لما له من أثر على أذن السامع.

وقد جاء حرف الروي ملائماً للعديد من الأغراض الشعرية التي واكبت ذلك العصر, وإذا كان لكل بحر صفات تلائم غرضاً من الأغراض, فكذلك حرف الروي, فنلاحظ مثلاً أن

---

(1) أبو شمالة، فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**، ص: 453.
- ينظر: حقي, عدنان: **المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر**, دار الرشيد, ط: 2, 2000, ص: 147.

(2) الصابوني, محمد ضيياء الدين: **الموجز في البلاغة العربية والعروض**, ط: 1, بيروت, 1988, ص: 48.
- **ينظر: أبو عمشة, عادل: العروض والقافية**, مكتبة خالد بن الوليد: نابلس, ط: 1, 1986, ص: 174.

(3) عتيق, عمر: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**, ص: 316.

(4) تبرماسين, د. عبد الرحمن: **العروض وإيقاع الشعر العربي**, ص: 37.

(5) أنيس, إبراهيم: **موسيقا الشعر**, ص: 247.

الروي في قصيدة ابن زمرك التي مدَحَ بها السلطان الغني بالله, جاء مناسباً لغرض الذي قيل فيه فقد قال:

كمْ تعرِف التَّركيبَ سـيفُكَ في الوغى فاعْجَبْ له قدْ أحكَمَ التحـليلا
كم صورةٍ لكَ في الفتوحِ وسَـــورَةٍ تُجْلَى وتُتْلى بكرةً وأَصِــيلا
وكأنَّ صَفَحَ البَرْقِ ســـيفَكَ ظلَّ من غِمْدِ الغمامةِ مُرْهفاً مسـلولاً[1]

(الكامل)

من خلال الأبيات السابقة نلاحظ أن ابن زمرك مالَ إلى استخدام حرف (اللام) روياً للقافية, وقد سُبِق صوت اللام, بحرف الواو والياء ومن المعروف أن صوت اللام من الأصوات المجهورة التي تميل إلى الوضوح السمعي,[2] وكذلك صوتي (الواو والياء) صوتين مجهورين, ولكن التباعد في مخارج تلك الأصوات عمل على إحداث ذلك التماثل الذي يؤدي إلى الانسجام الإيقاعي والموسيقي بين الحروف والأصوات وخاصة صوتي (اللام والواو) حيث يعتبر الأول صوتاً غارياً والثاني صوتاً شفوياً,[3] وهذه السمة لتلك الحروف جاءت ملائمة. وخاصة أن بُعد المسافة في القناة الصوتية بين صوت الروي والصوت المجاور من شأنه أن يضاعف الوضوح السمعي, ويسهل النطق للوحدات الموسيقية في كلمات القوافي, لأنه كلما تباعَدَ الحرفان المتجاوران في المخرج أو الصفة, سَهلَ النطق, وتلاءمت الحروف.[4]

وفي قصيدة أخرى يقول أبو عمر بن المرابط في رسالته إلى السلطان المغربي:

أفلا تراعــون الأذِمَّـةَ بيننا مِــنْ حُــرْمَةٍ ومحبةٍ وتودُّدِ

---

(1) المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض**, ج: 2, ص: 101.
(2) النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, ص: 164.
(3) **المرجع السابق**, ص: 165.
(4) أنيس, إبراهيم: **موسيقا الشعر**. ص: 28.

أكذا يعيثُ الرُّوم في إخوانكم وســـــيوفِكُم للثارِ لـــم تَتقلَّـــــد[1]

(الكامل)

نلحظ من خلال رسالة التقريع التي أرسلها أبو عمر بن المرابط إلى سلطان المغرب, ظهور سمات الموسيقا الشعرية الصاخبة التي مالَ إلى استخدامها لأن التقريع يعتبر نوعاً من التعذيب أو نوعاً من الضرب المعنوي, وله أثر مؤلم, ولتحقيق ما سعى إليه جاءت القافية عنده مختومة بصوت مجهور يتمتع بشدة الوضوح السمعي ومجاوراً له وصوتاً أخر مجهور, وهذا للتأكيد على نبرة الصوت الحادة التي أرادَ الشاعر أن يوصلها إلى السلطان لتقاعسهم عن حماية أخوانهم ونصرتهم على عدوهم, بالإضافة إلى الانسجام الذي أحدثه الشاعر في أبياته التي قامت على التماثل الصوتي واللغوي والدلالي, فقد عزز الشاعر من نبرة التقريع عنده وذلك باستخدامه أسلوب الاستفهام في بداية أبياته.

ومما اختلف في قافيته, وأُخِذَ ذلك الطابع الخاص, بعض القصائد التي تناولت الرثاء وخاصة رثاء المدن التي سقطت بيد النصارى ومنها قصيدة ابن الآبار الذي رثى بلنسية ووصف ما حلَّ بمقدساتها يقول:

يا للمســــــاجدِ عادَتْ للعِدا بيعاً وللنداءِ غدا أثناءهـــا جَرسَــــــا

لهفي عليها إلى استرجاعِ فائتِها مَدراساً للمثاني أَصْبَحت دُرُسا[2]

(البسيط)

فالحزنُ بدا واضِحاً في نفس الشاعر، فهو قد فقد الأَمل في عَوْدَةِ الديار، وظهر هذا من خلال التباين في المشاعر ومن هنا ظهرت الثنائية في قافية الأبيات, فمن الملاحظ أن حرف الروي هو صوت (السين) والسين صوت مهموس يمتاز بخاصية شديدة الوقع على أذن السامع وهي الخاصية الصفيرية التي تتلاءم مع الطبيعة الغاضبة وعليه فإن "لكل عمل أدبي هو قبل كل

---

[1] ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ بن خلدون**, ج: 7, ص: 198 – 200.

[2] المقري: أحمد بن محمد, **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 216.

شيء سلسلة من الأصوات ينبعث عليها المعنى"[1], وبالمقابل جاء الصوت مجهوراً وهو صوت (الراء) والراء صوت مجهور بالإضافة إلى كونه صوتاً مكرراً يعمل على إيضاح المعنى ويزيد الوضوح السمعي, وتعمل هذه الثنائية التي جمع بها الشاعر بين الصوت المجهور والمهموس على زيادة الإيقاع المتميز, وزيادة الكمال الموسيقي في القافية,[2] وقد لاحظ علماء الأصوات المحدثون أن كل الأصوات ذات وضوح سمعي عالٍ, تكاد تشبه أصوات اللين في هذه الصفة, مما جعلهم يسمونها أشباه أصوات اللين, ولهذا نتفهم قلة ورود الأصوات المهموسة قبل الروي المهموس, كما هو الحال في مجاورة صوت الفاء المهموس لصوت القاف المهموس,[3] ولكننا في كثير من المقطوعات وجدنا مجاورة صوت مجهور لحرف روي مجهور وهذا من شأنه زيادة التأكيد على الوضوح السمعي وايصال الإيقاع بشكله المتوازن لأذن المتلقي.

ولا ينبغي أن يفهم مما تقدم تسلط إيقاع معين على القصيدة الواحدة, فقلّما نعثر على قصيدة ذات إيقاع ثابت لقافيتها, ولا يخفى أن التنوع الإيقاعي للقافية في القصيدة الواحِدة يُعد ثراء موسيقياً, أما الإيقاع الواحد فيُعد رتيبا يؤدي إلى ملل المتلقي.

---

(1) عتيق, عمر: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**, ص: 370.

(2) **المرجع السابق**, ص: 319.

(3) **المرجع السابق**, ص: 324.

الموسيقا الداخلية

1. الطِّباق:

وهو الجَمْعُ بين متضادَّين, وقد يكون هذان المتضادان اسمين أو فعلين أو حرفين.[1]

لم يلجأ إلى التضاد لأجل إبراز قدرته على صنع البلاغة اللفظية والزينة أو مجاراة بعض الشعراء, بل وظَّفَ ذلك التضاد ليصور التناقض السياسي واضطراب العلاقات السياسية, وكثرة الدسائس والمؤامرات, وهو ما انعكس على موسيقا النص[2] ويُعَد الطباق من الوسائل الفنية الخصبة التي يعتمد عليها من أجل إقامة علاقات جيدة بين مفردات اللغة, أو التعريف بالعديد من المعاني والألفاظ كما يقال (بأضدادها تَعرَف الأشياء) فيعكس صورة جميلة ومتألقة للشيء دون ذكره.[3]

ومن الشعراء مَن تضمنت قصائدهم العديد من المتناقضات لإبراز المعنى الذي يريده والهدف الذي يسعى إليه ومنهم الشريف العقيلي في رسالته التي بعثها إلى سلطان المغرب يقول:

مولـــــى ملوك العُـــربِ والعَجَمِ   رَعْياً لما مِثْلُهُ يُرْعى مِنَ الذِّمَـــــمِ

وَعَدِّ عَمَّا مضى إذ لا ارتجـــاعَ لَه   وَعُدَّ أَحرارَنا فِي جُمْلَةِ الخَـــــدَمِ

والسيفُ يَخْضُب بالمُحَمَّر من عَلَقٍ   ما أبيضَ مِنْ سُبُلٍ وأسوَّدَ من لِمَمِ

تالله ما أضْمَرَتْ غُشَّـــــاً ضمائِرُنا   ولا طَوَتْ صِحَّة منها على سَــقَمِ[4]

(البسيط)

---

[1] الأسمر, راجي: **علوم البلاغة**, ص: 91.

- ينظر: أبو علي, محمد وآخرون: **علم البلاغة**, ط: 1, عمّان, منشورات جامعة القدس المفتوحة, 1997, ص: 351.
- ينظر: المطعني, عبد العظيم: **البديع في المعنى والألفاظ**, مكتبة وهيبة: القاهرة, ط: 1, 2002, ص: 51.
- ينظر:ابن معطي, يحيى: **البديع في علم البديع**, ت: محمد أبو شوارب, ط: 1, الإسكندرية, 2003, ص: 222.

[2] محمد, سعيد محمد: ال**شعر في قرطبة, المجمع الثقافي**, أبو ظبي, 2003, ص: 550.

[3] **المرجع السابق**, ص: 549 – 550.

[4] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 283 – 289.

لقد لَعِبَ الطباقُ دوراً بارزاً في إيقاع قصيدة العقيلي وذلك من خلال تردده من أول القصيدة وتخلله في مضمونها, ولعلَّ حالة الشاعر النفسية القلقة كانت وراء هذا التكرار في أضداد الكلمات, على سبيل المثال الشاعر أراد استعطاف السلطان بأن وصفه بالملوكية للعرب وغير العرب, بالإضافة إلى قيامه بإثارة عطفه عندما خاطبه عن الأحرار الذين يتواجدون بين الخَدم, وهو بالتالي يُصرِّح له عن نيته السليمة من خلال مقابلته بين الصحة والسقم.

لا بد من تحقيق هدف أو غاية من وراء الجمع بين الضدِّين في إطارٍ واحد, وقد يتحقق هذا الهدف عندما يظهر الجمال والترابط في النص.[1]

وقد تنافس الشعراء كثيراً في هذا العصر لإظهار براعتهم في تصوير الأشياء من خلال أضدادها, وهذا ما نراه بصورة واضحة عند ابن الخطيب الذي يتميز ببراعته الواضحة وتميزه في انتقاء ألفاظه وتعابيره فيقول في مدح الغني بالله عندما استجار به:

فمَنْ اســـــتجار عُلاكَ عزَّ جوارُهُ   وعزيزُ قومٍ, لم يُطِعْكَ, ذَليـــــلُ[2]

(الكامل)

من خلال مدحه للغني يظهر لنا ابن الخطيب المكانة المرموقة العظيمة التي يتحلَّى بها السلطان, لذلك فإن الطاعة له واجبة, ومن يخرج عن تقديمها والتحلي بها يصبح من الأذلاء حتى لو كان من أكثر الناس عزة وكرامة في قومه. فالصورة في البيت السابق جاءت كاملة متكاملة, اســتخدم الشــاعر الكلمة وضــدها (عزيز وذليل) لإبراز الهــدف العام الذي ســعى إليه وهو المدح.

---

(1) فيُّود, بســـــيوني: علم **البديع دراســة تاريخية وفنيَّة لأصول البلاغة ومسائل البديع**, مؤسسة المختار للطباعة والنشر: القاهرة, ط:2, 1998,ص:136.

(2) ابن الخطيب, **لسـان الدين: الديوان**, ج: 2, ص: 487.

- ينظر (الطباق في رثاء المـــدن): المقري, أحمد بـن محمـد: **نفـح الطيب**, ج: 6, ص: 243 – 244.
- ينظر (الطباق في رثاء المدن): **المصدر السابق**, ص: 236.

ومن الشعراء من استعانَ بالطباق لإظهار مدحه لبني نصر, فهم حماة الديار يمتازون بنسبهم الرفيع, وقوتهم التي تتحطم أمامها قسوة الأعداء وجبروتهم فيصفهم يوسف الثالث:

لمن رايةٌ حمراءُ ترتاحُ بالنصرِ تطيفُ حَوالَيْها حماةُ بني نَصْرِ

إلى جَبَلِ بالفَتْحِ يَصْـــدُقُ فالُهُ فَبْعدَ تولي العُسْرِ لا بُدَّ من يُسْرِ [1]

(الطويل)

فبنو نصر هم حاملو لواء النصر, وهم حماة الدين, ويُعتَمَد عليهم في تحقيق الانتصارات وتحويل أوضاع المسلمين من العسر إلى اليسر دائماً, والقدرة عن التحكم بالأمور التي لا يمكن حصولها أو التحكم بها إلا من قِبلِ بني نصر.

إنّ تنافس الشعراء في هذا المجال جعل العديد من الأغراض الشعرية السياسية التي سادت في ذلك العصر تتضمن هذا الأسلوب اللغوي المتميز, مما أضاف براعة أخرى تميزت بها القصائد في تلك الفترة, وعبرت عن النفسية المضطربة القلقة التي عانى منها العديد من شعراء عصر بني الأحمر.

---

[1] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, 1965, ص: 65.

- ينظر (**الطباق في وصف الهزائم**): ابن الخطيب, لسان الدين: الديوان, ج: 2, ص: 278.
- ينظر (**الطباق في وصف الهزائم**): المصدر السابق, ص: 390.

2. الجناس:

من فنون البديع اللفظية, ويأتي بمعنى التجنيس أي أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام, ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها.[1] وعلى هذا فالجناس هو: تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى, هذان اللفظان المتشابهان نطقاً المختلفان معنى يسميان (ركني الجناس).

احتلَّ الجناسُ مرتبة مميزة عند شعراء هذا العصر, لأنه كان من المسعفين لهم على انتقاء ألفاظهم ومعانيهم التي تكشف عن مدى توافقهم وانسجامهم مع الظروف السياسية التي كانت محيطة بهم لأن الشاعر في تلك الظروف وفي حالة القلق والخوف التي سيطرت عليه كان لابد وأن يعتمد على ثروته اللغوية في سبيل الوصول إلى الهدف أو الغرض الذي سعى إليه من مدح أو رثاء أو فخر أو غيره من الأغراض الأخرى بالإضافة إلى التنافس الشديد بين شعراء بني الأحمر لإظهار كل منهم شاعريته أمام السلطان, وما جاء في باب الجناس قول ابن الآبار القضاعي:

مِن ساطِع النورِ صاغَ اللهُ جوهَرَهُ   وصانَ صَيْقَلَهُ أنْ يَقْرُبَ الدَّنسا

فظلَّ يُوطِنُ مِن أرْجائها حرماً   وباتَ يوقِدُ من أَضوائِها قبَساً[2]

(البسيط)

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أن الشاعر قد جانس جناساً ناقصاً في الألفاظ (الدَّنسا, قبسا) لتعبر عن الهدف الذي سعى إليه من خلال الاستنجاد ومدح أبي زكريا الحفصي, فالدنس مما تعافه النفس وتكرهه ولا تحتمل مجاراته ولا سبيل إلى الخلاص منه إلا قبس النور

---

[1] القزويني الخطيب, جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: **التلخيص في علوم البلاغة**, ص: 388 – 390.
- ينظر: فيّود, بسيوني: **علم البديع**, ص: 278.
- ينظر: عتيق, عبد العزيز: **علم البديع**, ص: 195.
- ينظر: أبو علي, محمد وآخرون: **علم البلاغة**, ص: 351.

[2] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 217 – 218.

والحق الذي رفع لواءه السلطان الحفصي, بالإضافة إلى ذلك يعتبر انتقاء الشاعر لألفاظه ودلالاتها حتى الأساليب اللغوية التي يميل إلى استخدامها من أهم الوسائل التي توصل الرسالة إلى المتلقي بإيقاعها الموسيقي المميز, لذلك لجأ العديد من الشعراء إلى صياغة وإدراج الألفاظ بطـــريقة مختلفة عــن كونها عادية ما يكــسو الكـــلام حلة التزييــن ويرتقـــي وبـــه إلى أعلى درجات التحسين.[1]

ومع تواجد التآلف والترابط بين الألفاظ والعاني, تمكَّن الشاعر من التعبير عن إحساسه ومشاعره, دون عائق أو اضطراب.[2]

يقول ابن جُزَيَّ في مَدْح الأمير الغرناطي أبا الحجاج يوسف بن الأحمر:

إنَّ المعالي والعـــــوالي والنّدى	والبأسَ طوعُ يَدَيْ أبي الحجَّاج
هو منقِذُ العاني, ومغني المُعْتفي	ومُذَلِّلُ العاتي وغَــوث اللاجي[3]

(الكامل)

ظهر الجناس غير التام[4] عند هذا الشاعر بصورة واضحة بكلماته (المعالي والعوالي, والعاني والعاتي), فقد جمعت ألفاظه بين حسن الترتيب ودقة التعبير, مما أكسبها صفة بلاغية وجمالية كبيرة ولكن من المميز لدينا أن الشاعر قد طوَّع اللغة لخدمته, بأن أبدى إلينا العديد من الألفاظ المنتقاة مثل المعالي والعوالي (الرِّماح), والبأس وجعلها بيد الحجاج الذي أنقذ العاني (الأسير) وسد حاجة المعتفي (طالب المعروف), وخفف من وطأة العاتي (المتكبر والمتجاوز لحده) وأغاث المحتاج. لقد جاءت الكلمات وكأنها برْدٌ أُحكِمَت صناعته وصياغته, وأظهر

---

(1) الداية, فايز: **جماليات الأسلوب**, ص: 26.

(2) مصطفى, محمود: **الفخر عند الشاعر يوسف الثالث**, ص: 78.

(3) المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عيّاض**, ج: 3, ص: 191.

(4) الجناس الناقص هو: ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور (**أنواع الحروف, أعدادها, هيئتها, ترتيبها**).

- ينظر: عتيق, عبد العزيز: **علم البديع**, دار النهضة العربية: بيروت, 1985, ص: 205.
- ينظر: الجناس في مدح سلطان غرناطة يوسف الثالث: الداية, محمد رضوان: **المختار من الشعر الأندلسي**, ص: 219.

الشاعر براعة فائقة من خلال الربط والدمج بين تلك السمات والصفات. سواء من خلال الطابع الموسيقي أو الدلالي الذي جمع بينهما.

ونلاحظ أنّ العديد من شعراء المدح السياسي – وخاصة مدح أمراء وسلاطين بني الأحمر – قد لجأوا إلى استخدام الجناس كثيراً في قصائدهم, وخاصة أنها كانت موجهة إلى أمراء يحتلون مكانة مرموقة, لذلك استخدموا تراكيب ذات دلالة خاصة تتسم بحسن دقتها وجودة صياغتها, وقد اتسم جناسهم ببعده عن التكلف, فالمعنى كان يتطلب ذلك كما كان الأسلوب والمقام كذلك, وهذا كله من شروط الجناس البليغ الذي تميزت به مقطوعاتهم.[1]

---

[1] شرف, د. عبد العزيز: **نحو بلاغة جديدة**, مكتبة غريب: القاهرة, 1980, ص: 161.

3. إيقاع الحروف:

تنوعت المواضيع والأغراض الشعرية التي تناولها شعراء هذا العصر, ومع تنوع الأغراض تنوعت السمات والتراكيب التي شملتها, وبعد عرضنا للعديد من النماذج الشعرية بموضوعاتها المختلفة نلاحظ أن الشعراء قد تفاوتوا في استخدامهم للحروف, فالحرف هو اللبنة الأساسية في الكلمة, والكلمات تحمل الطابع الدلالي الذي يدور حوله النص. وقد تتفاوت القيمة الموسيقية لتردد الحرف في البيت الواحد, أو في أبيات عدَّة, ويعود التفاوت الموسيقي لتردده إلى الآلية النطقية التي تنتجه. فتكرر القاف غير تكرر السين مثلاً, وذلك لأن تكرر حرف من الحروف قد يكون مقبولاً سهل النطق به لا يحتاج إلى جهد عضلي كبير, ومناسب للموضوع, في حين أن تكرر حرف آخر يكون مجهداً يشق على اللسان, ينبو على الآذان.[1]

وإيقاع الحرف لا يطفو على سطح النص مكتفياً بإحداث رنة موسيقية, بل يتغلغل إلى أعماق النص فيمتزج بالمعنى, ولا تبرز العلاقة الحميمة بين الصوت (الحرف) والمعنى إلا بعد إزالة قشور الدلالة.

وما حملته مواضيع الشعر السياسي كانت بحاجة إلى أصوات توصل ما أراده الشاعر إلى المتلقي وخاصة في مواضيع الاستنجاد والحث على الجهاد, فقد تميزت إيقاعات تلك الأصوات بالموسيقا الصاخبة المدوية, التي تعبر عن مكنون الغضب الذي يكنه الشاعر بداخله لذلك فقد كثرت الأصوات الانفجارية الشديدة التي تفي وتعبر عن ذلك الغرض, وهذا ما نراه بشكل واضح عند الرُّندي عندما استغاث بالمسلمين لنصرة أخوانهم:

يا راكبين عِتاقُ الخيلِ ضـــــامرة	كأنها في مجال السَّــبْقِ عِقْبانُ
وحامِلين سُــيوفَ الهندِ مرهفــةً	كأنَّها في ظَــلامِ النَّقعِ نِيــرانُ
أَعندكُــمُ نبأٌ مــن أَهــلِ أندلــسٍ	فقد سَرى بحديثِ القومِ رُكْبانُ

---
[1] عتيق, عمر: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**, ص: 369.

كم يستغيثُ بنا المستضعفونَ وهم أَسْرى وقَتْلى فَلا يهتزُّ إنْســـانُ[1]

(البسيط)

جاءت تلك الأبيات بغرض الاستغاثة أي طلب النجدة, وهذا الغرض بحاجة إلى نبرة صوت عالية وقوية, وبالتالي إيقاع مرتفع وهذا ما نراه بشكل واضح عند الرُّندي من خلال كثرة استخدامه لأصوات (الهمزة, التاء, الباء) وجميعها أصوات انفجارية,[2] لها تلك السمة الغالبة في الوضوح السمعي عند المتلقي, وخاصة صوت (الباء) لأنه صوت مجهور, بالإضافة إلى استخدام أسلوب النداء الذي عمل على زيادة حدة الاستغاثة عنده, وما يميز هذه الأبيات أيضاً أن الشاعر قد دمج بين الأصوات الانفجارية والأصوات الصفيرية مثل (السين, الزاي), جعل بينهما ذلك التداخل الذي يفي بالهدف المنشود ويحقق المستوى الإيقاعي المميز, بإظهار السمة العالية المسموعة لتدوي في جميع الأنحاء.

وعلى نمطه نسجَ ابن الخطيب بردة أصواته وكلامه يقول:

أإخواننا لا تنسوا الفَضْلَ والعَطْفَا فقـــد كـــادَ نورُ اللهِ بالكفـــرِ أنْ يطفا

فَهَل ناصِرٌ مَســـتبصِرٌ في يقينهِ يُجيرُ مَنْ اســــتعْدى ويَكفي مَنْ استكفى

ومُســـــتنجزٌ فينا مِنَ الله وَعدَهُ فلا نُكْـــثَ في وَعْـــدِ الإلهِ ولا خُلْفَا

وكيف يَعيثُ الكُفْــرُ فينا ودونَنَا قبائِلُ مِنْكُمْ تُعجزُ الحَصْـــــرَ والوَصَفَا[3]

(الطويل)

بدأ ابن الخطيب استغاثته بالنداء الذي جاء مصاحباً لتأثيرات أخرى تدخلَّت في مضمون النص, وأثرت في الموسيقا العامة التي تميزت بها الأصوات, لقد وجدنا شاعرنا قد مالَ إلى

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 6, ص: 244.

- ينظر: ضيف, شوقي: **تاريخ الأدب العربي**, ص: 390.

[2] النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, ط: 1, نابلس: مطبعة النصر التجارية, 1991, ص: 390.

- ينظر: النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, ط: 1, الأردن: منشورات جامعة القدس المفتوحة, 1996, ص: 146.

[3] ابن الخطيب, **لسان الدين**: **الديوان**, ج: 2, ص: 678.

استضافة الأصوات الصفيرية[1] في أبياته وهي (السين, والصاد, والزاي) وهذه الأصوات لها ذلك الوقع والتأثير البالغ على أذن السامع بوضوحها السمعي, بالإضافة إلى ميله لاستخدام الأصوات المفخمة كأصوات (الضاد, الطاء, الصاد) وهذه من سماتها التفخيم,[2] والصوت المفخم يتطلب بذل الكثير من الجهد للنطق به, ولم يكن ذلك بالشيء اليسير إنما الهدف الذي سعى إليه الشاعر جعله يتكلف في ذلك الكثير, ومع اتحاد الأصوات الصفيرية بالأصوات المفخمة جعل التركيب يتسم بالدقة والبراعة, وخاصة أنَّ المماثلة بين الأصوات والحروف لها أثر بالغ في جمالية النص,[3] وما يميز هذه المماثلة هو تقارب وتماثلها الأصوات جميعها في مخارجها وصفاتها, وهذا ما نراه بشكل واضح عند ابن الخطيب. بالإضافة إلى كلمات الشعر يجب أن تكون منتقاة, غير مبتذلة, تدل بجرسها وبمعناها على ما تصور من ألوان أو نزعات إنسانية ترد بدلالات مختلفة.[4]

وإذا نظرنا للإيقاع الموسيقي لرثاء المدن, نلاحظ قمة الاتزان والهدوء التي تميزت بها موسيقا ذلك الشعر, فالشاعر يرثي, يعبر عن أحزانه بحسرته وجزعه لما حدث للمدن الإسلامية, فجاءت الموسيقا الشعرية لهذا الغرض منسجمة مع الطابع الخاص لدى الشاعر, وهذا ما يبدو واضحاً عند شاعرنا جعفر بن خاتمة في رثائه مدينة رندة حيث قال:

أحقـــاً خبـــا مِـــن جوِّ رندةَ نورُها	وقد كُسِفَت بعد الشموس بدورُها
وقـــد أَظْلَمَـــت أرجاؤها وتزلزَلَتْ	منازههـــا ذات العلا وقصورُها
تسَـــلَّمها حِـــزْبُ الصــــليبِ وقادَها	وكانت شَـــــروداً لا يُقادُ نُفورُها
و (مالقــةُ) الحســـناءُ ثكلَى أســـيفةٌ	قد استُفرِغَتْ ذَبْحاً وقتلاً حُجُورُها

---

[1] النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, ط: 1, ص: 147.

[2] **المرجع السابق**, ص: 153.

- ينظر: محمد, محمود زين العابدين: **الأصوات العربية**, ص: 85.

[3] عتيق, عمر: **دراسة أسلوبية في شعر الأخطل**, ص: 369.

[4] الشايب, أحمد: **دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية**, ط: 12, مكتبة النهضة المصرية: القاهرة, 2003, ص: 670.

و (بسطةُ) ذاتُ البسطِ ما شعرت بما   دهاها وأنَّى يَســتقيمُ شُـــعورُها[1]

(الطويل)

ارتسمت صورة المأساة التي حلَّت بمدن الأندلس بطريقة وصورة موحية لنا حَجْمَ الكارثة التي لحقت بتلك المدن, من خلال الرسم الموسيقي والإيقاع المتوازن لحروف النص, فقد استخدم الشاعر الأصوات ذات الإيقاع الهادئ ومنها صوت (الراء) وصوت (الهاء) بشكل ملحوظ, وهي مناسبة لغرض كالرثاء فكلا الصوتين من الصوامت, بالرغم من كون الأول مجهوراً ومكرراً[2] والثاني مهموساً[3], ولكن التآلف الذي ظهر بين المجموعات الصوتية, أدى إلى حشد من الحروف تجتاح القصيدة, فالحرف داخل الجملة يهيئ السبيل إلى حرف آخر يماثله نغماً أو رسماً.[4]

ونخلص إلى القول: إن الشعراء قد لجأوا إلى التنوع في إيقاع مقطوعاتهم الشعرية التي تميزت بشكلها الدقيق النادر, وقاموا بنسخ تركيبها وفق معاييرهم وأهدافهم ولذلك فقد تميزت أشعارهم بموسيقا صاخبة تنسجم مع موضوعاتها وأخرى هادئة تفصح عن مكنون قائلها وتعكس روحه المتكسرة التي لم تجد لها سبيلاً للدفاع أو لرفض واقعٍ فُرِض عليها سوى التعبير بالكلمة.

---

(1) خفاجة: محمد عبد المنعم, **قصة الأدب في الأندلس**, ص: 132 – 138.

(2) النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, ط: 1, ص: 161.

(3) ينظر: محمد, محمود زين العابدين: **الأصوات العربية بين اللغويين والقرَّاء**, مكتبة دار الفجر الإسلامية: المدينة المنورة, 1998, ص: 89.

- ينظر: **المرجع السابق**, ص: 95.
- ينظر: أيوب, عبد الرحمن: **أصوات اللغة**, ط: 1, دار التأليف: القاهرة, ص: 183.

(4) الصائغ, عبد الإله: **الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنيّة**, ط: 1, بيروت: المركز الثقافي العربي, 1999, ص: 170.

4. ائتلاف اللفظ مع المعنى:

وهو أن تكون الألفاظ موافقة للمعاني, بحيث تختار الألفاظ القوية للحماسة, والرقيقة الناعمة للغزل والمديح.[1]

وهذا النوع من البديع وثيق الصلة بموسيقا الألفاظ, فهو ليس في الحقيقة إلا تفنناً في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون لها نغم وموسيقا, وحتى يسترعي الآذان بألفاظها كما يسترعي القلوب والعقولَ بمعانيه, فهو مهارة في نظم الكلمات التي تستوحي دلالتها من النص أو المعنى العام الذي قصده الشاعر, ومهما اختلفت أصنافه وتعددت طرقه يجمعها جميعاً أمر واحد: وهو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع.[2]

وكثيراً ما نسمع عن عبارات وكلمات توحي بطابعها العام قبل التعرف إلى جوهرها ومناسبتها وهذا ما كثر استخدامه عند شعراء عصر بني الأحمر, فقد جاءت معظم ألفاظهم موافقة للمعنى الذي وردت فيه, وهذا ما ظهر واضحاً في غرض الاستنجاد والحث على الجهاد, ومما يدلل على ذلك قول الشاعر الملك يوسف الثالث مستنجداً ببني مرين في المغرب:

أوطانُكُم أخوانُكُم وبـــــلادُكم   عودوا وعهدَكـــــــم القديمَ فجددوا

أبني حُسين أَنتُم العربُ الأُلى   كَرُمَتْ أوائِلُكـــــم وطـــابَ المحْتِدُ

قوموا إلى نصرِ السَّعيد حمايةً   فالدِّينُ إن لـــــم تّجْمَعــــوهُ يُبَدَّدُ

وتمكنوا في فاس من عُثمانِها   واستبصِروا بسنى الحقيقةِ واهتدوا[3]

(الكامل)

---

[1] الأسمر, راجي: **علوم البلاغة**, ص: (194).
- ينظر: ناصيف إميل: **أروع ما قيل في علوم البلاغة**, دار الجيل: بيروت, ط: 1, 2004, ص: 5.

[2] أنيس, إبراهيم: **موسيقا الشعر**, ط: 4, مصر: مكتبة الأنجلو, 1972, ص: 45.
- ينظر: الهاشمي, أُسيد أحمد: **موجز البلاغة في المعاني والبيان والبديع**, ص: 412.

[3] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 51.

نلاحظ أن الشاعر قد استخدم الألفاظ المعبرة والقوية والصاخبة والموحية في الحث على الجهاد والاستعداد من خلال (عودوا, جددوا, قوموا, تكمنوا, استبصروا, اهتدوا) جميعها أفعال تحث على تلبية الدعوة والإقبال, لأنها جميعها أفعال أمر, اتصلت بالمخاطب وهو الضمير, فالشاعر قد وفق في انتقاء ألفاظه المناسبة والملائمة للهدف الذي سعى إليه.

بالمقابل نجد الشعراء يلجأون إلى استخدام ألفاظ عذبة رقيقة, كقصيدة أبي البقاء الرّندي عندما وصف الفتاة الجميلة التي تعرضت للاعتداء الوحشي عندما انتهك النصارى حقها باحتلال وطنها وسلبها حريتها يقول في قصيدته التي رثى بها المدن الأندلسية:

وطَفْلَةٍ مثل حســن الشمسِ إذ طلعت　　　كأنــما هي ياقوتٌ ومرجانُ

يقــودُهــا العِلْجُ للمكــروهِ مكرَهَــةً　　　والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ[1]

(البسيط)

استخدم الرُّندي أجمل الأصوات وأرق الكلمات المعبرة عن تلك الفتاة الجميلة, إذ رسم لنا صورة مشرقة توحي بجمال الفتيات الأندلسيات اللواتي تعرَّضن للانتهاك والاغتصاب من قبل النصارى وللتعبير عن المعنى الدافئ استخدم (طفلة, والشمس والياقوت والمرجان) وجميعها كلمات تحمل في كيانها سمة جمالية عكست أرجاؤها على النص, وبالمقابل للتعبير عن الصورة الوحشية التي عكست وأخفت الصورة الجمالية الأولى, استخدم الشاعر ألفاظاً جزله صارخة قوية, شديدة الوقع على أذن السامع كألفاظ (العلج, والمكروه, وباكيه...) لكنها تميزت بعنصر الإثارة والتشويق, فالقارئ انسجمَ خياله مع سمات وأوصاف الفتاة انتقل به الشاعر إلى صورة مغايرة بألفاظ مغايرة تعبر عن واقعٍ عاشته الفتيات الأندلسيات إبان النكبة.

يهنئ ابن زمرك السلطان المغربي بالفتح ويقول:

قسماً بوجهِك في الضِّياء وإنَّهُ　　　شمسٌ تُمِدُّ الشَمسَ بالأنوارِ

قسماً بعزمِك في المِضاءِ وإنَّهُ　　　ســـــيفٌ تجرِّده يَدُ الأقدارِ

---

(1) المقري, أحمد بن محمد, **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 1, ص: 50.

يا أيهـــا الملك الـــذي أيَّامُـــه غررَ تلوحُ بأَوْجهِ الإعصار[1]

(الكامل)

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة بأنها تحمل في طياتها ألفاظاً ودلالات متقاربة ومنسجمة مع الغرض والهدف الذي سعى إليه الشاعر, فعندما شبه الشاعر وجه الممدوح بالشمس كان موفقاً باختياره, فوجه الممدوح وطلَّته لا غنى عنهما لأنهما رمز الحياة والاستمرارية, فالمعاني رقيقة وجميلة تحمل في طياتها ذلك الأسلوب الهادئ والموسيقا العذبة, بالمقابل نلاحظ تغيراً واضحاً في الألفاظ والدلالات عند الشاعر في البيت الثاني, عندما مالَ إلى الحديث عن الحرب والقتال فكانت الألفاظ تعبر عن دلالة قوية مثل (عزم, سيف, تجرَّده...) بالإضافة إلى تكرار القسم الذي يحمل طابع الثورة والإرادة والتصميم, وهذا ما يتطلبه واقع الحرب والقوة والقتال, وجاءت هذه الصورة واضحة أيضاً في البيت الثالث, عندما استكمل الشاعر وصفه ممدوحه بالشجاعة والبطولة والصبر على الأعداء لذلك فقد استخدم الألفاظ ذات الطابع القوي المؤثر الذي يعكس صداه بشكل واضح في أذن السامع ومخيلته, وخاصة أن معظم الألفاظ ذات الطابع القوي المؤثر تميزت بأصوات لها ذلك الوقع على النفس؛ كونها أصواتاً صفيرية ومفخمة كأصوات الكلمات (قسماً, عزمك, والمضاء, وسيف, والأقدار, والإعصار...) فأصوات (الزاي, والضاد, والسين, والقاف...) هي أصـــوات تجمـــع بين الصـــفتين الســـابقتين, فالانســـجام الموســـيقي بين تلك الألفاظ بتنوع معانيها ودلالاتها عمـــل علـــى إيصـــال الهدف الذي ســـعى إليه الشـــاعر ســـواء مـــن المدح أو الوصف أو الاثنين معاً.

---

[1] المقري, أحمد بن محمد, **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 2, ص: 31 – 32.

التداخُلْ بين غرض شعر الحروب والفتن والأغراض الشعرية الأخرى

يعتبر شعر الحروب والفتن من أبرز الأغراض الشعرية التي تميز بها عصر بني الأحمر, لما فيه من ظروف سياسية, جعلته يتفرَّد عن غيره من العصور.

وفي الفترة التي تأججت فيها الأحداث وتطورت باتجاه مغاير, جعلت العديد من الشعراء ينحازون عن موقفهم إلى معالجة قضايا شعبهم, ومن المعروف لدينا أن الأدب بشكل عام هو القالب الذي يصب به الفنان نتاجه الأدبي والفني, فيقدمه لنا كنموذج متجانس من العواطف, والصور والخيالات الفنية, بالإضافة إلى كونه مقطوعة أدبية دمج فيها الشاعر كل ما يريده أو يسعى إليه بهدف تحقيق مراده من الوصف أو المدح, أو الفخر, أو غيره من المواضيع الأدبية الأخرى, وشعر الحروب والفتن بطابعه الخاص تكثر فيه مواضيع الوصف, والفخر, والرثاء, والمديح, ولكنهم قد عملوا على دمج هذه المواضيع في العديد من مقطوعاتهم الشعرية, وهذا بدا واضحاً في العديد من القصائد, وهذا ما نراه في قصيدة ابن سهل الإسرائيلي في استنهاض همم المسلمين حيث يقول:

نادى الجهادُ بكم بِنَصرٍ مُضْمَر   يبدو لكم بيـــن القَنا والضُّمَرِ

يا معشرَ العُرْب الذين توارثوا   شـــيمَ الحمية كابراً عن أكبرِ

إن الإله قد اشـــترى أرواحكم   بيعَوا ويهنئكم وفاء المشتَرِيْ[1]

(الكامل)

لقد استخدم الشاعر في أبياته غرضين أساسيين للوصول إلى هدفه الأول وهو الدعوة إلى الجهاد, بجميع أشكاله لتحقيق النصر, والغرض الثاني هو الفخر بالعرب الذين تميزوا بالشجاعة والحمية منذ عهدهم القديم وقد جاء هذا الدمج بين الغرضين كلوحة فنية رائعة تعكس مدى قدرة الشاعر على التأثير, والوصول إلى الغرض المنشود.

---

(1) ابن سهل الإسرائيلي: الديوان, **شرح: أحمد القرني**, ص: 38.

ويقول الرُّندي في قصيدته التي رثى بها المدن الأندلسية:

يا راكبين عِتاق الخيلِ ضـــــامرةً كأنها في مجال السَّــبْقِ عِقْبانُ

وحامِلين سُــيوفَ الهندِ مُرْهَفَــــةً كأنَّها في ظَــلامِ النَّقعِ نِيــرانُ

أَعندكُــمُ نبأٌ مــن أَهــلِ أندلــسٍ فقد سَرى بحديثِ القومِ رُكْبانُ[1]

(البسيط)

لقد نظم الرُّندي قصيدته في غرض الرثاء, ولكنه استعان بالعديد من الأغراض الشعرية الأخرى كالوصف, وخاصة عندما وصف الخيول العربية وهي في ساحة المعركة وشبهها بطيور العقاب السريعة, بالإضافة إلى وصفه للسيوف كالنيران الملتهبة من شدة لمعانها, ومع الوصف استخدم الفخر, عندما افتخر بفرسان الرعب الذين لا يركبون إلا الخيول الأصيلة, ولا يحملون إلا السيوف الحادة المرهفة ولكنه مالَ إلى استخدام التقريع واللوم في البيت الأخير على تقاعس هؤلاء الفرسان لنصرة إخوانهم بالرغم من تفاخره بهم, وحلة الوصف الجميلة التي وصفهم بها.

فجميع الأغراض السابقة جاءت لتعبر عن حالة الحزن واليأس التي شعر بها الشاعر تجاه ما حلَّ بالمدن الأندلسية الضائعة.

من الملاحظ أن الشعراء قد عملوا على ابراز التداخل في العديد من الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة, وذلك للتعبير عن حالة التخبط والإحباط التي سيطرت على الشعراء في تلك المرحلة, وهذا ما نراه واضحاً عند الشاعر المجهول الذي رثى الأندلس حيث يقول:

أضــعتم الحَزْمَ في تدبير أمرِكُمُ ســـــتعلمون معاً عقبى البوار غدا

لكن سُبلَ العمى أعمت بصائركم فألبســـــتم ثيــــاباً للبلى جـــــددا

---

[1] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب**, ج: 6, ص: 244.

يا أمةً هتكت مســـــتور سوءتها   ما كل من ذلَّ أعطى بالصغار يدا[(1)]

(البسيط)

نرى الشاعر هنا قد دمج بين النقد (الهجاء) الموجه للشعب الأندلسي الذي ساند في دمار بلاده من خلال قوله (أضعتم), ووصفه لهم بالعميان الذين عمت بصيرتهم فأعمت عيونهم, وهذا ينقلنا إلى تصور عميق للصورة التي أمامنا, فالشاعر عندما وجه نقده لهم بيَّن لنا في البيت الثاني لماذا نقدهم, ولماذا ضاعت الأندلس منهم؛ لأنهم تعاموا عن مصلحة بلادهم, فالصورة بتراكيبها وأغراضها المتداخلة عملت على إيجاد عنصر التشويق والإثارة عند السامع, وهذا ما يميز المقطوعات الشعرية الأندلسية عن غيرها, وهي قدرة شعرائها على انتقاء صورهم وأغراضهم, ودمجها بصورة واحدة متكاملة فالشعر فن جميل يعبر عن شخصية الشاعر, ويصور عواطفه متوصلاً إلى ذلك بتلك اللغة الشاعرية المعبرة التي تجمع بين الجمال والإفصاح وتصب في قالب واحد, قد يجمع بين الأصالة والتجديد كما يجمع الشاعر في قصيدته الواحدة بين غرضين أو أكثر؛ لإبراز الجمالية الخاصة بالنص, والتعبير عن مكنونه الخاص من المشاعر المتأججة المواكبة للواقع أو الرافضة له.[(2)]

في قصيدة له يستنجد بالمسلمين ويحثهم على نصرة إخوانهم يقول لسان الدين بن الخطيب:

أَإخوانِنا لا تنسَوْا الفضل والعطفا   فقد كادَ نورُ الله بالكُفْرِ أن يطفا

إذا بَلَغَ المـــاءُ (الزبى) فتداركوا   فقد بسط الدينُ الحنيف لَكم كفا

تحكَّم في سكان أندلـــسَ العـــدى   فلهفا على الإسلامِ ما بينهم لهفا[(3)]

(الطويل)

---

(1) المراكشي, ابن عذاري: **البيان المغرب في أخبار المغرب**, ص: 110.

(2) الشايب, أحمد: **أصول النقد الأدبي**, مكتبة النهضة المصرية: القاهرة, ط: 10, 1991, ص: 12.

(3) ابن الخطيب, **لسان الدين: الديوان**, ج: 2, ص: 677.

وظاهرة الاستنجاد واضحة عند الشاعر, وقد عبرت عن رفضه للضعف والانهزام الذي حلَّ بسكان الأندلس, وهو يعرف مدى ضعفهم وعجزهم عن دفع عدوهم عنهم وعن دينهم وممتلكاتهم؛ لذلك مالَ إلى الاستنجاد بإخوانهم في الدين والعقيدة لنصرتهم ودفع البلاء عنهم, وفي سبيل تحقيق هذا الهدف الذي سعى إليه؛ فقد دمج بين الوصف عندما وصف نور الله بالشعلة التي أنارت البلاد, والكفر الذي وصفه بالإنسان الذي سيطفئ هذه الشعلة. لقد برزت العاطفة الدينية عند الشاعر بشكل ملحوظ, أضف إلى ذلك استخدامه هذا الوصف كمقدمة للدخول في موضوعه الأساسي هو الاستعطاف والدعوة إلى الجهاد, وهذا ما نراه في البيت الثاني عندما خاطبهم قائلاً: (فتداركوا... لقد بسط الدين الحنيف لكم كفا) أي الدين يستنجد بكم لإغاثته, ودفع الكفر والعميان عنه, ثم عادَ مرة أخرى للوصف عندما وصف حالَ الأندلس عندما تحكم بها النصارى وعلموا على تغيير معالمها, فكانت الصورة جميلة جداً عكست مدى الترابط الذي حققته الأبيات سواء من حيث الصور والدلالات أو من حيث المضمون, فكان الشاعر موفقاً في عرضه لمشاعره والتعبير عنها من خلال دمجه لغرضي الوصف والاستنجاد فكانت أبياته كالثوب الذي أحكمت صناعته بتداخل ألوانه وخاماته.

بناء الصورة الفنية في شعر الحروب والفتن

التشبيه:

إنَّ المتتبِّع للخصائص الفنيَّة التي غلبتْ على هذا الشعر يجدها في أغلبها تقوم على القوَّة والحدة في الإيقاع والموسيقا, مما يستلزم المجيء بصور تتناغم وهذا الإيقاع.

ولهذا فقد لجأ الشعراء إلى استخدام التشبيه والاستعارة في العديد من صورهم الشعرية, وقد كثرت التشبيهات الواردة عندهم,[1] ومرَدُّ هذا يعود إلى حرصهم الشديد على إظهار ما وصل إليه المسلمون من ذلٍّ وهوان نتيجةً للهزائم المتكررة التي لحقت بهم.

وقد حاولَ الشعراء أن يمجدوا كل نصر كان يصيبه المسلمون, وانصبَّ هذا على إظهار دور بني نصر وأثرهم في إحرازه, وفي هذا يقول ابن الخطيب:

وقفــتَ والرَّوعُ قــد ماجت جوانبـــه	بحيــث لا والــدٌ يَلْــوي علـــى وَلَدِ
وصلتَ يوم التقى الجمعان مُنْصَـــلِتاً[2]	كالصقرِ في السِّــرب أو كالليثِ في النَّقَدِ
فأصـــبَح الدّينُ لا تخفـــى معالمه	وأصـــبَح المُلْكُ مرفــوعاً على عَمَــدِ
إنَّ الحروبَ ســـجالٌ طالما وهبْــت	في اليومِ فرصتها واســـترجعت لغدِ
لا يَغْـــرُرِ الرومَ ما نالوا وما فعلــوا	فــإنَّ ذلــك إمـــلاءٌ إلـــى أَمَـــدِ[3]

(البسيط)

نرى ابن الخطيب في هذه الأبيات يستند إلى التشبيه في إظهار جلالة هذا الانتصار الذي حدث بعد معركة طريف واستطاع من خلاله أن يصوِّرَ ما حدث بالروم من هزيمة نكراء, فهذا النصر لا يقوم به إلا العظماء من الرِّجال, واستطاعَ أن يرسُمَ لنا هذه الصورة من خلال الإتيان

---

[1] شلبي, سعد إسماعيل: **الأصول الفنية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)**, دار نهضة مصر للطبع والنشر: القاهرة, ص: 303.

[2] منصَلِتاً: شديداً قوياً. يقال صَلُتَ الرَّجل: كان بارزاً واضِحاً في سعةٍ وبريق. **ينظر: ابراهيم أنيس وآخرون**: الوسيط، ص: 545.

[3] ابن الخطيب, **لسان الدين: الديوان**, ج: 1, ص: 277.

بتشبيهين متتاليين في نفس البيت. (كالصقر في السِّرب...) وأظهر الشعر عبقرية في حبك خيوط هذين التشبيهين من خلال التقارب الذي ظهر بينهما, فالصقر جارح وهو من أقوى الطيور, وكذلك فالليث جارح وهو من أقوى الحيوانات, وكلاهما يقود والانقياد ما أراد أن يصف به ابن الخطيب ممدوحه.

ولم تختلف هذه التشبيهات في جوهرها, فالصورة فيها واحدة, والهدف واحد, وهو تمجيــد البطولات الحربية, ورفع مكانة ملوك بني الأحمــر. يقول ابن زمــرك في رثاء والد الغني بالله:

وقام بمفروض الجهادِ عن الوَرى	وعوَّد دين الله خيــر مُعَــوَّدِ
وفتَّــح بالســـيف الممالك عنوةً	ومدَّت له أملاكها كــفُّ مجتَّدِ
وكسَّر تمثالَ الصليبِ وأُخْرِسَــتْ	نواقيسُ كانت للضلال بمرصَدِ
وطَهَّــر مــحراباً وجــدَّد منبراً	وأَعْلَنَ ذِكْرَ اللهِ في كلِّ مَسْجِــدِ[1]

(الطويل)

استخدم ابن زمرك التشبيه في كلامه، فهو يوازن بين واقعين هما: واقع الممالك التي دانت له, وأسلمت دون مقاومة لأنَّها تعرف قوته وبطْشَه بمن يقف في طريقه, فهو يشبهها بإنسان يمدُّ يده جانحاً إلى السلام, والواقع الثاني يُمَثِّلُ النواقيس التي أُطفِئت على يد هذا السلطان, فلم يعد لها وجود يذكر, فهو يشبهها بإنسان لا يتكلم, وهي صورة تدلُّ على ضعفه وهوانه, والشاعر يريد من وراء هذا التشبيه أن يظهر بطولة ممدوحه وشجاعته.

---

(1) ابن زمرك, **محمد: الديوان**, ص: 35 – 36.

– ينظر: المقري, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, ج: 2, ص: 153.

الاستعارة:

لقد ظهرت الاستعارة واضحةً في أشعارهم, ولَعلَّها من أكثر أغراض البيان ظهوراً, ويعود هذا إلى ما تحمله من دلالات تثير فينا الشوْق والرغبة في معرفة المكنون الذي يستتر وراءها.[1] وكثيراً ما كانت هذه الاستعارات تخفي في طيَّاتها شيئاً أرادَ الشاعِرُ إظهاره, ومن هذا ما جاءَ عند ابن الخطيب في استنجاده الذي يخاطب به عدوة المغرب حيث يقول:

لله موقفـــك الـــذي وَثَبَاتُـــه وثباتُـــهُ مَثَـــلٌ يُتَمَثَّـــلُ

والخيلُ خطٌّ والمــجالُ صـــحيفةٌ والسُّمر تنقط, والصوارِمُ تشكُلُ

والبيضُ قد كُسِرت حروف جُفُونِها وعَوامِلُ الأَسْــلِ المُثْقَفِ تعْمَلُ

لله قومُكَ عِنْـــدَ مُشْـــتَجَرِ القنا إذا ثــوَّب الداعي المَهَّيَبُ أقِبلوا[2]

(الكامل)

نلاحظ أن ابن الخطيب قد أكثر من استخدام الاستعارات في إظهار قوة أهل المغرب, فسيوفهم قد تكسَّرت من شدة فتكهم بأعدائهم, وكثرة القتل الذي أشاعوه بينهم.

واستخدم الشاعر الاستعارة المكنية؛ ليصف لنا صورةً دقيقةً استطاعت أن تنقلنا وكأننا نشاهد المعركة وهي تجري أمامنا من خلال وصفه للسيوف بالشيء الذي يكسر من كثرة الاستعمال, وتصويره لأهل العدوة بالفارس الذي يسرع للهجوم عند سماعه الخبر (لله قومك عند مشتجر...) والسُّمر بالإنسان الذي يضع النقط والصوارم بالذي يشكل خطوط الصحيفة, فقد صرَّح بالمشبه وحذف المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية وقد جاءت الاستعارة واضحة في شعر ملوكهم وكانت المطيّة التي يمتطونها من أجل إظهار شجاعتهم في المعارك, وكثيراً ما كانوا يظهرون أثرهم في حماية الدين, وفي هذا قول الملك يوسف الثالث حيث يقول:

راقَ الزَّمانُ وجاءنا ميقاتـــهُ بالضـــحَّوةِ الغـــرَّاءِ من أيَّامهِ

---

[1] الجبَّار, مدحت سعد محمد: **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشَّابي**, ص: 133.

[2] المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, ج: 8, ص: 175.

وتقــدَّمَ الأَلَــمُ الملــمُّ مفــوِّقاً ما شاءه من مُرهَفاتِ سِــهامهِ

فتخالها في الجِسْمِ بين مقوَّضٍ لرجالــه ومطنِّــبِ لخيامــــهِ

كم مُرجِفٍ بالله أَقسْـــــمَ حانثاً واللفظُ لم يَخْفَ اتضاح قِسامِهِ[1]

(الكامل)

استطاعَ الشاعر أن يظهر ما حلَّ بالنصارى من هزائم منكرة لحقت بهم, حتى أصبحوا يعيشون في ذل وهوان وهذا ما جاء نتيجةً لبطولات ملوكم بني الأحمر, ونراه يلجأ إلى الاستعانة بالاستعارة في إظهار هذه المعاني من خلال وصفه للهزيمة بالألم الذي فوَّق النصارى وجعلهم يشعرون بوقعه على أجسامهم, وتأثيره على حياتهم, فكانت الاستعارة التصريحية ظاهرة وواضحة من خلال ذكره للمشبه به (الألم) وحذفه المشبه (الهزيمة).

لقد كان للاستعارة بنوعيها نصيبٌ في أشعارهم بسبب ظهور الصور المتشابهة عندهم, فهي تدور حول تمجيد بطولاتهم ونسبهم يقول الملك يوسف الثالث:

فإنَّ لنا الخيلَ العتاق إذا انبرت تخال بأيدي الريح منها الشكائمُ

نريح بها حيث الظِّلامُ عجاجةٌ[2] ونوردها حيــث الردى مُتلاكِمُ[3]

(الطويل)

نرى أنه يشبه الريح بالإنسان, حيث يجعل لها يداً, وجاء هذا على سبيل الاستعارة المكنية, ونراه في البيت الثاني يلجأ إلى تثبيت هذه المعاني فيصور الردى وكأنه إنسان قوي يلاكم إنساناً آخر واعتمد – أيضاً – على الاستعارة المكنية في إظهار هذه المعاني. فهؤلاء الشعراء كانوا يخوضون في آلام وأحزان الإنسان الذي عاشَ على تلك البقعة التي لم تلبث طويلاً حتى سقطت بيد الأسبان. ولعلَّ هؤلاء هم الذين شعروا بحجم المأساة التي وقعت, وجاءت

---

[1] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 125.

[2] عجاجةٌ: الكثير من الإبل وتأتي بمعنى (الدُّخان). ينظر: **ابن منظور**: **لسان** العرب، مادة (عَجَجَ)، ص: 319.

[3] كنون, عبد الله: **ديوان يوسف الثالث**, ص: 113.

الصورة الفنيَّة عندهم معبرة عن حجم تلك المأساة, ولهذا لم يتركوا وسيلة فنية إلا واستخدموها في أشعارهم, ولهذا فإننا نجدهم يلجؤون إلى استخدام التشبيه والاستعارة ليقربوا النداءات التي كانوا يطلقونها من آذان وقلوب سامعيها بالإضافة إلى إظهار المبالغة وتحسين الأشياء وتقبيحها.[1] وخاصة أن الصورة الشعرية هي جوهر التجربة عند الشاعر, والأداة الفذة للتشكيل الجمالي, والحل الوحيد لأزمة اللغة التي تواجهه حين يحاول تصوير رؤيته الخاصة, وإدراكه الخاص لواقعه بالإضـــافة إلى كونها أداة الشـــــعر القـــادرة على الخلـــق والابتكار والتعديل لأجزاء الواقع.

[1] عصفور, أحمد جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**, دار الثقافة للطباعة والنشر, 1974, فصل أهمية الصورة ووظائفها, ص: 381.

الخاتمة

وفي نهاية البحث نخرج بأهم النتائج التي توصلت إليها والتي أوجزها بما هو آت:

- تطور الأحداث السياسية بشكل ملحوظ, مع ازدياد القبضة العدائية على المسلمين في تلك المرحلة, فقد كشفت لنا العديد من الكتب التاريخية عن أسمى صور التضحية والفداء والتي قدَّمها العرب المسلمون في الأندلس دفاعاً عن دينهم, وأوطانهم, فكان الصراع بشكل عام يدور حول قضية (كن أو لا تكون).

- ظهرت فئة من شعراء عصر بني الأحمر قد تميزوا بألفاظهم الجزلة, وصورهم البديعة التي عكست مدى ارتباطهم بوطنهم, وكشفت الستار عن عواطف دينية متأججة وكيف لا وقضية النزاع تدور حول القضاء على الدين وأتباعه من المسلمين, فكانت دلالاتهم تصور الواقع تجسده بأروع ما يحظى به الشاعر من ألفاظ وصور وتشبيهات بالإضافة إلى ميلهم الشديد لاستخدام ظاهرة بين الأغراض الشعرية, كدمج الوصف مع المدح, والفخر مع الرثاء, وكل ذلك جاء لخدمة النص بأسلوب مؤثر يجمع بين روح التضحية والنضال, والدعوة إلى الانهزامية واليأس والبكاء على ما حلَّ بالمدن والديار الإسلامية في الأندلس, بالإضافة إلى تعدد الصور والدلالات وتنوع الألفاظ, لاحظنا الانسجام الواضح بين القصائد التي نسجت على بحور شعرية متقاربة ومحدود مثل (البحر الوافر, والكامل, والبسيط, والطويل) فقد جاءت معظم القصائد الشعرية مقطوعات لا تتعدى كونها قد نظمت على أحد البحور السابقة, وذلك لقدرة تلك البحور على استيعاب الأغراض الشعرية الهامة (كالوصف, والمدح, والفخر, والرثاء... وغيرها).

وكان من الممكن لأيِّ قارئ أن يتبادر إلى ذهنه أن موضوعات هذا الشعر هي موضوعات تقليدية تطورت مع العصور اللاحقة, وهذا صحيح, ولكن شعر الحروب والفتن في عصر بني الأحمر على الرغم من اعتبار بعض أغراضه أغراضاً تقليدية, إلا أنها قد تميزت بطريقة عرضها وخصوصيتها, وخاصة أنها تطورت وازدهرت في عصر يعتبر من العصور

الأخيرة التي مرت بها الأندلس, وكان سبباً من أسباب سقوطها بيد الإسبان وإنهاء حضارة العرب وأمجادهم فيها, فكانت الظروف التي نشأ بها هذا اللون من الشعر مغايرة لظروف أخرى, بالإضافة إلى تميز شعراء هذا النمط من الشعر بطريقة عرضهم, والتعبير عن مشاعرهم, كيف نريد من شاعر حتى وإن لم يواكب أو يشهد أحداث الصراع أن يقف عاجزاً أمام المجازر والتحديات التي يتعرض لها شعبه وأهله, فالشاعر هو الناطق بحال شعبه ووطنه, ولذلك تميزت مقطوعاتهم الشعرية بالجمال الخلاب الذي يعكس مدى قدرة الشاعر على مواكبة أحداث عصره والتعبير عنها بأجمل ما لديه, وخاصة أن سلاطين بني الأحمر كانوا من المشجعين على تطور الشعر وازدهاره, مما دفع الشعراء إلى التنافس وظهور العديد من الشعراء المتميزين في ذلك العصر, مثل: لسان الدين بن الخطيب, وابن زمرك, والسلطان يوسف الثالث (ملك غرناطة) الذين تميزوا بأشعارهم وألفاظهم التي دفعت العديد من الأدباء والنقاد أن يقفوا عاجزين أمام جزالتها وإتقانها وهذا ما تميز به شعر عصر بني الأحمر.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- أنيس، ابراهيم وآخرون: **الوسيط**، ط: 2، القاهرة، 1972.
- ابن بسَّام, علي بن بسام الشنتريني: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**, (أربعة أقسام في ثمانية مجلَّدات), تحقيق: د. إحسان عبَّاس, دار الثقافة: بيروت, 1953.
- بسبح, أحمد حسن: **لسان الدين بن الخطيب**, دار الكتب العلمية: بيروت.
- البستاني, بطرس: **ديوان ابن سهل**, مكتبة صادر: بيروت, 1953.
- ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي: **الديوان**, تحقيق: د. محمد رضوان الداية, مطبعة محمد هاشم الكتبي: دمشق, 1972.
- ابن الخطيب, لسان الدين: **الإحاطة في أخبار غرناطة**, شرح: يوسف علي الطويل, دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن الخطيب, لسان الدين: **الديوان**, تحقيق: محمد مفتاح, دار الثقافة: الدار البيضاء.
- ابن الخطيب, لسان الدين: **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**, المطبعة السلفية: القاهرة.
- ابن الخطيب, لسان الدين: **الكتيبة الكامنة من شعراء المئة الثامنة**, تحقيق: إحسان عباس, دار الثقافة: بيروت.
- ابن الخطيب, لسان الدين: **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**, تحقيق: أحمد مختار العبادي, دار الكتاب العربي: القاهرة.
- ابن خلدون, عبد الرحمن: **تاريخ بن خلدون**, منشورات الكتاب اللبناني: بيروت, 1968.

- ابن زمرك الغرناطي, محمد: **الديوان**, جمعه وقدَّمه: د. أحمد سليم الحمصي, المكتبة العصرية: بيروت, ط: 1, 1998.

- ابن سهل الإسرائيلي: **الديوان**, شرحه وقدَّمه: أحمد حسنين القرني, المكتبة العصرية: مصر, ط: 1, 1926.

- كنون, عبد الله: **ديوان ملك غرناطة (يوسف الثالث)**, مكتبة الأنجلو المصرية, ط: 2, 1965.

- مجهول: **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**, الجزائر, 1920.

- المقرَّي, أحمد بن محمد: **أزهار الرياض في أخبار عياض**, صندوق إحياء التراث الإسلامي: الرباط, 1978.

- المقري, أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**, تحقيق: د. مريم قاسم طويل وآخرون, دار الكتب العلمية: بيروت.

- ابن منظور, جمال الدين بن مكرم: **لسان العرب**, دار صادر: بيروت, ط: 1, 1990.

- ابن نصـــر, إســـماعيل بـــن يوســـف: **نثير فوائـــد الجـــمان فـــي نظـــم فحـــول الزمان**, تحقيق: محمد رضوان الداية, دار الثقافة: القاهرة, 1956.

- ابن هشام الأنصاري, عبد الله جمال الدين: **مغني اللبيب**, مطبعة المدني: القاهرة, 1967.

المراجع:

- الأسعد, عمر: **علم العروض والقافية**, الأردن: عالم الكتب الحديث, ط: 4, 2004.
- الأسمر, راجي: **علوم البلاغة**, دار الجيل: بيروت, ط: 1, 1999.
- الأشتر, صالح: **معركة بلاط الشهداء**, دار الشرق العربي: بيروت.
- أنيس, إبراهيم: **موسيقا الشعر**, مصر: مكتبة الأنجلو, ط: 4, 1972.
- أنيس, إبراهيم: **الوسيط.** ط(2). القاهرة, 1972 .
- أيوب, عبد الرحمن: **أصوات اللغة**, دار التأليف: القاهرة, ط: 1.
- بالنثيا, أنجل: **تاريخ الفكر الأندلسي**, تعريب: حسين مؤنس, مكتبة النهضة المصرية: القاهرة, ط: 1, 1955.
- البستاني, بطرس: **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث.**
- الشايب، أحمد: **تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري**، ط: 4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966.
- بروفنسال, أ. ليفي: **تاريخ إسبانيا الإسلامية**, دار المكشوف.
- ثيرماسين, د. عبد الرحمن: **العروض وإيقاع الشعر العربي**, دار الفجر للنشر والتوزيع: القاهرة, ط: 1, 2003.
- الجبار, مدحت سعد محمد: **الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي**, الدار العربية للكتاب: ليبيا, 1984.
- الجيوسي, سلمى الخضراء: **الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس**, ط: 1, 1998.

- الحجي, عبد الرحمن علي: **التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة**, دار الاعتصام: الإمارات, ط: 1, 1983.
- حزّان, حبيب: **الأدب الأندلسي من الاحتلال إلى الارتحال**, دار المشرق للترجمة والطباعة والنشر: شفا عمرو, 1989.
- الحسيني, إسحاق موسى وآخرون: **العروض السهل**, مكتبة الأندلس: القدس, ط: 2.
- حقي, عدنان: **المفصل في العروض والقافية وفنون الشعر**, دار الرشيد, ط: 2, 2000.
- الحمصي, أحمد سليم: **ابن زمرك الغرناطي (سيرته وأدبه)**, مؤسسة الرسالة: بيروت, 1985.
- الحنفي, الشيخ جلال: **العروض تهذيبيهُ وإعادة تدوينهُ**, بغداد: مطبعة الإرشاد, ط: 2, 1982.
- أبو الخشب, إبراهيم: **تاريخ الأدب العربي في الأندلس**, دار الفكر العربي, ط: 1, 1966.
- الخطيب, رشا عبد الله: **تجربة السجن في الشعر الأندلسي**, المجمع الثقافي: أبو ظبي, ط: 1, 1990.
- خفاجة, محمد عبد المنعم: **قصة الأدب في الأندلس**, دار الجيل: بيروت, ط: 1, 1992.
- داوود, د. محمد محمد: **الدلالة والكلام**, غريب للطباعة والنشر: القاهرة, 2002.
- الداية, فايز: **جماليات الأسلوب**, مديرية مكتبة المطبوعات الجامعية: جامعة حلب, 1989.
- الداية, محمد رضوان: **ديوان أبي إسحاق الالبيري**, مؤسسة الرسالة: بيروت, ط: 1, 1976.
- الداية, محمد رضوان: **المختار من الشعر الأندلسي**, دار الفكر المعاصر: بيروت, ط: 3.

- الداية, محمد رضوان: **أعلام المغرب والأندلس**, مطبعة خالد بن الوليد: دمشق, 1981.
- الدَّقاق, عمر: **ملامح الشعر الأندلسي**, منشورات دار الشرق: بيروت.
- الدَّقاق, عمر: **معركة الزلاقة**، دار الشرق العربي: بيروت.
- الزّيات, عبد الله: **رثاء المدن في الشعر الأندلسي**, منشورات جامعة قاريونس: بنغازي, 1990.
- ابن أبي زرع: **الذخيرة السينية في تاريخ الدولة المرينية**, دار المنصور للطباعة: الرباط, 1972.
- السَّد, نور الدين: **الأسلوبية في النقد العربي الحديث**, الجزائر, 1993.
- السعدني, مصطفى: **البناء اللفظي في لزوميات المعري دراسة تحليلية بلاغية**, دار المعارف: الإسكندرية.
- أبو السعود, سلامة أبو السعود: **الإيقاع في الشعر العربي**, دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر: الإسكندرية.
- سليمان, نايف: **الواضح في العروض وموسيقا الشعر**, عمّان: دار الفكر للنشر, ط:1, 1991.
- أبو شاويش, حماد: **البناء الفني في شعر ظافر الحدَّاد**, المكتبة العربية: القاهرة, 1986.
- الشايب, أحمد: **أصول النقد الأدبي**, مكتبة النهضة المصرية: القاهرة, ط: 10, 1991.
- الشايب, أحمد: **دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية**, مكتبة النهضة المصرية: القاهرة, ط: 12, 2003.
- شرف, د. عبد العزيز: **نحو بلاغة جديدة**, مكتبة غريب: القاهرة, 1980.

- الشكعة: مصطفى: **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**, دار العلم للملايين: بيروت, ط: 5, 1983.
- شلبي, سعد إسماعيل: **الأصول الفنية للشعر الأندلسي (عصر الإمارة)**, دار نهضة مصر للطبع والنشر: القاهرة.
- أبو شمَّالة, فايز: **السجن في الشعر الفلسطيني**, المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي, رام الله: فلسطين. ط: 1, 2003.
- الصائغ, عبد الإله: **الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنيّة**, بيروت: المركز الثقافي العربي, ط: 1, 1999.
- صابر, عبيد: **فكرة الزمان عند أخوان الصفا**, مكتبة مدبولي: القاهرة, 1990.
- الصابوني, محمد ضيياء الدين: **الموجز في البلاغة العربية والعروض**, بيروت, ط: 1, 1988.
- الطويل, يوسف: **مدخل إلى الأدب الأندلسي**, دار الفكر اللبناني: بيروت, ط: 1, 1991.
- عاصي, ميشال: **الشعر والبيئة في الأندلس**, المكتب التجاري للطباعة والنشر: بيروت, ط: 1, 1970.
- العبادي, أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**, مؤسسة شباب الجامعة: الإسكندرية.
- عبّاس, فضل: **إعجاز القرآن**, الأردن: منشورات جامعة القدس المفتوحة, ط: 2, 1977.
- عبد الجواد, إبراهيم عبد الله: **العروض**, دار الشروق للنشر والتوزيع: رام الله.
- عتيق, عبد العزيز: **الأدب العربي في الأندلس**, دار النهضة العربية: بيروت, 1975.

- عتيق, عبد العزيز: **علم البديع**, دار النهضة العربية: بيروت, 1985.
- عتيق, عبد العزيز: **علم المعاني**, دار النهضة العربية: بيروت, 1972.
- عرفة, عبد العزيز: **الدال والاستدلال**, المركز الثقافي العربي: بيروت, ط: 1, 1993.
- عصفور, أحمد جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي**, دار الثقافة للطباعة والنشر, 1974.
- أبو علي, محمد وآخرون: **علم البلاغة**, عمّان, منشورات جامعة القدس المفتوحة, ط: 1, 1997.
- أبو عمشة, عادل: **العروض والقافية**, مكتبة خالد بن الوليد: نابلس, ط: 1, 1986.
- عنان, عبد الله: **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**, العصر الرابع, ط: 3, القاهرة, 1966.
- عنان, عبد الله: **عصر المرابطين والموحدين في الأندلس**, العصر الثالث, ط: 1, القاهرة, 1946.
- عيسى, فوزي سعد: **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين**, دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية, 1991.
- عيسى, عبد العزيز محمد: **الأدب العربي في الأندلس**, مطبعة الاستقامة: القاهرة, 1936.
- عيد, يوسف: أصوات **الهزيمة في الشعر الأندلسي**, دار الفكر اللبناني: بيروت, 1993.
- عيد, يوسف: **الشعر الأندلسي وصدى النكبات**, دار الفكر العربي: بيروت: لبنان, ط: 1, 2002.
- الغلاييني, مصطفى: **جامع الدروس العربية**, بيروت: المكتبة العصرية, ط: 38.

- فاخوري, محمود: **موسيقا الشعر العربي**, حلب: منشورات جامعة حلب: حلب, 1987.
- فيُّود, بسيوني:**علم البديع دراسة تاريخية وفنيَّة لأصول البلاغة ومسائل البديع**, مؤسسة المختار للطباعة والنشر: القاهرة, ط:2, 1998.
- القزويني, جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: **التلخيص في علوم البلاغة**, ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي, دار الكتاب العربي, ط: 2, 1932.
- قطامي, سمير وآخرون: **تاريخ الأدب والنصوص**, وزارة التربية والتعليم العالي: فلسطين: رام الله, 2004.
- القطّان, منّاع: **مباحث في علوم القرآن**, مؤسسة الرسالة: بيروت, ط: 7, 1980.
- كولان: ج, س, **الأندلس**, ترجمة: إبراهيم خورشيد وآخرون, دار الكتاب اللبناني: بيروت, ط: 1, 1980.
- مؤنس, حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**, دار مطابع المستقبل: القاهرة, ط: 1, 1980.
- محمد, سعيد محمد: **دراسات في الأدب الأندلسي**, جامعة سبها: ليبيا, ط: 1, 2001.
- محمد, سعيد محمد: **الشعر في قرطبة**, المجمع الثقافي: أبو ظبي, 2003.
- محمد, محمود زين العابدين: **الأصوات العربية بين اللغويين والقرَّاء**, مكتبة دار الفجر الإسلامية: المدينة المنورة, 1998.
- مرتاض, عبد المالك: **في نظرية الأدب**, المجلس الوطني للثقافة والفنون: الكويت, 1980.
- المراكشي, ابن عذاري: **البيان في المغرب**, تحقيق: ج, س , كولان, الدار العربية للكتاب: ليبيا, 1983.

- المطعني, عبد العظيم: **البديع في المعنى والألفاظ**, مكتبة وهيبة: القاهرة, ط: 1, 2002.
- ابن معطي, يحيى: **البديع في علم البديع**, ت: محمد أبو شوارب, ط: 1, الإسكندرية, 2003.
- الملائكة, نازك: **قضايا الشعر المعاصر**, دار العلم للملايين: بيروت, ط: 9, 1996.
- الملاح, ياسر: **من الفجر إلى الغروب**, مطبعة الإسراء: القدس, ط: 1, 1993.
- ناصيف إميل: **أروع ما قيل في علوم البلاغة**, دار الجيل: بيروت, ط: 1, 2004.
- النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, نابلس: مطبعة النصر التجارية, ط: 1, 1991.
- النوري, محمد جواد: **علم الأصوات العربية**, الأردن: منشورات جامعة القدس المفتوحة, ط: 1, 1996.
- الهاشمي, أُسيد أحمد: **موجز البلاغة في المعاني والبيان والبديع**, مؤسسة المعارف: بيروت. ط: 1, 1999.
- ياغي, هاشم وآخرون: **تاريخ الأدب العربي**, منشورات جامعة القدس المفتوحة: عمان, ط: 1, 1995.

الرسائل الجامعية:

- عتيق, عمر:" دراسة أسلوبية في شعر الأخطل" ،**رسالة ماجستير**, إشراف: د. خليل عودة, غير منشورة، منشورات جامعة النجاح الوطنية, 2001.

- مصطفى, محمود: "الفخر عند الشاعر يوسف الثالث" ،**رسالة ماجستير**, إشراف: د. وائل أبو صالح, منشورات جامعة النجاح الوطنية: نابلس, 2004.

المجلات:

- الطرابيسي, أحمد أعراب: *الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي*. **مجلة عالم الفكر**: المجلد الثاني عشر. الكويت: منشورات وزارة الإعلام. 1981.

فهرس الشـــــخصيات	**الصــــفحات**

1. إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن محمد الخزرجي (أبو الوليد).	25
2. سعد بن علي بن سعد بن محمد بن يوسف.	42
3. سعد بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (المستعين بالله).	41
4. عبد الله بن علي بن سعد بن محمد بن يوسف بن فرج بن إسماعيل.	42
5. عثمان بن أبي العلاء.	26
6. علي بن موسى.	14
7. علي بن يوسف بن تاشفين.	7
8. فرج بن محمد بن يوسف (أبو سعيد).	17
9. محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (محمد الرابع) أبو عبد الله.	27
10. محمد بن تومرت.	8
11. محمد بن سعيد بن محمد بن يوسف بن محمد (الزغل).	42
12. محمد بن علي بن سعد بن محمد بن يوسف بن فرج بن إسماعيل.	57
13. محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (المخلوع).	23
14. محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (الفقيه).	19
15. محمد الناصر.	8
16. محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل (الغني بالله).	33
17. محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل.	36
18. محمد بن يوسف بن نصر (الشيخ).	11
19. محمد بن يوسف بن هود الجذامي.	10
20. محمد بن يوسف بن يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل.	36
21. نصر بن علي بن سعد بن محمد بن يوسف.	42
22. نصر بن محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر.	24
23. نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر.	24

فهرســــت الأشـــعار

البيت	البحر	الصفحة
قافية الألف		
حبُّ الرياسـة يا لَـهُ مـن داءٍ كم فيه مـن مِحَـنٍ وطول عَنَاءِ	الكامل	58
كم مِنْ أسـيرٍ عندهم وأسـيرة فكـلاهما يبغي الفِداءَ فما فدى	الكامل	71
أإخواننا لا تنسـوا الفَضْـلَ والعَطْفَا فقـد كادَ نورُ اللهِ بالكفرِ أنْ يطفا	الطويل	77
نادتـك أندلـسٌ فلَـبِّ نـداءها واجعل طواغيت الصـليب فداءها	الكامل	81
هبـوا لها يا مَعْشَـر التوحيد قد آنَ الهبـوبُ وأحـرزوا علياءها	الكامل	81
أضـعتم الحَزْمَ في تـدبير أمركـم سـتعلمون معاً عقبى البوارَ غداً	البسيط	102
قافية الباء		
وقائلـةٍ أراك تطيـلُ فِكْـراً كأنَّك قـد وقفْتَ لدى الحساب	الوافر	8
ومـا هـي إلا دعـوةٌ يوسـفيةٌ أثارت قبـولَ اللهِ ضربة لازبِ	الطويل	32
للـغنـي بـالله مُـلْكٌ بُـرْدُهُ بالعـزِّ مُـذْهَـبْ	مجزوء الرمل	33
أنا الهُمامُ الـذي تُخشـى عَزائِمُه في الحَربِ إن كَتَّبَ الأجنادُ أو كتَبا	البسيط	38
لنا السَلَفُ الأرضى, حماها قد ارتضى وناهيك عـن جد كريم ومن أب	الطويل	48
واهْنأ (أبا الحجـاجِ) بالفتـحِ الذي يُهـدي إليكَ منا الفتوحِ ضروباً	الكامل	88
وبسَـفحِ خير قد لقوا شـرَّ الوغى وهمى عليهم بالمنونِ سـحابُ	الكامل	90
لا كان يومُكِ, (يا طريـفُ) وَطالما أطلَعْـتِ للآمـالِ بَرْقـاً خُـلَّبا	الكامل	99
قافية التاء		
هـذي الجزيرةُ لا تزالُ عزيـزةً محفوظـةً بك يا إمـامَ ولاتها	البسيط	28
وفرسـانُهم تزدادُ في كل سَـاَعةٍ وفُرْسَـانُنا في حالِ نقصٍ وقِلَّةِ	الطويل	46
وجـاءوا بألفـاظِ عِظـامٍ كثيـرةٍ تُهَدِّمُ أسـوارَ البِلادِ المنيعةِ	الطويل	48
وكنا على ديـنِ النبي محمـدٍ نقاتِلُ عُمَّـالَ الصـليب بنيـة	الطويل	51
قافية الثاء		
نـادِ المـلوكَ وقـلْ لهـم مـاذا الـذي أحـدثتـم	مجزوء الكامل	100
قافية الجيم		
إنَّ المـعالي والعـوالي والنّـدى والبأسَ طـوعُ يَدَيْ أبي الحجَّاجِ	الكامل	142

البيت	البحر	الصفحة
قافية الحاء		
هو النَّصْرُ بادٍ للعيونِ صـــــباحُهُ فما عذرُ صدْرٍ ليس يبدو انشراحُهُ	الطويل	89
تــلافَيْتَ بالعَـــزْم البِـــلادَ وأهْلَهَا وقدْ عَصَفَتْ للكُفر فيها رياحُـــهُ	الطويل	129
قافية الدال		
شَهِدَ الإله وأنتِ يا أرضُ اشـــهدي أنَّا أجبنا صــرخَةَ المســـتنجدِ	الكامل	15
هل من معيني في الهوى أو منجدي مِنْ مُتْهِمٍ في الأرض أو من مُنْجِدِ	الكامل	21
ولاذوا إلى السِّلْمِ اسـتلاماً ورهبةً وقـــد شَــارفوا ورِدْ المَنيَّةِ أو كادُوا	البسيط	29
حتى إذا محَـــصَّ اللهُ القلوبَ بها ولا دفاعَ لحكـم الواحِدِ الصَّـــمَدِ	الطويل	30
وتروعهم منكم ســـيوفُ حماية يجلــو دُجاها يوســـفٌ ومحمدُ	الكامل	34
بكتك بلادٌ كـــنت تحمي ثغورها بعــزمٍ أصـــيلٍ أو برأي مسَّدَدِ	الطويل	53
ألا أيها القلبُ المصَـــرَّحُ بالوَجدِ أما لك مــن بادي الصبابة مــن بدِّ	الكامل	66
كــم جامـــعٍ أعيـد كنيســـةً فاهْـلِك عليـه أسى فـــلا تتَجـلَّدِ	الكامل	68
أبنـــي مـــرين أنتـم جـــيراننا وأحــقُّ مَن في صــرخة بهم ابتدي	الكامل	77
أبني مريــن والحمايــةَ شـــأنكم وبكفكم ســـيفُ الجهادِ يُجرَّدِ	الكامل	78
هنيئاً وبُشــرى للعِبادِ ببرئـــكـم نِعَـمٌ وبه الاعــزازُ للــدينِ موجودُ	الطويل	89
إنَّ الســـعيدَ إذا تمهــدَّ ملكــه عـــدتم لنا والعودُ منكـم أحْمَـــدُ	الطويل	111
أفلا تذوب قلوبكـــم إخــواننا مــما دهانا مــن رَدَىً أو من ردي	الكامل	113
يا أمّــةَ المحـــرابِ أخلصـــوا لســـــامعِ نجوى حَيِّهِ وجمَادِهِ	الطويل	117
دُعاؤكم في اليومِ ينصـــرُ عبْـدَهُ ويُجـزيـهِ بالفِرْدَوْسِ يـوم مــعادِهِ	الكامل	130
أفـــلا تراعــون الأذمـــة بيننا مـــن حُـــرْمَة ومحبـــة وتــوَدُّدِ	الكامل	135
أوطانكـم إخوانكـــم وبــلادكـم عــودوا وعهدَكـم القـــديم فجدِدوا	البسيط	148
وقفــتَ والرَّوعُ قــد ماجت جوانبه بحيــث لا والدٌ يَلْــوي علـــى وَلَدِ	الوافر	155
وقام بمفــروض الجهادِ عن الوَرى وعوَّد ديـــن الله خيــر مُعَـــوَّدِ	الطويل	156
قافية الراء		
الكُفـــرُ مُمتد المطامِـعِ والهدى متمســـك بـــذئاب عيـش أغبَــرِ	الكامل	13
نادى الجهادُ بكم بنصر مضـــمر يبـــدو لكم بين القنا والضُّـــمَرِ	الكامل	14
بلادي التي عاطيتُ مشمولة الهوى بأكنافها والعيـــشُ فينانُ مخضــرٌّ	الطويل	35
إلى الله أشكو ما بقلبي من الأسى وما قد طوت من شرح حالي أسراري	الطويل	37

البيت	البحر	الصفحة
مكارمٌ أعيت كُلَّ مَنْ رامَ حَصْرَها وهيهاتَ ما للشهبِ في أفقها حَصْــرُ	الطويل	37
وقد أظلمــت أرجاؤها وتــزلزت منازلـــــها ذات العـــــلا وقصورها	الطويل	43
وكمْ مِن عجوزٍ يُحرَمُ الماءَ ظمؤها على الــذلِّ يُطوَى لُبثها ومســـــيرها	الطويل	70
لَيْـــسَ لَنـــا مـــلجأٌ نؤملـــه سِــوَكَ أنتَ الثمــــال والــــوزرِ	مجزوء البسيط	79
قصدناكَ يا خيرَ الملوكِ على النوى لتنصـــــفنا ممَّا جنى عبـدكَ الدَّهرُ	الطويل	79
معاشِــرَ أَهْلَ الدينِ هبوا لصــعقةٍ وصـــــاعقةٍ وأرى الجسومَ ظهورُها	الطويل	80
يا مَعشَـــــرَ العَرَبِ الذينَ توارثوا شــــيمَ الحميَّةِ كابراً عــن كـــابر	الكامل	82
أركَــبْتَهُ في المنشـــــآت كأنما جَهَّـــزته في وجهـــه كَـــمَزَارِ	الكامل	91
فَتــحٌ تلقّى النصــــرُ منهُ تحيَّةً مِــن لفظها ماءُ البشاشَــــــةِ يقطُرُ	الكامل	92
أنتم أحقُّ بنصــــرِ ديــــنِ نبيِّكم وبكــم تمَهَّدَ في قديــم الأعْصُــرِ	الكامل	111
لمن رايةٌ حمراءُ ترتاحُ بالنصــرِ تطيفُ حَوالَيْها حماةُ بني نَصْــــرِ	الطويل	140
أحقــاً خبــا مِــن جوِّ رندة نورها وقد كُسِــــــفَت بعد الشُّموسِ بدورُها	الكامل	146
قسماً بوجهِك في الضِّـــياء وإنَّهُ شـــــمسٌ تُمِدُّ الشَمــــسَ بالأنوارِ	الطويل	149
قافية السين		
يا للجزيرةِ أضـــحى أهْلُهــا جَزَرَاً للحادثاتِ وأمسى جَدُّها تعِســــــا	البسيط	18
يا للمســاجد عـــادت للعِـدا بيعاً وللنداءِ غدا أثناءهــا جرســـــا	البسيط	67
أَدْرِك بخـــيْلـــكَ خيل اللهِ أندلســا إنَّ السَّـــبيلَ إلى مُناجَاتها دَرَســا	البسيط	73
صِلْ حَبْلَها أيها المَولى الرَّحيم فمــا أبقــى المراسُ لها حَبلاً ولا مَرَسا	البسيط	74
أيامَ صِرتَ لِنَصْرِ الحقِّ مســــتبقاً وبتَّ من نور ذاك الهــدي مقتبِسَــا	البسيط	87
طَهِّر بلادكَ منهم إنَّهم نَجـــــسٌ ولا طهارةً ما لم تغسِــلْ النجســا	البسيط	118
مِن ساطِعِ النورِ صاغَ اللهُ جــوهَرَهُ وصـــــانَ صَيْقَلَهُ أنْ يَقْرُبَ الدَّنسا	البسيط	141
قافية الضاد		
ولمَّا أبى الأعداءُ إلا لحاجــــــة نهضتُ بأمر الله أحســن ما نَهَضْ	الطويل	88
قافية العين		
ومَنْ لي بقلبٍ تلتظى فيه زفـــرةٌ ومَنْ لي بجفنٍ تنهمي منه أَدمُـــعُ	الخفيف	40
يا وَلِـــيَّ الإلـــهِ أنــتَ جــوادٌ وقصــدنا إلــى حِماك المنيـــعِ	الطويل	84
بالطَبْــلْ فـــي كـــل يـــومٍ وبالنـــــفيـــر نـــــراعُ	المجتث	95

		قافية الفاء
23	السريع	أوامــري في الناس مســـــــموعةٌ وليـــس مِنّي في الورى أشْرَفا
24	السريع	يـا رَحمـــــة اللهِ ويـا عَفْـــوهِ شـــكى لك الإسـلامُ من ضَعْفِهِ
30	الطويل	ولم تكُ إلا ســــاعةً وتســـنَّمت ظــهورَ المطايا, كُلُّ فانيةِ الطَّرْفِ
54	الطويل	تحكَّم في ســـكان أندلـــس العِدا فلهفاً على الإســلامِ ما بينهم لهفا
96	الطويل	فقوموا برســـم الحقِّ فينا فقد عفا وهبّوا لنصــر الدين فينا فقد أشفا
125	الطويل	ومِنْ مَعْقِلٍ حلَّ العدُّو عِقالَـــــهُ ومِنْ مَسْجدٍ صارَ الضَّلالُ به وقفا
		قافية القاف
26	الكامل	أمَّا مَـــدَاك فغـايةٌ لـم تُسْـبَقِ أعيت على غرِّ الجيـادِ السُّـبقِ
		قافية الكاف
11	الكامل	تنميه من أبناءِ نصــــر ســـادةً حاطــوا العِبادَ, ودمروا الإشراكا
		قافية اللام
31	الكامل	السَّـــعْدُ جندُكَ والقضـــاءُ دليـــلُ والله بالنَصْـرِ العـــزيز كفيلُ
41	الطويل	وفَخْرُ بني نَصْــرِ إذا عُـدَّ فخرُهُمُ فَأَحْرَزَ في مَيْدانِ حَمْدِهم لخُصَلُ
52	البسيط	أَمِنْتَ مــن عَكْــس آمال وأحوالِ وعشْتَ ما بينَ أعمامٍ وأخــوالِ
56	البسيط	عَمَّت فَغمَّت قلوبُ المســلمين فيها للمســـلمين من أعداءٍ وأنكالِ
59	البسيط	هذا النــذير جهاراً جاء ينــذرنا والأذن في صمم عن قيل أو قالِ
80	الكامل	جَهِّـز جيوشَــكَ للجهادِ مُوَّفقاً وكفـى بربِّك كــافياً وكفيـلاً
91	الكامل	هُنَّ الجواري المنشـآتُ وقد غدت تختالُ في بردِ الشــبابِ وتَرْفُلُ
94	الطويل	ولمَّا اســتقامت بالزقاق أسـاطي لُ ثم اســتقلَّت للعودِ محافِـلا
98	الكامل	لا يغـررن الـروم في أمـــلائها قدر, فأيامُ الحــروبِ تــدولُ
102	البسيط	يا أَهْلَ فاسَ أما في الغيــرِ موعِظةٌ إن الســـعيدَ لموعوظٌ بأمثالِ
103	الكامل	لم يَدْرِ إســـماعيل ما طوقته ومن منَّه لو كــان ممــن يعقِلُ
104	الكامل	ســـرعانَ ما أبــداه ثم أعاده في هفوة البلوى وبئــسَ المنزلُ
118	البسيط	يَهْنى البنــودَ فإنها سَـــتُظِلُّهُ وجَنَاحُ جبــريلَ الأميــنِ يُظَلِّلُ
119	الكامل	يَهْنيكَ صــنْعُ الله حيــنَ تبلَّدت فــيكَ الحجَى وتـــأوّل المُتَـأوِّلُ
120	الكامل	حَسْبَ الخلافَةِ أن تكون وليُّهـا ومجيرها مـــن كل مـــن يتخيلُ

أَزمَعْـتَ في اللهِ الجهادَ وطالما أرضـى الإلهةُ جـهَادُكَ المقبولُ	الكامل	121
لم تَرْضْ هِمَتُكَ القليلَ مـن التُقى حتى أتَتْ بالصـالحاتِ قَبِيـلا	البسيط	124
كمْ تعرف التَّركيبَ سيفُكَ في الوغى فاعْجَبْ له قدْ أحـكَمَ التحليـلا	الكامل	135
فمَنْ اسـتجار عُلاكَ عزَّ جوارُهُ وعـزيزُ قومٍ, لم يُطِعْكَ, ذَليـلُ	الكامل	139
لله موقفـك الـذي وَثَبَاتُـه وثباتُـهُ مَثَـلٌ يُتمَثَّـلُ	الكامل	157
قافية الميم		
نادت بكـم أندلـس ناشـرةً برحـم الديـنِ ونِعَـم الرَّحمُ	البسيط	15
وتعـرفنا الغـوادي والعـوافي فيقصـدنا التَرَحّـلُ والمقـامُ	الوافر	17
مـرين جنودُ الله أكبر عصـبةٍ فَهُمْ في بَني أعْصَارِهم كالمواسمِ	الطويل	20
راقَ الزمـانُ وجاءنا ميقاتـه بالضـحَّوةِ الغرَّاءِ مـن أيامه	الكامل	39
وللغارة الشـعواء من أنجم الدُّجى ملاحِـمُ في آفاقـهـا وهزائـمُ	الطويل	43
فإن لها الخيلَ العتاقَ إذا انبـرت تخالُ بأيدي الريح منها الشـكائم	الطويل	46
شـخصٌ يهيـمُ بكـل وادٍ مـثلما لعبت بمجنون الحِمَـى الأَوْهامُ	الكامل	55
تالله ما أضمرت غشـاً ضـمائرنا ولا طَوَتْ صَحَةً منها على سَـقمِ	البسيط	60
يـا ربِّ وفـقنا وألهـمنا لمـا فيه الخيـرُ لنا فأنـتَ الملهمُ	الكامل	83
ألاَ يا رَسـولَ اللهِ نادَاكَ ضَارِعٌ عَلَى البُعْدِ محفوظُ الودادِ سَـلِيمُهُ	الطويل	83
يا آلَ نصـرٍ سُـرج الهـدى في كل خطـبٍ قد تجـهتم مُظلِمِ	الكامل	86
سَـلْ عنـهم أُحُـداً تلقـهم بلواءَ خيـرُ الخَلْقِ مـن مُتَقـدِّمِ	الكامل	87
بأندلُـسٍ لنـا أيَّـامُ حَـرْبٍ مـواقعهن فـي الـدنيَّا عِظَـامِ	الوافر	93
فَكَم مـواقِفَ صـدقٍ في الجهادِ لنا والخيلُ عالكةُ الأشـداقِ لِلُّجُمِ	البسيط	94
أيه حنانيكَ يا ابن الأكـرمين على ضَيْفٍ أَلَمَّ بفاس غيرَ مُحْتَشِـمِ	البسيط	95
ولا تعاتب على أشـياءَ قد قُدِّرَت وخُطَّ مسـطورها في اللوح بالقَلَم	البسيط	97
عَدَتني بأقصى الغَرْبِ عن تُربِكَ العِدا جَلالِقَةُ الثغـر الغـريبِ ورُومُهُ	الطويل	97
فافتـح معاقِلَهـَا المنيفاتِ الذُّرى وانْشُـر على شرُفاتِها الأعلاما	الكامل	117
مولـى ملوك العُـرْبِ والعَجَمِ رَعْياً لما مِثْلُهُ يُرعى مِنَ الذِّمَـمِ	البسيط	138
قافية النون		
لكلّ شـيء إذا ما تمَّ نقصـانُ فلا يُغَرَّ بطيب العيش إنسـانُ	البسيط	16
يا غافـلاً غرَّه ما جـره الزمـن هـديتَ إن الليالي كلها مِحَـنُ	البسيط	57

دهـــى الجزيـــــرةَ أمرٌ لا عزاءَ لـــه هوى لـــه أحـــدٌ وانـــهَدَّ ثهلانُ	البسيط		66
تبكي الحنفيّةُ البيضاءُ من أســــــفٍ كـــما بكى لفـــراق الإلف هيمانُ	البسيط		68
يا مَنْ لذلّـــة قومٍ بعـــد عزّهــــــم أحال حالَهُـــمُ كـــفرٌ وطغـــيانُ	البسيط		69
يا رُبَّ أمٍ وطـــفل صـــــل بينهما كمـــا تفـــرَّق أرواحٌ وأبـــدانُ	البسيط		71
وطَفْلَةٍ مثل حُسْن الشمس إذ طلعت كَـــأَنَّما هـــــي ياقوتٌ ومرجانُ	البسيط		71
يا راكبين عِتاقَ الخيلِ ضـــــامرةً كأنها في مَجالِ السَّـــــبْق عِقْبانُ	البسيط		76
ماذا التقاطع في الإســـــلام بينكم وأنتمُ يا عـــــبادَ الله إخـــــوان	البسيط		101
أينَ ما شــــــادهَ شَّـــدَّاد فـــي إرمٍ؟ وأينَ ما ساسه في الفُرْسِ سَاسانُ	البسيط		112
أعندكم نبأٌ من أهلِ أندَلُـــــــــسَ فقد سرى بحديث القوم ركـــــبانُ	البسيط		114
وكم مِن أســـــيرٍ بحبلِ الذُّلِ معتقلٍ كـــأنه مـــــيتٌ والـــذلُّ أكفـــانُ	البسيط		115
وللحوادِث ســـــلوانٌ تسُـــــــهِّلها وَما لما حلَّ بالإســـلام سُـــــلوانُ	البسيط		123
قافية الياء			
أسمتهم المِلَّةُ السَّــــمْحَاءُ تْكرِمَةً أنصــــــارَها وبهـــم عـــزَّت أواليها	البسيط		27
هم البـــدورُ كـــــمالٌ ما يفارقها هـــم الشـــــــموسُ ظلامٌ لا يواريها	البسيط		36
تغافلْتُ عن هذا الزمان وصَرْفهْ فلَسْــــــتُ أبالي أي حالاته تجري	الطويل		45
أبى اللهُ إلا أن تكونَ اليَـــدُ العليا لأندلُـــسٍ من غير شَـــــرطٍ ولا ثنيا	الطويل		50

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

War and disturbance Poetry in Andalucia
(The Era of Beni-Al-Ahmer)

By
Ranya Ahmad Abo Libdeh

Supervised by
Prof. Dr. Wa;il Abu-Saleh

Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in Arabic Language and Literature, at An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2007

War and Disturbance Poetry in Andalucia
(The Era of Beni-Al-Ahmer)
By
Ranya Ahmad Abo Libdeh
Supervised by
Prof. Dr. Wa;il Abu-Saleh

Abstract

War and disturbance Poetry receives little attention from the scholars now a days, as the other subjects. From this point, I want to study & to do a research in this type of poetry, trying to illustrate the following points a. what is it? B. what are the most important features?

- In the first chapter: I study the political factors that help progress this variety of poetry, I found that these factors are divided into two main sections which are:

  1- The political conflict between Muslims & Christians.

  2- The conflict between the sultans of Bani Al - Ahmar themselves.

  - In the second Chapter, I study the most important
  - Famous goals of poetry which relate to the political poetry which were is this order: bewailing the lost cities, asking for Al- Jihad, describing the Muslims victories
  - Defeats & the political criticism.

In the third Chapter, I tried to study the style of poets & the artistic features which differ this type of poetry form the other goals.

I classified it into five main titles which are:

1- The linguistic structure.

2- The interior music.

3- The inferior music & the mixture between the goals of the War and disturbance Poetry & the others & the structure of the metaphors in the War and disturbance Poetry.

I subtitled each main title.

In the end, I present the most important results which I come to in my study.